توطئـة :

ترتكز صناعة المعجم على فهم طرائق التصريف ،وتصنيف المسائل الصرفية يعتمد على فهم دلالات المفردات والمواد الأصلية التى يعنى المعجم بسردها فى شكل قائمة يراها كثير من اللغويين صامتة [1]، وأراها غير صامتة ، فالصامت فقط فى هذه القائمة هو المادة الأصلية ،أما التصاريف المنبثقة عن المادة الأصلية فلا يمكن أن نصفها على العموم بالصمت أو السكون ، فلا يستطيع جامع المعجم فهم معانى هذه البنيات إلا فى حالة حركة ولا يقوى من تلقاء نفسه على توضيح معانى هذه التصاريف وإنما يتحصل على معانيها من خلال السياقات التى وردت فيها ، بيد أنه يمكن أن نصف الكلمات التى هى من المشترك اللفظى مثلا أنها صامتة إذ يمكن للمفردة الواحدة منها أن تدخل فى سياقات مختلفة فتتعدد معانيها تبعا لتعدد السياقات الداخلة فيها فتنتقل المفردة من طور السكون إلى طور الحركة ، وما دامت صناعة المعجم ترتكز على فهم الصرف ، وتصنيف المسائل الصرفية يعتمد على فهم المعجم ، فإنه لا يمكن تجاهل العلاقة بينهما ، فلا يخلو معجم من المسائل الصرفية ولا يخلو كتاب فى الصرف من الحديث عن المواد الأصلية للتصاريف وعن دلالات الصيغ ، وعندما ألف الخليل بن أحمد معجم " العين " اعتمد فى الأساس على فكرة تصريفية فرأى أن كلمات العربية إما أن تكون مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ولا تزيد الكلمة عن ذلك باعتبار أصولها ثم رأى إمكانية حصر الكلمات الثنائية بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا هو

---

[1] انظر تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب ١٤٠ .

الألف والثاني قد يكون باء أو تاء أو ثاء ، وكذلك الكلمات الثلاثية بأن يفرض أن الحرف الأول مثلا هو الجيم ثم يقلب هذا الحرف مع باقي حروف العربية [٢] ، وهذا ما سماه ابن جنى الاشتقاق الأكبر وعرف فيما بعد عند علماء الرياضيات بالتباديل ، ولكن ما نوع العلاقة بين الصرف والمعجم ؟ ثمة نوعان من العلاقات بين الصرف والمعجم ، النوع الأول هو علاقات الاتفاق ، ويندرج تحت هذا النوع العلاقات أو القواسم المشتركة التى يتفق فيها الصرف والمعجم ، ويمكن أن نسميها علاقات الإيجاب ، والنوع الثانى هو أوجه الاختلاف ، ويندرج تحت هذا النوع الأشياء التى يختلف فيها الصرف عن المعجم ، ويمكن أن نسميها علاقات السلب ، وهذا البحث محاولة لفهم نوعى العلاقة بين الصرف والمعجم .

أولا علاقات الإيجاب :

١) المناسبة :

الصرف والمعجم يرتبطان بفكرة المناسبة ، أما المناسبة المعجمية فيقصد بها صلاحية الكلمة بدلالتها المعجمية أن تتضافر مع كلمات أخرى بدلالاتها المعجمية فمن المناسبة أن نقول كتبت بالقلم ، وفى النهر ماء ، وليس من المناسبة أن نقول كتبت بالنهر وفى القلم ماء ، ذلك أن الكتابة يناسبها القلم والنهر يناسبه الماء ، وأما المناسبة على مستوى الصرف فيمثلها مظاهر كثيرة فالفعل الماضى مثلا يضم آخره عند اتصاله بواو الجماعة لمناسبة هذه الواو ، والمنادى المندوب يفتح آخره لمناسبة ألف الندبة ، والاسم المضافة إليه ياء المتكلم يكسر آخره لمناسبة الياء .

---

[٢] انظر تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب ١٤٠ .

كتبَ + و(واو الجماعة) علاقة مناسبة كتبوا

واعثمان + ا(ألف الندبة) + (هاء السكت) علاقة مناسبة واعثماناه

كتاب + ى (ياء المتكلم) علاقة مناسبة كتابى

هذا ويعد طلب الخفة الهدف الأكبر من تجاور الحروف فى بنية الكلمة لذا نجد حروفًا لا تتناسب مع غيرها من الحروف كالصاد والشين اللذين لا يتناسبان فى بنية الكلمة ، هذه الحروف لا يقرها الاستعمال لصعوبة النطق بها مجتمعة ولعدم التناسب فيما بينها عند المجاورة ، وقد صنف ابن جنى فى الخصائص بابا فى (إمساس الألفاظ أشباه المعانى) [٣] عرض فيه أمثلة شتى للمناسبة بين بنية الكلمة ودلالة هذه البنية (عمل المعجم) ، وقد أفاد فى ذلك من قول سيبويه فى المصادر التى جاءت على (الفعلان) أنها تأتى للاضطراب والحركة كالغليان والغثيان حيث لاحظ سيبويه تناسبا بين توالى حركات المثال وتوالى حركات الأفعال ، وراح ابن جنى يعرض أمثلة كثيرة لهذا التناسب ، كالخضم والقضم ، يقول " فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول من الرطب والقضم للصلب اليابس ٠٠٠ فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس ، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث " [٤]، فالخاء فى (خضم) والقاف فى (قضم) قيمتان خلافيتان تفرقان بين الفعلين والقيم الخلافية وظيفتها التفريق بين الصيغ فى النظام الصرفى ، ولما كانت الخاء رخوة اختاروها للرطب ، ولما كانت القاف صلبة اختاروها لليابس أى

---

[٣] انظر الخصائص ٢ / ١٠٠ .

[٤] الخصائص ٢ / ١٠٤ .

أن الخاء تناسبها الرخاوة ، والقاف تناسبها الشدة ، والرخاوة تناسب أكل الرطب ، والشدة (الصلابة) تناسب أكل اليابس أى أن المناسبة هنا ليست بين حروف البنية الواحدة ولا بين المعنى المعجمى للصيغتين ، وإنما هى بين البنية الصرفية ودلالتها المعجمية أى بين الصرف والمعجم ، فالمناسبة قد تكون فى داخل البنية بين الحروف وبعضها أو بين الحركات والحروف وهذه تسمى المناسبة الصرفية ، وقد تكون بين دلالات المفردات وهذه المناسبة تسمى معجمية ، أو بين المفردات ودلالاتها فتسمى صرفية معجمية ، وعكس المناسبة الصرفية التنافر بين الحروف داخل بنية الكلمة ، وعكس المناسبة المعجمية المفارقة المعجمية التى مثل لها الأستاذ الدكتور تمام حسان بقوله " قرأ الحجر دم النخلة " يقول : " فإنك ستجد مفارقة معجمية بين (قرأ) و(الحجر) وبين (قرأ) و (الدم) وبين (الدم) و (النخلة) فلا الحجر يقرأ ولا هو يقرأ الدم ولا الدم مما يخضع للقراءة ولا النخلة من ذوات الدماء " وأما المجاز كأن نقول (محمد بحر) أى علمه غزير كالبحر فليس هذا من المفارقة المعجمية لدلالة قرينة الحال على غزارة علم محمد [٥] .

٢) الاشتقاق :

ثمة قاسم مشترك بين الصرف والمعجم يتمثل فى وجود صلة بين الكلمات أو الصيغ قوامها اشتراك الكلمات أو الصيغ فى أصول ثلاثة ، وهذه الصلة تدرس عند علماء الصرف تحت اسم (الاشتقاق) وعند علماء المعجم تدرس تحت عنوان (المادة الأصلية) ولعل هذه الصلة هى أوضح نقاط الاتصال بين الصرف والمعجم فكلاهما

---

[٥] الخلاصة النحوية ٨١.

ينبنى على فكرة الأصول الثلاثة وهى فاء الكلمة وعينها ولامها ، وكلاهما يأخذ هذه المادة منطلقا أو معينا ينطلق منه لتصنيف المسائل الصرفية أو لسرد قوائم المفردات بين دفات المعاجم ، بيد أن المعجميين ينطلقون من المادة الأصلية مباشرة نحو سرد قوائمهم فيسردون كل الكلمات التى تشترك فى هذه المادة ثم يبينون معانى هذه الكلمات من خلال سياقاتها التى وردت فيها ، وكل مادة تعد بابا مستقلا بذاته ، أما الصرفيون فينطلقون من الصيغة التى تعد مرتكزا لدراساتهم معتمدين على فهم المادة الأصلية والميزان الصرفى ، والصيغة ملخص شكلى لجمهرة من العلامات ، وقد تطلق ويقصد بها الوزن فيقولون صيغة (فعل) أو (انفعل)أو (فاعل) وقد تطلق ويقصد بها شكل معين لترتيب طائفة من الحروف كصيغة منتهى الجموع وتكون عندئذ أعم من الوزن إذ يندرج تحتها أوزان كثيرة فأوزان (فعائل) و (مفاعل)و (فواعل) جميعها يسمى صيغة منتهى الجموع وملخصها الشكلى هو (حرفان متحركان بالفتح بعدهما ألف بعدها حرفان الأول منهما مكسور) ، وينظر الصرفيون إلى الصيغة من ناحيتين الأولى ناحية المعنى الوظيفي كاشتراك المشتقات فى الدلالة على المعنى وصاحبه ، والثانية هى التجرد والزيادة ودلالات الحروف الزوائد [٦]، أما المعجميون فلا يقفون عند الصيغ ولكن يهتمون بمفردات أو كلمات ثم يبحثون عن دلالات هذه المفردات أو الكلمات ، هذا ولا يخلو معجم من المعاجم من التعرض لشرح الكلمة صرفيا ومن ثم تبيين نوع الصيغة التى تنتمى إليها الكلمة ، فإذا كانت الصيغة هى مرتكز اهتمام الصرفيين ، فإنها ذاتها خطوة ضرورية يستعين بها المعجميون لشرح المفردات ومن ثم

---

[٦]انظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٦ .

الوصول إلى معانيها المعجمية فلا يتمكن المعجمى من الوصول إلى المعنى المعجمى للكلمة إلا إذا عرف مبناها الصرفى والمعنى الوظيفى لهذا المبنى [٧]، ليس ذلك فحسب فالمعجمى يجب أن يكون ملما بدروس التصريف إلماما وافيا للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، فتارة يصف المعجمى الكلمة بوزنها صرفيا فيقول (ضرب) بوزن (فعل) ، وتارة يصفها بتحديد نوعها من المشتقات ، ومن عمل المعجمى أيضا أن يبين ما حدث فى الكلمة من إعلال أو إبدال أو حذف أو زيادة أو تضعيف وبهذا يمكن القول إن الصرف معجم للصيغ والمعجم تصريف للمفردات ، ومن هنا يمكن جمع معجم للصيغ الصرفية فى محاولة للوقوف على دلالات الصيغ الصرفية مجتمعة كما فعل الصرفيون فى بعض الصيغ فقالوا (فعُل) تدل على اللزوم و(فعلان) تدل على الاضطراب والحركة و (مفاعلة) تدل على المشاركة وإذا كانت الصيغة عند الصرفيين هى المرتكز الرئيس الذى ترتكز عليه دراساتهم ، فالصيغة عند المعجميين طور من أطوار عدة يمر بها المعجميون للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، والمادة الأصلية أو (جرثومة معنى الحدث) هى المرتكز الرئيس الذى يرتكز عليه عمل المعجميين ، وعندما يعبر المعجميون عن صلة الرحم بين الكلمات لا يقنعون بالمبانى الصرفية أو الصيغ فقط ، فالصيغ قاصرة عن الوفاء بمطالب المعجم ، ذلك بأن المعجم لا يمكن حصر مفرداته ،أما الصرف فيمكن حصر صيغه ، وإن كانت الصيغة طوراً من أطوار شرح المعنى المعجمى للكلمة ، فهى عاجزة عن الوفاء بمطالب المعجم ، وتبقى المادة الأصلية مدخلاً رئيسا إلى شرح معانى المفردات ، ولكن

---

[٧] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٢٧ .

المعجميين لا ينسبون إلى حروف المادة معنى معينا – وهذا الذى دعانى للحكم على المادة بأنها صامتة – ويعترفون بتعدد معانى المفردات التى تشترك فى المادة الأصلية وليست المادة عندهم سوى علاقة رحم بين المفردات التى ترتبط معجميا بواسطتها ولذا يفصلون فى الكتابة بين أصول المادة تنبيها على عدم دلالتها على معنى معين [٨] .

٣) المعنى :

لا شك أن المعنى هو الهدف الأكبر لأى دراسة فى أى فرع من فروع اللغة ، ومن هذه الفروع الصرف والمعجم " فموضوع علم الصرف المفردات العربية ، من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعانى " [٩]، وموضوع المعجم هو المفردات العربية من حيث البحث فى صياغتها الموجودة بالفعل – لا عن كيفية الصياغة – من أجل سرد قائمة من المفردات تقابلها قائمة من معانى هذه المفردات ، وقائمة المعانى هى الهدف الرئيس الذى يسعى إليه المعجميون ذلك أن قائمة المفردات موجودة بالفعل وعلى المعجمى أن يعمد إلى السياقات التى وردت فيها هذه المفردات للتوصل إلى معانيها المعجمية ، وفى نشأة المعجم العربى المتعلقة بالقرآن الكريم دلالة واضحة على أن الهدف الأسمى الذى يسعى إليه المعجميون هو الوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات ، ذلك أن النواة الأصلية للمعجم بدأت بسؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس ، التى " جمعت فى كتاب باسم (سؤالات

---

[٨] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٨ .

[٩] دروس التصريف (المقدمات وتصريف الأفعال) لمحمد محيى الدين عبد الحميد / ٨ .

نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس) نشره الدكتور إبراهيم السامرائى ببغداد سنة ١٩٦٨ م ، ونشرها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ملحقة بمعجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى بالقاهرة سنة ١٩٥٠ ، وذكرها السيوطى فى النوع السادس والثلاثين من كتابه (الإتقان فى علوم القرآن)" [١٠] ، قال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى :

" عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ" [١١]

قال ابن عباس : العزون : حلق الرفاق ، وقال : وهل تعرف العرب ذلك ؟
قال نعم ،أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول [الوافر]:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال : أخبرنى عن قوله تعالى :

" وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ " [١٢]

قال : الوسيلة الحاجة ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال نعم أما سمعت عنترة وهو يقول [الكامل]

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك تكحلى وتخضبى

وهكذا مضى نافع يسأل ، وابن عباس يفسر ، ويستشهد بأبيات من الشعر لتفسير ما يسأل عنه من المفردات التى وصل عددها إلى مائتين وخمسين مفردة من مفردات القرآن الكريم [١٣].

---

[١٠] المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ مكتبة زهراء الشرق ٥ .
[١١] المعارج ٣٧ .
[١٢] المائدة ٣٥ .

والمعجم بوصفه كتابا يضم ألفاظا مرتبة بوجه مخصوص فإن هدفه الأسمى هو إزالة إبهام هذه الألفاظ ، ولكن كيف يستقيم ذلك مع مادة [ع .ج . م] التى تدور حول الإبهام والغموض ؟ الحق أن علماء العربية ذهبوا فى ذلك كل مذهب فراح كل واحد منهم يسأل : كيف يكون المعجم معناه التبيين والإفهام لا الغموض والإبهام ليتناسب مع طابع المعجم الذى يشرح ويوضح معانى المفردات ؟ فنجد ابن جنى يقول " إنهم لما قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته ، فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لإثباته " [١٤] ويقول " إن قولهم (أعجمت) وزنه (أفعلت) ، (وأفعلت)هذه وإن كانت فى غالب أمرها إ نما تأتى للإثبات والإيجاب نحو أكرمت زيدًا أى أوجبت له الكرامة ٠٠٠ فقد تأتى (أفعلت) أيضا يراد بها السلب والنفى ومنه قوله تعالى : " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا " [١٥] تأويله – والله أعلم – عند أهل النظر أكاد أظهرها ٠٠٠ وكذلك أيضا يكون قولنا (أعجمت الكتاب)أى أزلت عنه استعجامه " [١٦] ، ومما ذهب إليه المبرد أن المعجم مصدر بمنزلة الإعجام [١٧]، "فمعنى المعجم إذا هو الكتاب الذى أزيلت العجمة فيه ، وحروف المعجم كما حكى عن الخليل هى الحروف المقطعة لأنها أعجمية "[١٨] ،

---

[١٣]انظر الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط٤ ، مصطفى البابى الحلبى مصر ١٣٩٨ هـ ١ / ١٥٧ و ١٥٨ ، وانظر : المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران ٦ .

[١٤]الخصائص ٣ / ٧٥ .

[١٥]طه ١٥ .

[١٦]سر صناعة الإعراب ١ / ٤٥

[١٧]انظر : سر صناعة الإعراب ١ / ٤٢

[١٨]دراسات فى المعاجم العربية للدكتور أمين محمد فاخر ط ٣ ١٩٩٧ ، ص ٦ .

ويوضح ابن فارس هذا بقوله : " أى أنها مادامت مقطعة غير مؤلفة تأليف الكلام المفهوم فهى أعجمية لا تدل على شىء " [١٩].

" وقال الليث : المعجم الحروف المقطعة سميت معجمًا لأنها أعجمية ، قال : وإذا قلت كتاب معجم فإن تعجيمه تنقيطه لكى تستبين عجمته وتتضح " [٢٠]، وعندى أن رأيى ابن فارس والليث أولى بالأخذ فى الاعتبار ، ولا حاجة إلى افتعال تخريجات تزيل إبهام العلاقة بين وظيفة المعجم ومسماه ، ذلك أن لفظة المعجم معناها الغموض والإبهام ، وعمل المعجم يعمد إلى كلمات مقطعة غير مؤلفة فى شكل كلام مفهوم ولا علاقة بينها ولا تدل على شىء ،ويمكن القول إن عمل المعجم يسير فى محورين متلازمين الأول أفقى والثانى رأسى ، أما المحور الأفقى فمحل دراسته المواد الأصلية والتتابع فيما بينها ، ولا علاقة بين هذه المواد الأصلية المتتابعة ، أما المحور الرأسى فمحل دراسته المادة الأصلية الواحدة وما ينبعث عنها من تصاريف وتكون العلاقة بين هذه التصاريف هى اشتراكها فى مادة أصلية واحدة ، أى

أن الحدث فيها ثابت والاختلاف يتمثل فى جهة الحدث ، فاسم الفاعل يدل على الحدث ومن وقع منه ، واسم المفعول يدل على الحدث ومن وقع عليه ، واسم المكان يدل على الحدث ومكانه ، واسم الزمان يدل على الحدث وزمانه ، ولا جهة للحدث فى المصدر فهو اسم الحدث مبرأ من الجهة والزمن .

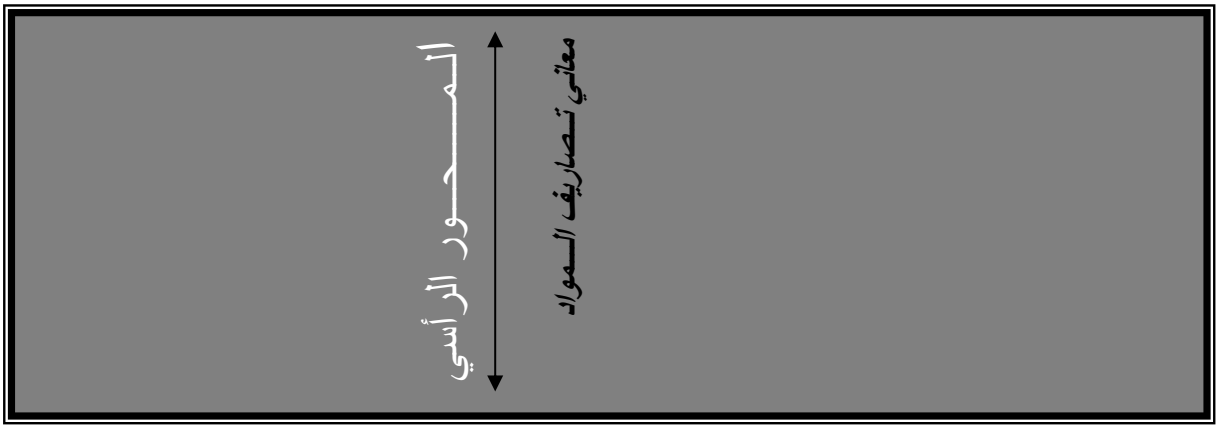

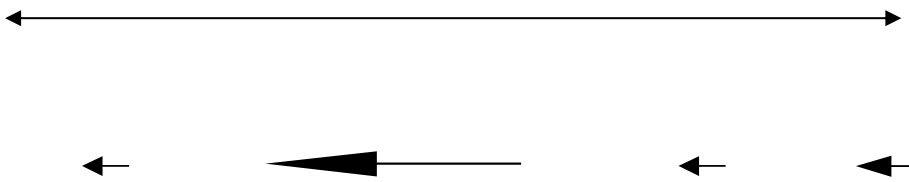

وللوصول إلى المعنى الشامل لأى جملة أو فقرة أو نص لابد من استخدام طرائق التحليل التى تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة وهى الصوتيات والصرف والنحو ، وهذه الثلاثة هدفها المعنى الوظيفى ، ثم المعجم وهو الخاص بالمعنى المعجمى ، وكل معنى نصل إليه بواسطة التحليل على أى مستوى مفرد هو معنى جزئى بالنسبة إلى المعنى الدلالى الأكبر ، والعلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية علاقة عرفية اعتباطية ، وحين تنفرد هذه العلاقة بالوجود فلا وظائف ولا مقام فإن فهم هذه العلاقة لا يؤدى إلا إلى فهم الكلمات المفردة على المستوى المعجمى فقط [٢١]، ذلك أن كلمات المعجم لا تؤلف فيما بينها ولا علاقة بينها على المستوى الأفقى .

وعلى مستوى الصرف فثمة معنى صرفى أو معنى للصيغ الصرفية يشبه إلى حد كبير المعنى المعجمى ، بيد أن هذا على مستوى المفردات وذاك على مستوى الصيغ ، أو على مستوى الأبواب الصرفية ، " فالمصدر يفيد المعنى من زاوية الحدث والميميات تفيد المعنى نفسه من زاوية مكانه أو زمانه أو آلته والصفات تفيد المعنى من زاوية

---

[٢١] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١ .

دلالتها على موصوف بالحدث والأفعال تفيده من زاوية الاقتراب بين زمنه وحدثه "[٢٢] ، أى أن المعنى الصرفى الوظيفى أعم وأشمل من المعنى المعجمى ، والمعنى الصرفى للصيغة الواحدة يمكن أن يندرج تحته عشرات المفردات بمعانيها المعجمية ، هذا العدد قابل للزيادة والنقصان بحسب الصيغة نفسها ، وقد جاء آنفا أن المعجم لا يمكن حصر مفرداته بينما يمكن حصر الصيغ الصرفية ،ومن الطبعى أن تتسع اللغة وتتطور مع مرور الزمن ومن ثم تتسع مفرداتها وتتغير تراكيبها وأساليبها مع التطور الفكرى والثقافى والاجتماعى الذى تشهده المجتمعات ، وأحد أشكال التطور هذه هو التطور اللغوى الذى يطرأ على مفردات بعينها فتتغير تبعًا لذلك مدلولاتها وبهذا تتسع حصيلة المفردات المعجمية وتتسع تبعًا لذلك معانيها المعجمية ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد محمد المعتوق " وعلى ضوء ذلك فإنه مهما كانت معرفة الإنسان باللغة ومهما كثر محفوظه من مفرداتها وتراكيبها فإن إحاطته بكل مفردات اللغة تكاد تكون أمرًا مستحيلا وأن الاحتفاظ بكل ما تلقن وحفظ من هذه المفردات يبقى أمرًا صعبًا أيضًا ، بل إنه لا يكاد يحتفظ فى ذاكرته إلا بأقل القليل منها وفى حدود ما يستعمله ويستحضره فى ذهنه منها " [٢٣]، فى حين تظل الصيغ الصرفية ثابتة سواء أقصد بالصيغة وزنها الصرفى أم ملخصها الشكلى لجمهرة أو لطائفة من العلامات ، وكل مفردة جديدة من مفردات اللغة يراعى أن تنبنى على شكل صيغة من صيغ العربية الموجودة بالفعل ، وللحكم على الكلمة أنها عربية يكون الضابط الرئيس فى ذلك هو انتماؤها لصيغة من صيغ العربية

---

[٢٢] اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٠ .

[٢٣] الحصيلة اللغوية ، للدكتور أحمد محمد المعتوق ، عالم المعرفة ١٩٩٦ ، ص ٢٢١ .

أو وزن من أوزانها ، ولكى يتم تعريب كلمة ما يجب أن تكون على وزن من أوزان العربية ، كل ذلك يدل على محدودية الصيغ والأوزان الصرفية فى مقابل لا محدودية المفردات والمعانى المعجمية .

وثمة نقطة يتفق فيها عمل الصرفى مع عمل المعجمى وذلك عندما يحاول كل منهما استخلاص المعنى من الصيغة أو المفردة ، فإنه يعمد إلى تحديد الحروف الزوائد ، وقد نسب الصرفيون لهذه الحروف معانى صرفية فالهمزة والنون مثلا تدلان على المطاوعة ، والألف تدل على المشاركة ، والهمزة والسين والتاء تدل على الطلب ، وبعيدًا عن الجدل الذى دار حول الصيغة وهل تستلهم معناها من هذه الحروف الزوائد أو من مجمل حروفها ؟ فإن للحروف الزوائد دورًا مهما يعين الصرفيين والمعجميين لإفادة المعانى ، بيد أن الصرفيين يبحثون فى كيفية الصياغة ، والمعجميين يبحثون فى المفردات الموجودة بالفعل التى تنتمى إلى صيغ وأوزان صرفية ،ويبحث الاثنان عن إفادة المعنى ، فصيغة " استفعل " مثلا يدرسها الصرفى بوصفها صيغة فيحدد أحرف الزيادة فيها ثم يذكر معنى الصيغة من خلال هذه الأحرف فيقول إنها تدل على الطلب ، أما المعجمى فإنه يعرض لعدد غير محدود من المفردات التى تنتمى إلى هذه الصيغة على مستوى المعجم كله ، فلا تكاد تخلو مادة أصلية من شكل من أشكال هذه الصيغة فنجد استقدم واستكتب واستخرج واستعلم واستفسر وهكذا ، فالكلمة فى المعجم لا تفهم إلا منعزلة عن السياق بيد أنها دل على معانيها سياقات ، أما الصيغة فقد يحدد معناها من خلال الزوائد .

ومما يتفق فى عمله الصرفيون والمعجميون وله علاقة بالمعنى الضبط فنجد كليهما لا يستغنى عن ضبط الكلمات ، بل إن من الفريقين من لا يكتفى بالضبط بالعلامات ، ويضبطون الكلمات باللفظ كى لا يكون الضبط عرضة للتحريف والتغيير ، فالضبط يغير من معانى الصيغ الصرفية كما يغير فى معانى المفردات المعجمية فـ (تفاعل) بفتح العين واللام تختلف عن (تفاعل) بضم العين ، وعن (تفاعل) بفتح العين وسكون اللام ، و(حسن) بفتح الحاء والسين تختلف عن (حسن) بضم الحاء وسكون السين ، وعن (حسن) بفتح الحاء وضم السين .

وعن الدلالة فإن فكرة الحقول الدلالية أو الحقول المعجمية تشبه المعانى الصرفية وما يندرج تحتها من أوزان صرفية أو مفردات ، فالحقل الدلالى هو طائفة من الكلمات ترتبط فيما بينها بمعنى عام مشترك ، أو يجمعها لفظ مشترك أو قاسم مشترك ، كالحيوان والطيور أو الألوان ، أو أعضاء البدن أو الصغير من كل شىء فهذه كلها حقول دلالية بوب لها علماء العربية من أمثال ابن سيده فى المخصص وكراع النمل فى المنجد ، والثعالبى فى فقه اللغة ، وتعرف عندهم بمعاجم الموضوعات ، وعندما يتحدث فى الصرف عن المطاوعة مثلاً فإنها معنى صرفى هو بمثابة حقل دلالى يندرج تحته طائفة من الأوزان الصرفية (كانفعل – وينفعل – وانفعل – وانفعال – ومنفعل) وكل وزن يندرج تحته طائفة من المفردات المعجمية ، وعندما يتحدث عن الطلب أوالصيرورة يكون ذلك بمثابة حقل دلالى يندرج تحته طائفة أو مجموعة من الأوزان (كاستفعل – ويستفعل – واستفعال – ومستفعل – ومستفعل) وكل وزن يندرج تحته

طائفة من المفردات المعجمية ، وبذلك يمكن القول إن المعانى الصرفية تمثل حقولا دلالية يندرج تحتها جمهرة من الصيغ الصرفية ، مع مراعاة أن الحقول المعجمية تعنى بالمفردات والحقول الصرفية تعنى بالصيغ لا بالمفردات ، هذا ولم تخل كتب الصرفيين من هذه الفكرة فقد تحدثوا عن الفعل اللازم بوزن (فعل) وأنه لا يجىء إلا فى أفعال الغرائز والطبائع وذكروا طائفة من الأفعال يجمعها هذا المعنى ، وكذا ما دل على الألوان بوزن(فعل)، وكل هذه حقول دلالية .

٤) تعدد المعنى للمبنى :

المعانى التى تعبر عن المبانى تتسم بالتعدد والاحتمال فالمبنى الواحد صالح لأن يعبر عنه أكثر من معنى ، مادام غير مركب فى سياق محدد ، فإذا ركب المبنى فى سياق ما يتحقق له معنى واحد وذلك بفضل القرائن اللفظية والمعنوية والحالية [٢٤] وهذا الكلام ينسحب على المعانى المعجمية والمعانى الصرفية ، فالمبنى الواحد تتعدد معانيه خارج السياق ، وهذا التعدد يكون فى الصرف على مستوى المعنى الوظيفى وفى المعجم على مستوى المعنى المعجمى ، أى أن التعدد فى المعانى

الوظيفية يماثله على مستوى المعجم تعدد فى المعانى المعجمية للمبنى الواحد وهو ما يدرس عند

علماء الدلالة تحت عنوان (المشترك اللفظى) فكلمة (عين) مثلا تسبح خارج السياق فيما يمكن أن نسميه فضاءات اللاتركيب فتحمل مجموعة من المعانى وعند التركيب قد تدخل فى سياق بمعنى (عين الماء) وفى سياق آخر بمعنى (البصر) وفى سياق

---

[٢٤]انظر : اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ١٦٣ .

ثالث (الجاسوس) أى أنها تحمل كل هذه المعانى خارج السياق وفى السياق تحمل معنى واحدا تحدده القرائن ، " والصيغ أيضا صالحة لهذا التعدد والاحتمال ، ويكفى أن تنظر فى معنى صيغة مثل (أفعل) لتجد أن معناها يكون التعدية ومصادفة الشىء على صفة والسلب ، والإزالة ، وصيرورة الشىء ذا شىء والدخول فى شىء والاستحقاق والتعريف والتمكين " [٢٥]، وعن المعانى الوظيفية فإن الاسم المرفوع مثلا يمثل مبنى صالحا لأن يكون فى السياق فاعلا أو نائب فاعل أو اسمًا لكان أو خبرًا لإن أو مبتدأ أو خبرا أو صفة أو بدلاً فكلمة (صديقان)مثلا لا معنى لها خارج السياق على المستوى الوظيفى وفى السياق تكون بمعنى من المعانى الوظيفية السابقة ، وبذلك يكون تعدد المعنى للمبنى من نقاط الاتفاق بين الصرف والمعجم ، وهذا التعدد ذاته هو من نقاط الاختلاف بين هذين المعنيين والمعنى الدلالى الأكبر للسياق الذى لا يمكن أن يتعدد .

المعاقبة (تعدد المبنى للموقع) :

المعاقبة هى صلاحية عنصر لغوى أن يحل محل عنصر لغوى آخر ،وإذا حل محله أخذ حكمه ، والمقصود بها التبادل ، ومعناها تعدد المبنى للموقع ، فالمعاقبة تقليب لا تركيب [٢٦]، وفى الصرف والمعجم معاقبة ، فالصرف تقليب للصيغ والمعجم تقليب لجراثيم معنى الحدث أو المواد الأصلية ومن ثم تقليب للمفردات ، حيث تتعدد المفردات ومعانيها المعجمية فى موقع المادة الواحدة ، وعن تقليب الصيغ فإن الصرفيين

---

[٢٥]اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٤ .

[٢٦] انظر البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان ١ / ٨٦ ، ٨٧ ، والخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان ٣٤ ، والمعاقبة فى نظام اللغة العربية ، للدكتور وحيد الدين طاهر عبد العزيز ١٣ .

يعمدون إلى هذه الفكرة عند دراسة الصيغ وكيفية صياغتها ، فإذا تحدثوا عن الزيادة مثلا فإنهم يعددون الصيغ التى تشتمل على أحرف الزيادة فى موقع الحديث عن حروف الزيادة فالمعاقبة تتعدد فيها المبانى للموقع الواحد ، وهى علاقة رأسية ولا علاقة لها بالتركيب حيث إنه علاقة أفقية ، هذا ويمتنع معاقبة العنصر لأخيه إذا تغايرت طبيعة كل منهما أي أن فى المعاقبة مراعاة لصلة تجمع بين المتعاقبين وتجعل كلا منهما يعاقب الآخر ، فعندما نتحدث عن حروف الزيادة ونقلب الصيغ التى تشتمل على هذه الحروف تكون فكرة الزيادة هى الصلة بين تقليب هذه الصيغ فى الموقع الواحد ، وعند تقليب المفردات المعجمية على المادة الأصلية فى موقعها تكون الصلة بين المفردات المتعاقبة فى الموقع هى انتماؤها لأصل واحد أو لصلة رحم تجمع بينها .

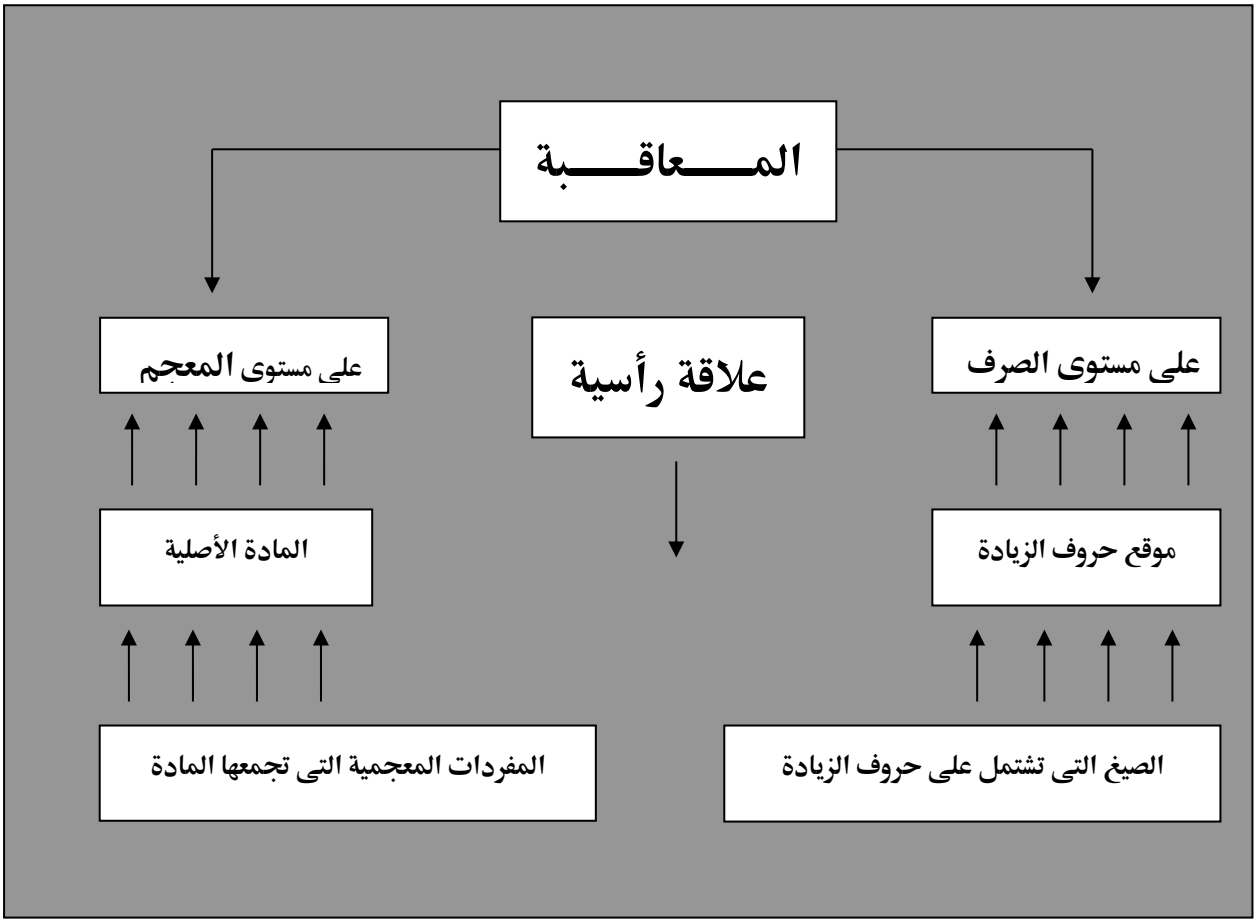

ثانيا علاقات السلب :

النظـام

فكرة النظام من العلاقات السلبية بين الصرف والمعجم ، أو هى من أوجه الخلاف بينهما ، فاللغات منظمات كبيرة يعبر بها الأقوام عن أغراضهم ونشاطاتهم الاجتماعية ،وبها يسجلون موروثاتهم الأدبية ، وكل لغة من هذه اللغات نظام أو منظمة كبيرة تشتمل على عدد من الأنظمة ، واللغة العربية تشتمل على ثلاثة أنظمة هى النظام الصوتى ، والنظام الصرفى ، والنظام النحوى ، بالإضافة إلى قائمة المفردات التى تعد المخزون الأكبر لمفردات اللغة وهى المعجم ، فالمعجم ليس نظامًا ولا ينبغى له أن يكون نظامًا من أنظمة اللغة ،لافتقاده للضابطين الرئيسين للنظام وهما القواعد التى تبحث فى المعانى الوظيفية ، وشبكة العلاقات العضوية والقيم الخلافية ، فالمعجم ليس إلا قائمة من المفردات تقف بإزائها طائفة من معانى هذه المفردات ، وهذه القائمة ليست من القواعد ولا تربطها أى علاقة ، وفى ذلك يقول الدكتور أحمد محمد المعتوق " معلوم أن استشارة المعجم أو الرجوع إليه لمعرفة مفردات اللغة والاطلاع على معانيها فيه ليس كقراءة الكتاب العادى أو قراءة موضوع فى دورية ما ، إذ لا رابط موضوعيًا أو معنويًا يشد القارئ لمادة المعجم ويستحثه على متابعة فقراته ومواصلة قراءته " [٢٧]، وعلى الرغم من أن المعجم ليس نظامًا من أنظمة اللغة إلا أنه يعتمد فى تحليل مفرداته اعتمادًا كليًا على فكرة النظام ، فلم يعرف المعجميون المعانى المعجمية للمفردات إلا من خلال سياقاتها التى وردت فيها ، ولتحليل هذه السياقات يعتمدون على فهم

---

[٢٧] الحصيلة اللغوية ، للدكتور أحمد محمد المعتوق ٢٢٩ .

العلاقات العضوية التى تربط بين مفردات كل سياق ، أى أن المعجميين ينطلقون بمعاونة فكرة النظام إلى تحليل السياقات للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات التى لا تسمى نظامًا أى أنهم ينطلقون من سياقات صغيرة تنبنى على فكرة النظام للوصول إلى قائمة كبرى يمكن أن نسميها اللانظام .

والحق أننا عندما نتحدث عن فكرة النظام يتبادر إلى أذهاننا على الفور النظام النحوى ، وذلك لما يتضمنه هذا النظام من قواعد وعلاقات عضوية بشكل أوضح من النظامين الصوتى والصرفى ، ولاعتماد النحو على كل من الصرف والأصوات لفهم العلاقات العضوية التى تربط بين المفردات المعجمية ، وقد أفاض علماء العربية فى الحديث عن فكرة النظام بدءًا من عبد القاهر الجرجانى الذى تحدث عن هذه الفكرة تحت عنوان النظم ، يقول الجرجانى " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب "[٢٨] ، وانتهاءً بالأستاذ الدكتور تمام حسان الذى أفرد كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " للحديث عن نظام اللغة العربية وما يشتمل عليه من أنظمة ، وقد أفاض الدكتور عبد العزيز حمودة فى الحديث عن فكرة النظام فى كتاب " المرايا المقعرة "[٢٩] مقربا وجهات النظر بين علماء العربية وعلماء الغرب فى ذلك مثبتا السبق للعرب فى الحديث عن النظام ، إلا أنه لم يتحدث أحد عن النظامين الصوتى والصرفى – فيما أعلم– على نحو ما فعل الأستاذ الدكتور

---

[٢٨] أسرار البلاغة فى علم البيان ، للإمام عبد القاهر الجرجانى ، صححها وعلق عليها محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة مكتبة محمد على صبيح بالقاهرة ١٩٥٩ ص ٢ .

[٢٩] انظر المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة عالم المعرفة ٢٠٠١ ص ٢١٨ .

تمام حسان فى كتاب " اللغة العربية معناها ومبناها " يقول متحدثا عن النظام الصرفى وأما النظام الصرفى للغة فهو مكون من ثلاث دعائم[٣٠]:

١. مجموعة من المعانى الصرفية أو الوظيفية كالاسمية والفعلية والحرفية ، والإفراد والتكلم والتذكير والتأنيث والطلب والصيرورة والمطاوعة والتعدية والتأكيد .

٢. طائفة من المبانى تتمثل فى الصيغ الصرفية واللواصق والزوائد والأدوات التى تحدد معانى هذه المبانى بوجودها أو بعدمها أو بالإيجاب والسلب .

٣. طائفة من العلاقات العضوية الإيجابية وأخرى من المقابلات أو القيم الخلافية بين المعنى والمعنى وبين المبنى والمبنى كالعلاقة بين (ضرب) و (شهم) يمكن أن تكون إيجابية من حيث تشابههما فى صيغة (فعل) ، ويمكن أن تكون سلبية تتمثل فى المقابلة أو القيمة الخلافية بينهما من جهة المعنى الوظيفى ف (ضرب) مصدر و (شهم) صفة مشبهة باسم الفاعل ، وهذه المقابلات – كما يقول الأستاذ الدكتور تمام حسان – هى عصب النظام الصرفى .

فالنظام الصرفى إذًا يتكون من مجموعة من المعانى الصرفية الوظيفية وطائفة من المبانى وطائفة من العلاقات أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبنى والمبنى ، أما المعجم فيتكون من قائمة من المفردات ومعانيها المعجمية ولا تربط أى علاقة بين مفردات هذه القائمة ، ولا يوجد بينها أى نوع من المقابلات ، يقول الدكتور تمام

---

[٣٠] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ٣٥ و ٨٢ .

حسان " أما من حيث العلاقات العضوية فليس بين كلمات المعجم أى علاقة عضوية وقد يكون بين كل طائفة من هذه الكلمات علاقة اشتقاقية معينة هى اشتراكها فى أصول المادة ولكن هذه العلاقة الاشتقاقية تختلف عما نقصده من العلاقة العضوية لأن العلاقة العضوية لأى وحدة من وحدات النظام تدخلها فى علاقة خلافية مع بقية الوحدات جميعًا أيا كان موضعها من النظام " [٣١]، وإذا عمدنا إلى كلمتى (ضرب) و (شهم) اللتين بين الأستاذ الدكتور تمام حسان العلاقة العضوية بينهما يمكن أن نفهم عمل كل من الصرفى والمعجمى فيهما ، أود أن أشير أولاً إلى أن المعجمى لا يهمه اجتماع الكلمتين معًا لأنه يتحدث عن مفردات لا عن مقابلات أما الصرفى فإنه يتحدث عن مقابلات أو علاقات (طبيعة النظام) ، وبذلك يهمه الكلمتان والعلاقات والمقابلات بينهما ، فالمعجمى عندما يتناول هاتين الكلمتين يتناول كل مفردة منهما على حدة فيحدد المادة الأصلية لكل مفردة ثم يتحدث عما يشتق من هذه المادة الأصلية من مفردات ، ثم يبين معانى هذه المفردات من خلال مجموعة من السياقات التى تستنبط منها هذه المعانى ، أما الصرفى فيحدد المادة الأصلية لا ليحدد المشتقات المنبثقة عنها ومعانيها المعجمية وإنما ليحدد ما إذا كانت الكلمة مجردة أو مزيدة ، وإذا كانت مزيدة ما دلالة أحرف الزيادة ؟ ومن ثم يحدد المعنى الصرفى الوظيفى للكلمة وإذا كانت مجردة ما وزنها ؟ وما نوعها؟ وإذا طبقنا ذلك على الكلمتين السابقتين يحدد الصرفى أن الكلمتين مجردتان ووزنهما (فعل) بيد أن (ضرب) مصدر و (شهم) صفة مشبهة باسم الفاعل ، والمقابلة بين المعنيين الوظيفيين للكلمتين تدل على خضوع

---

[٣١] اللغة العربية معناها ومبناها ٣١٢ و ٣١٣ .

الصرف لفكرة النظام ، هذا ومن عمل المعجمى أن يحدد للقارئ المبنى الصرفى للكلمة من حيث كونها اسمًا أو فعلاً أو ما شابه ذلك ، وهذا يعين فى فهم المعنى المعجمى ، أى أن المعجمى يقوم ببعض عمل الصرفى من وزن الكلمات صرفيا وتحديد مبناها أو نوعها من المشتقات أو بذكر أحرف الزيادة فيها ، بل إن المعجمى قد يجرى بعض المقابلات بين المفردات وكل ذلك لا يخضع المعجم لفكرة النظام ، لعدم وجود مقابلات بين الكلمات تدخل فيها كل كلمة فى علاقات خلافية مع بقية الكلمات .

القاعدة :

تبحث القاعدة فى المعاني الوظيفية ، وذلك من أجل سبر أغوار البنية المفردة على المستوى الصرفى ، ومن أجل سبر أغوار التركيب على المستوى النحوى ، ومن المعانى الوظيفية على مستوى الصرف التذكير والتأنيث والطلب والصيرورة والتعدية وغيرها، ومن المعانى الوظيفية على مستوى النحو الفاعلية والمفعولية والإضافة وغيرها والذى يعنى بهذه المعانى الوظيفية هو القاعدة ، وليس المعجم مجموعة من القواعد ، بل هو قائمة من المفردات هدفها النظر فى العلاقة بين المفردات وما تدل عليه من المعانى المعجمية أو بين الكلمة [الدال] وما تدل عليه [المدلول] ، وعلى الرغم من أن المعجم ليس كتابًا فى القواعد إلا أنه لا يخلو معجم من المعاجم من القواعد النحوية والصرفية ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس " المعاجم وإن كانت مهمتها الأساسية هى توضيح تلك الدلالة الاجتماعية غير أنها قد تعرض لبحث مسائل من النحو والصرف ... ولكن المعاجم قديمها وحديثها تتخذ من الدلالة الاجتماعية للكلمات هدفًا أساسيًّا

وتكاد توجه إليه كل عنايتها " [٣٢]، ولما كان المعجم خاليًا من القواعد وكان الصرف نظامًا ذا قواعد خاضعًا للعلاقات العضوية والقيم الخلافية ، أصبح من الممكن أن نعد " القاعدة " علاقة سلبية بين الصرف والمعجم ، فالمعجم يقدم طريقة نطق ، والصرف يحفل بالقواعد ، وعندما يقال " اسم الفاعل يصاغ من الثلاثى على وزن فاعل " فهذه قاعدة صرفية أو واحدة من عشرات القواعد التى يحفل بها الصرف ، تبين هذه القاعدة الهدف من دراسة الصرف وهى البحث فى كيفية الصياغة من أجل إفادة المعانى الوظيفية وليس المعاني المعجمية ، كالبحث فى كيفية صياغة اسم المفعول والصفة المشبهة ، واسمى المرة والهيئة ، والزمان والمكان ، وكل ذلك تبحث فيه القواعد ، وقد نجد مثل هذه القواعد بين صفحات المعجم لكن المعجم لا يبحث فى كيفية الصياغة من أجل الوصول إلى المعاني الوظيفية أو وظائف الصيغ بل يبحث في المفردات من أجل الوصول إلى معانيها المعجمية ، يقول الدكتور تمام حسان " دراسة العلاقة بين الصيغة والصيغة هي علم الصرف ، ودراسة العلاقة بين الباب والباب هى علم النحو ، ودراسة العلاقة بين معنى الكلمة والكلمة هو من صميم علم المعجم [٣٣] .

وينبغى أن نفرق بين نوعين من القواعد الأول ناشئ عن اتخاذ اللغة مادة للملاحظة ثم الاستقراء والوصف جاعلا نواحى الشركة فيما وقع عليه الاستقراء قواعد وهذا النوع من القواعد يعنى بتخريجه الوصفيون ، والثانى تكون فيه القواعد معايير

---

[٣٢] دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ، الطبعة الأولى ١٩٦٢ ، ص ٤٦ و ٤٧ .
وانظر المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، للدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، دار النهضة الحديثة للطباعة والنشر ١٩٦٦ ، ص ٢٠ .

[٣٣] اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان الطبعة الرابعة عالم الكتب ٢٠٠٠ ، ص ١٥٠ .

يجب اتباعها ، والقاعدة على المستوى الصرفى تفهم باعتبارها تعبيرات عن الوظائف اللغوية التى تؤديها الوحدات اللغوية التى وقع عليها الاستقراء ، والمعاجم دراسة للغة لا معايير للاستعمال فهى من عمل الباحث وتتجه إلى وصف عمل المجتمع [٣٤] والفرق بين القاعدة عند الوصفيين والمعياريين يبدو واضحًا عندما يتكلم أحد الأفراد اللغة بالسليقة فينحرف عن " القاعدة " فيرفع ما قررت القاعدة أنه منصوب مثلا ، فالوصفى سيلاحظ هذه الحالة ويعرضها على معلوماته فإذا كانت مطابقة دخلت فى نطاقها وإذا كانت غير مطابقة لا يتهم النص بأنه خارج عن طرائق التركيب وإنما يرويه باعتباره ظاهرة فرعية إلى جانب هذه القاعدة وأما إذا كان معياريا فإنه سيحكم على النص بالخروج أو عدم مطابقة طرائق التركيب المعيارية المعروفة لديه [٣٥] .

وقد وضح الدكتور تمام حسان مفهوم القاعدة فى كتابه " اللغة بين المعيارية والوصفية " على النحو الآتى [٣٦] :

١. القاعدة وصف لسلوك عملى معين فى تركيب اللغة ، ويلاحظ أن يكون هذا السلوك مطردا حتى يعبر عنه بالقاعدة .

٢. القاعدة جزء من المنهج لا جزء من اللغة .

---

[٣٤] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية ٢٧ : ٣٠ .

[٣٥] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية ١٥٨ .

[٣٦] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية ١٥٨ .

٣. القاعدة تتصف بالعموم ، وليس من الضرورى أن تتصف بالشمول ، أى أن تكون عامة وليست كلية ، فتنطبق على جمهرة مفرداتها وليس من المحتم أن تنطبق على كل المفردات .

٤. القاعدة تكون مختصرة لئلا تفقد فائدتها العلمية .

٥. إيراد بعض الشواهد التى وقع عليها الاستقراء لتكون سندًا للقاعدة .

وإذا عدنا إلى القاعدة الصرفية التى سقتها منذ قليل وهى " اسم الفاعل يصاغ من الثلاثى على وزن فاعل " نجد أنها وصف لسلوك عملى مطرد ، وأنها جزء من المنهج ، وتتصف بالعموم وهى مختصرة إلى حد مقبول ولا يذكر أى صرفى هذه القاعدة إلا ويذيلها بإيراد بعض الشواهد التى تفيد القاعدة وتشرحها عمليًا ، أما المعجم فيقدم طريقة نطق ، ولا علاقة بين المعجم والقاعدة ، فلا يدرس المعجمى العلاقة بين الدوال والمدلولات باعتبار هذه المعايير التى تنضبط من خلالها القاعدة .

نخلص من ذلك إلى أن القاعدة هدفها المعانى الوظيفية ومن ثم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأنظمة اللغة الثلاثة التى تعنى بهذه المعانى الوظيفية وهى النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى ،أما المعجم فهو ليس نظامًا ولا يعنى بالمعانى الوظيفية وهدفه العلاقة بين الكلمة ومعناها ، ومن ثم لا يعنى المعجم بالقواعد ويركز كل اهتمامه على العلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية .

٢) المنهج (طريقة العمل):

يختلف عمل الصرفى فى البحث فى كيفية الصياغة لإفادة المعانى الوظيفية عن عمل المعجمى فى البحث عن علاقة الدوال بالمدلولات لإفادة المعانى المعجمية ، فلو كان العمل واحدًا لكانت النتيجة واحدة ، والأمر ليس كذلك فالنتيجة المتوخاة من الصرف تختلف تمامًا عن نتيجة العمل المعجمى ، بذلك تكون العلاقة بين خطة عمل الصرف وخطة عمل المعجم علاقة سلبية ولا ينبغى لها أن تكون إيجابية مطلقًا لاختلاف الهدف الذى يسعى إليه كلا الدرسين .

وقد اصطلح الدكتور تمام حسان كلمة (وسائل) للتعبير عما قصدته من طريقة العمل وجعل تحديد المعنى الوظيفى ينبنى على وسائل سلبية وهى القيم الخلافية ، وتحديد المعنى المعجمى ينبنى على وسيلة إيجابية تقوم بعد تعيين الهجاء والنطق على تحديد البنية تحديدًا صرفيًا ثم شرحها من بعد ذلك من وجهتى نظر التاريخ والاستعمال مع الدخول إليها من مداخل مختلفة والاستشهاد على كل مدخل ، فالذى يتوافر على دراسة الكلمة فرع خاص من فروع الدراسات اللغوية هو المعجم [٣٧]، ويعنى الصرفيون بالميزان الصرفى وتحديد الأصول والزوائد والمشتق والجامد ثم تحديد شكل الصيغة وحصر أماكن الإلحاق والزيادة فيها وما يلحق بالصيغ من إعلال وإبدال [٣٨]، أى أن طريقتى العمل تلتقيان عند تحديد البنية الصرفية ، ويمكن توضيح ذلك من خلال الرسم الآتى :

---

[٣٧] انظر اللغة بين المعيارية والوصفية ١٢٠ – ١٢١ .

[٣٨] انظر اللغة العربية معناها ومبناها ١٥ .

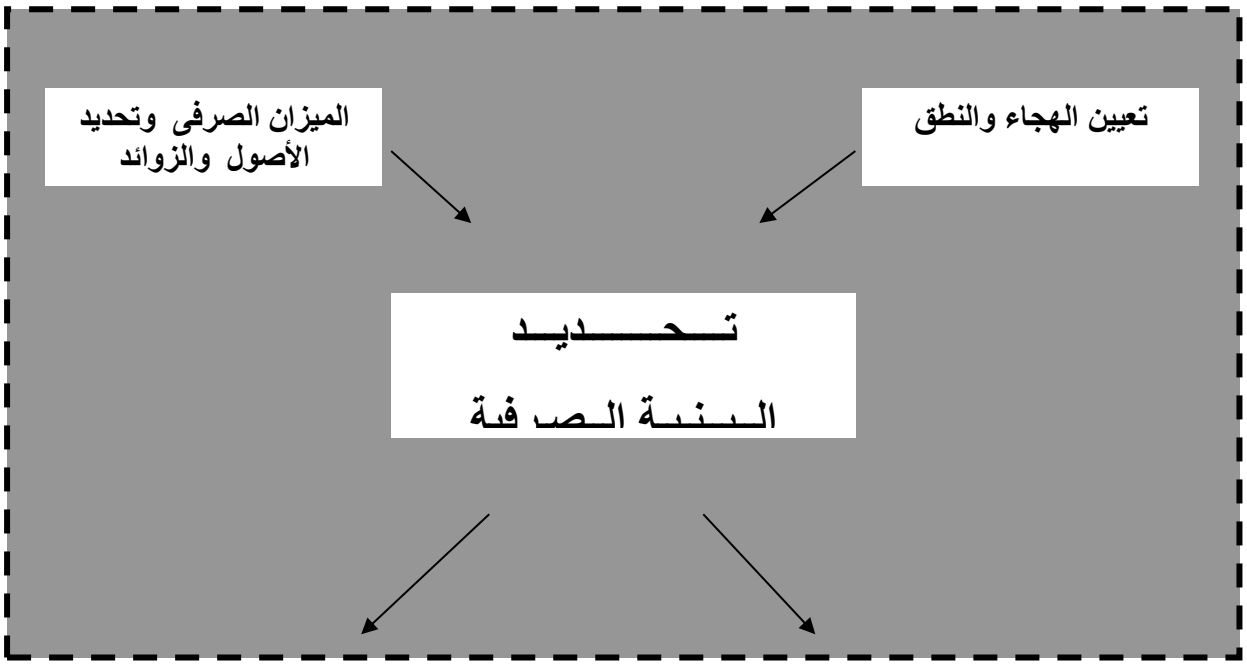

الخلاصة :

وبعد ، يمكن القول إن عمل الصرفى يتداخل مع عمل المعجمى ، وعمل المعجمى يتداخل مع عمل الصرفى فى بعض المواطن ، ولابد أن يكون المعجمى ملما بطرائق

التصريف ، والصرفى ملما بطرائق اشتقاق المفردات من موادها الأصلية ومعرفة معانيها المعجمية ، والقارئ قد يقرأ بين طيات المعجم بعض الفقرات فيحس أنه يقرأ كتابًا فى الصرف ، ويقرأ بين ثنايا الصرف فقرات يحس من خلالها أنه يقرأ فى المعجم ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على وثيق الصلة بين الصرف والمعجم ، ويكفى أن كليهما يبحث فى المفردة لسبر أغوار معناها سواء أكان هذا المعنى وظيفيا أم معجميًا .

ويمكن سرد ما يخلص إليه البحث فى النقاط الآتية :

١. العلاقات بين الصرف والمعجم نوعان :

الأول : هو علاقات الإيجاب [المناسبة – الاشتقاق – المعنى – تعدد المعنى للمبنى – المعاقبة]

الثانى : هو علاقات السلب [فكرة النظام – القاعدة – منهج العمل]

٢. المناسبة ثلاثة أنواع : صرفية ومعجمية وصرفية معجمية أما الصرفية فهى داخل البنية بين الحركات والحروف أو بين الحروف والحروف ، وأما المعجمية فهى بين دلالات المفردات ، وأما الصرفية المعجمية فهى بين المبانى ودلالاتها المعجمية .

٣. الصرف معجم للصيغ والمعجم تصريف للمفردات .

٤. يبحث الصرفيون فى كيفية الصياغة بينما يبحث المعجميون فى الصياغات الموجودة بالفعل ، ويبحث الاثنان عن إفادة المعنى الصرفى أو المعجمى .

٥. فى الصرف والمعجم معاقبة ، فالصرف تقليب للصيغ والمعجم تقليب للمواد الأصلية ينبنى عليه تقليب للمفردات .

٦. إذا كان الصرف نظامًا من أنظمة اللغة فإن المعجم ليس نظامًا لافتقاده لضابطى النظام وهما القواعد التى تبحث فى المعانى الوظيفية وشبكة العلاقات العضوية والقيم الخلافية ، وعلى الرغم من لا نظامية المعجم إلا أن المعجميين ينطلقون بمعاونة فكرة النظام إلى تحليل السياقات للوصول إلى المعانى المعجمية للمفردات التى تسمى نظامًا أى أنهم ينطلقون من سياقات صغيرة تنبنى على فكرة النظام للوصول إلى قائمة كبرى يمكن أن نسميها اللانظام .

٧. تعنى القاعدة بالمعانى الوظيفية ومن ثم ترتبط بفكرة النظام ، والنظام الصرفى حافل بالقواعد أما المعجم فهو ليس نظامًا ولا يعنى بالمعانى الوظيفية وهدفه العلاقة بين الكلمة ومعناها حيث يقدم طريقة نطق ، ومن ثم لا يعنى بالقواعد ويركز كل اهتمامه على العلاقة بين المفردات ومعانيها المعجمية .

٨. العلاقة بين خطة عمل الصرفيين وخطة عمل المعجميين علاقة سلبية ولا ينبغى لها أن تكون إيجابية مطلقًا لاختلاف الهدف

الذى يسعى إليه كلا الدرسين ، ولو كان الهدف واحدًا لاندمج الدرسان فى علم واحد .

المراجــع

١. الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى , ط٤ مصطفى البابى الحلبى , مصر ١٣٩٨ هـ .

٢. أسرار البلاغة فى علم البيان ،للإمام عبد القاهر الجرجانى , صححها وعلق عليها محمد رشيد رضا , ط٦ محمد على صبيح بالقاهرة ١٩٥٩ .

٣. البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان , عالم الكتب (لمكتبة الأسرة)٢٠٠٢ .

٤. تطور العلوم العربية للدكتور عبد المجيد دياب ١٩٩١ .

٥. الحصيلة اللغوية للدكتور أحمد محمد المعتوق , عالم المعرفة ١٩٩٦ .

٦. الخصائص لابن جنى بتحقيق عبد الحكيم بن محمد ، المكتبة التوفيقية .

٧. الخلاصة النحوية للدكتور تمام حسان , ط١ عالم الكتب ٢٠٠٠ .

٨. دراسات فى المعاجم العربية للدكتور أمين محمد فاخر ط٣ / ١٩٩٧ .

٩. دروس التصريف (فى المقدمات وتصريف الأفعال) لمحمد محيى الدين عبد الحميد , دار الطلائع ٢٠٠٥ .

١٠. دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ط١ / ١٩٦٢ .

١١. سر صناعة الإعراب لابن جنى بتحقيق أحمد فريد أحمد , المكتبة التوفيقية .

١٢. اللغة بين المعيارية والوصفية للدكتور تمام حسان ط٤ عالم الكتب ٢٠٠٠ .

١٣. اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان , عالم الكتب ط ٣ / ١٤١٨ – ١٩٩٨.

١٤. المرايا المقعرة للدكتور عبد العزيز حمودة , عالم المعرفة ٢٠٠١ .

١٥. المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث ، للدكتور محمد أحمد "أبو الفرج" , دار النهضة الحديثة للطباعة والنشر ١٩٦٦ .

١٦. المعاقبة فى نظام اللغة العربية للدكتور وحيد الدين طاهر عبد العزيز ,دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ٢٠٠٦ .

١٧. المفصل فى المعاجم العربية للدكتور حمدى بخيت عمران ط١ , مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٥.

الفصل الثالث

الغلبة والتغليب فى البنية والتركيب

توطئة:

فى اللغة العربية جمهرة من المصطلحات والمعانى الوظيفية، ومن هذه المصطلحات والمعانى الوظيفية مصطلحا الغلبة والتغليب من الجذر اللغوى [غ. ل. ب]، وقد أكثر المعجميون العرب من الحديث عن مشتقات هذا الجذر اللغوى، لاسيما الغلبة والمغلب من هذه المشتقات، إلا أن حديثهم عن التغليب لم يكن فى مستوى الحديث عن الغلبة والمغلب، ولو من حيث الكم، فلم يذكر الخليل لفظة التغليب فى معجم العين فى حين ذكر الغلبة والمغلب، وذلك فى معرض حديثه عن مادة [غ. ل. ب]، وكذا الزبيدى فى تاج العروس، والفيروزآبادى فى القاموس المحيط، والفيومى فى مصباحه، فى حين اكتفى ابن منظور فى لسان العرب بقوله "وغلبته أنا عليه تغليبا" [٣٩]، وقد يكون من الأجدى أن أسوق أحاديث هؤلاء عن الغلبة والتغليب بغية الوصول إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، وإلى الفرق الدقيق بينهما، جاء فى العين: "غلب يغلب غلبا وغلبة، والغلاب النزاع، والمغلب الذى يغلبه أقرانه فيما يمارس، والمغلب قد يكون المفضل على غيره، والأغلب الغليظ الشديد القصرة، وأسد أغلب، وقد غلب غلبا يكون من داء أيضا، وهضبة غلباء، وعزة غلباء، وتغلب كانت تسمى الغلباء" [٤٠]، وفى لسان العرب: "غلبه يغلبه غَلْبا وغَلَبا، وهى أفصح، وغلبة ومغلبا ومغلبة ... والمغلب المغلوب ... والمغلب الذى يغلب كثيرا ... وغُلِّب الرجل فهو غالب : غلب وهو من الأضداد، وغَلَب على صاحبه حُكم له عليه بالغلبة" [٤١]، وفيه أيضا: "تغلب على بلد كذا: استولى عليه قهرا، وغلبته أنا عليه تغليبا، محمد بن سلام: إذا قالت العرب: شاعر مُغَلَّب فهو مغلوب، وإذا قالوا: غُلّب فلان فهو غالب، ويقال غلبت ليلى الأخيلية على نابغة بنى جعدة لأنها غلبته، وكان الجعدى مغلبا"[٤٢]، وفى القاموس المحيط: "والمغلب المغلوب مرارا، والمحكوم له بالغلبة، ضد" [٤٣]، وفى المصباح المنير: "غلبه غلبا من باب ضرب، والاسم الغلب بفتحتين، والغلبة أيضا"[٤٤]، وفى تاج العروس: "والمغلب كمعظم المغلوب مرارا، والمغلب من الشعراء المحكوم له بالغلبة على قرنه كأنه غلب عليه ... المغلب الذى يغلب كثيرا، وشاعر مغلب أى كثيرا ما يغلب، وهو ضد" [٤٥]، أما من الناحية الوظيفية فقد سار سيبويه على درب أستاذه الخليل فلم يذكر لفظة التغليب فى كتابه، واكتفى بكلمات مثل (غلب)

---

[٣٩] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[٤٠] كتاب العين مرتبا على حروف المعجم [غ. ل. ب] ٢٨٦/٣.

[٤١] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[٤٢] لسان العرب [غ. ل. ب] ١٠٠٣/٢.

[٤٣] القاموس المحيط [غ. ل. ب] ١١١/١.

[٤٤] المصباح المنير [غ. ل. ب] ٤٥٠.

[٤٥] تاج العروس [غ. ل. ب] ٤١٤/١.

حيث عقد بابا قال عنه: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة" [٤٦]، وقال فى موضع آخر فى معرض حديثه عن قلب الواو ياء متى اجتمعتا وسبقت أولاهما بالسكون – قال: "وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف" [٤٧]، وقد ذكر سيبويه (غلب) و(يغلب) فى موضعين قاصدا بهما التغليب، ففى الجزء الثانى فى معرض حديثه عن العلم بالغلبة قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر"[٤٨]، وقال فى الموضع الثانى "وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث" [٤٩]، وقد أصبح هذا الموضع الأخير فيما بعد أوضح صورة من صور التغليب فى اللغة العربية، وربما يكون الخليل وتلميذه قد تأثرا بآى الكتاب العزيز، حيث لم تُذكر لفظة التغليب فى القرآن الكريم، فى حين ذكرت اشتقاقات كثيرة لهذا الجذر اللغوى مثل (غلبت) و(غلبوا) و(أغلبن) و(يغلبون) و(غالب) و(مغلوب) و(غُلْبا)، ولم تذكر لفظة الغَلَبة إلا فى موضع واحد فى القرآن الكريم فى قول ربنا فى أول سورة الروم: "آلم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [٥٠]، مجردة من التاء، وهو الأفصح كما مر فى لسان العرب، هذا وقد خلت مؤلفات اللغويين فيما بعد من الحديث عن التغليب إلا من بعض المحاولات على يد السيوطى فى كتابيه (الأشباه والنظائر) و(المزهر فى علوم اللغة)، اللذين وسع فيهما دائرة الحديث عن التغليب، ففى كتابه الأشباه والنظائر فى معرض حديثه عن مسائل متفرقة ذكر "اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة" [٥١]، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل على حد قوله، وقال فى موضع آخر من نفس الكتاب: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية، وفى الجمع، وفى عود الضمير، وفى الوصف، وفى العدد " [٥٢]، وقد عقد بابا فى كتاب المزهر فى (ذكر المثنى على التغليب) عزا فيه إلى ابن السكيت قوله: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جُؤَية [٥٣]، وآخر فى ذكر المجموع على التغليب قال فيه: "وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى

---

[٤٦] الكتاب ٨١/٢.

[٤٧] الكتاب ٣٦٥/٤.

[٤٨] الكتاب ١٠٠/٢-١٠١.

[٤٩] الكتاب ٥٦١/٣.

[٥٠] الروم ١-٣.

[٥١] الأشباه والنظائر ١١٣/١.

[٥٢] الأشباه والنظائر ١١٤/١.

[٥٣] انظر: المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ١٨٥/٢.

والمكنى بابا لذلك" [٥٤]، أما التهانوى فقد عقد بابا للتغليب قال فيه: "التغليب باللام عند أهل المعانى إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر إجراء للمختلفين مجرى المتفقين" [٥٥]، ولم يكتف بتعريف التغليب بالحد وإنما عرج على تعريف التغليب بالرسم، فذكر أمثلة للتغليب، كتغليب المذكر على المؤنث، والعاقل على غير العاقل والعكس، وتغليب المشرق على المغرب بلفظ المشرقين، وعد إبليس من الملائكة بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم، واستشهد على ذلك كله بآيات من الكتاب العزيز، وعد التغليب من المجاز؛ لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له [٥٦]، فكانت محاولته رائعة، ومؤخرا عرف مجمع اللغة العربية فى معجمه الوسيط التغليب بالقول: "التغليب فى اللغة : إيثار أحد اللفظين على الآخر فى الأحكام العربية إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط، كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر" [٥٧]، وباستقراء التعريفين السابقين للتغليب نجد أن تعريف مجمع اللغة العربية لهذا المصطلح أكثر دقة وإحكاما من تعريف التهانوى، وأن تعريف التهانوى الأول الذى عزاه إلى أهل المعانى أكثر إحكاما من لاحقه للأسباب الآتية:

– ذكر التهانوى فى تعريفه الثانى لفظة (قيل) ولم يذكر القائل أو لم يعزُ هذا الكلام إلى قائل معين أو إلى أهل علم بعينه، وهذايفقد أى تعريف قيمته ومصداقيته.

– ذكر التهانوى كلمة ترجيح فى تعريف التغليب، ولو قال (تغليب) أحد المغلبين لكان أولى وأنسب لفكرة نصرة عنصر على آخر وأن الغالب يعم الاثنين معا، فالتغليب أقرب إلى العموم.

– ذكر التهانوى لفظة (المغلوبين) حين قال (ترجيح أحد المغلوبين)، ولا يمكن أن يكون العنصران مغلوبين، ولفظة (مغلوب) ليست من ألفاظ الأضداد ولو قال ترجيح أحد المغلبين لكان أصوب؛ لأن لفظة (مغلب) تطلق على الغالب والمغلوب وهى من ألفاظ الأضداد، وذلك واضح من كلام المعجميين السابق.

– فى قول التهانوى (إجراء للمختلفين مجرى المتفقين) إيحاء بأن التغليب يكون بين الشيئين المتضادين فقط، والأمر بخلاف ذلك، فقد يكون التغليب بين الشيئين المتضادين أو لا، وإن كان غالبا بين المتضادين، وقول مجمع اللغة العربية (إذا كان بين مدلوليهما علقة واختلاط) أدق وأصوب، ودليل ذلك ما عزاه السيوطى إلى ابن السكيت من إطلاق العَمْرين على اثنين من الناس فى اسميهما (عمرو)، والعُمَرين كما جاء فى تعريف مجمع اللغة العربية على أبى بكر وعمر.

---

[٥٤] المزهر ٢٠٤/٢.

[٥٥] كتاب كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣.

[٥٦] انظر: كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣ و ١٠٩٠.

[٥٧] المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

وباستقراء كل ما تقدم يمكن حد التغليب بأن يجتمع عنصران لغويان ويغلب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم – ويمكن حد الغلبة بالتعريف نفسه مع إبدال (يَغْلِبُ أحدهما الآخر) بـ(يُغَلَّبُ أحدُهما على الآخر)، ويمكن التفريق بين الغلبة والتغليب على النحو الآتى:

– الغلبة من (غَلَب)، والتغليب من (غَلَّب)، وكأنه فى الغلبة يغلب العنصر أخاه بنفسه أو بسبب من داخل السياق، وفى التغليب يغلب الناس عنصرا على آخر، كتغليب المذكر على المؤنث والعاقل على غير العاقل أو العكس، وتغليب الأب على الأم بإطلاق لفظ الأبوين عليهما، للخفة أو للشهرة كما جاء فى المزهر منسوبا إلى ابن السكيت، فلشهرة المشرق غلب على المغرب فأطلق عليهما المشرقان، أو لكثرة أحد المغلبين أو لشرف الآخر وهكذا، ولذا كان ابن منظور مبدعا عندما قال: (وغلبته أنا عليه تغليبا).

– تضعيف عين الفعل – كما هو معلوم – يدل على تكرار حدوث الفعل وهذا يتحقق فى التغليب لا فى الغلبة، أى أن التغليب تكرار لمجيء لفظ يعم نفسه وغيره كما يعم المذكر المؤنث فى كثير من آى الكتاب العزيز.

– الغلبة من ألفاظ الأضداد بمعنى الفوز والهزيمة كالمغلب بمعنى الغالب والمغلوب، ومنه قوله تعالى "وهم من بعد غلبهم سيغلبون" [٥٨] أى من بعد كونهم مغلوبين مهزومين، والتغليب ليس كذلك.

– التغليب يكون بين شيئين بينهما علقة أو اختلاط، والغلبة لا يشترط لها ذلك.

وقد تستخدم الغلبة بمعنى التغليب كما فى قول سيبويه:

"وتقول: هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل لأن المذكر يغلب المؤنث" [٥٩]، فقوله يغلب من الغلبة، والغلبة هنا بمعنى التغليب، وقد يخرج قول سيبويه على أن المذكر غلب المؤنث، فغلب عليه، أى أن التغليب قد يكون فى أول الأمر غلبة، بحيث يغلب أحد العنصرين المغلبين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب.

هذا ولكل من الغلبة والتغليب دلالات فى السياقات التى ترد فيها، ذكر العلماء بعضها فى المواطن التى تحدثوا فيها عن الغلبة أو التغليب، وبدورى سأحاول الوقوف على هذه الدلالات، فالهدف الأسمى لأى دراسة لغوية هو المعنى، وسأقسم بحثى هذا إلى مستويين الأول لدراستهما على مستوى البنية، والثانى للدراسة على مستوى التركيب، منطلقا من أقوال العلماء فى

---

[٥٨] الروم ٣.

[٥٩] الكتاب ٣/٥٦١.

هذين المصطلحين، وصولا إلى دلالة كل منهما، من طريق استقراء ما قال العلماء فى كل شكل من أشكال الغلبة أو التغليب فى اللغة العربية.

المبحث الأول: الغَلَبَة

أولا: الغلبة على مستوى البنية:

(أ) اجتماع الواو والياء وغلبة الياء:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وقال: "إذا اجتمع الواو والياء غلبت الياء نحو طويت طيا والأصل طويا" [٦٠]، وذكر لفظى (غلبة) و(غلبت)، فعد هذا من الغلبة وحدد لنفسه منهجا سار عليه فى أكثر من موضع وهو أن الغلبة بمعنى الفوز فى كل ما يذكر فعندما يقول (وغلبة الياء) أى أن الفوز للياء، وهو ما أسير عليه فى هذا البحث، وسار عليه كل علماء اللغة تقريبا، فالغلبة بمعنى الفوز، وقد عقد سيبويه بابا فى كتابه قال فيه: "هذا باب ما تقلب الواو فيه ياء إذا كانت متحركة والياء قبلها ساكنة، أو كانت ساكنة والياء بعدها متحركة، وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التى تدانت مخارجها لكثرة استعمالهم إياهما وممرهما على ألسنتهم، فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها كان العمل من وجه واحد، ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم لشبهها بالألف، وذلك قولك فى فيعل: سيد وصيب، وإنما أصلهما سيود وصيوب" [٦١]، وفى الأصول لابن السراج: "كلما التقت واو وياء وسكن الأول منهما، قلبوا الواو ياء، وأدغموا الياء فى الياء، وأكثر الكلام على هذا إلا أحرفا شاذة" [٦٢]، وفى الخصائص: "الياء والواو متى اجتمعتا وسبقت الأولى بالسكون منهما ولم تكن الكلمة علما، ولا مرادا بصحة واوها التنبيه على أصول أمثالها، ولا كانت تحقيرا محمولا على تكسير، فإن الواو منه تقلب ياء" [٦٣]، وفى موضع آخر منه:

" وليعلم أن هذا الضرب من التركيب وإن قل فى الاستعمال فإنه مراد على كل حال" [٦٤]، وفى شرح الشافية: "وتقلب الواو عينا أو لاما أو غيرهما ياء إذا اجتمعت مع ياء وسكن السابق" [٦٥]، وبالنظر فى كل ما تقدم نلحظ أن كلمة (غلبة) لم تأت إلا فى نص السيوطى، واكتفى سيبويه بقوله: (وكانت الياء الغالبة)، إلا أن نص سيبويه واف فى هذه المسألة، حيث شرح منطق الغلبة بدقة وإتقان ؛ فكانت الدلالات دقيقة متقنة، فالغرض الأسمى من أى إجراء بنيوى هو طلب الخفة، والغرض الأسمى من أى إجراء تركيبى هو أمن اللبس، وغلبة الياء هنا بقلب الواو ياء هدفه طلب الخفة ولذا قال سيبويه: "ورفع اللسان من موضع واحد أخف عليهم، وكانت الياء

---

[٦٠] الأشباه والنظائر ١١٥/١.

[٦١] الكتاب ٣٦٥/٤.

[٦٢] الأصول ٢٦٢/٣.

[٦٣] الخصائص ١٥٥/١.

[٦٤] الخصائص ١٥٦/١.

[٦٥] شرح شافية ابن الحاجب ١٣٩/٣.

الغالبة فى القلب لا الواو لأنها أخف عليهم" [٦٦] فذكر كلمة (أخف) مرتين، وفى نصه عديد الدلالات، منها:

– تقلب الواو ياء هنا لأن الياء والواو بمنزلة ما تقارب مخرجاهما.

– غلبة الياء فى القلب نابعة من خفة الياء لشبهها بالألف.

– إدغام الياء فى الياء خفيف لأن رفع اللسان من موضع واحد أخف من رفعه من موضعين.

– كراهية اجتماع الواو مع الياء، ذكره سيبويه فى موضع آخر من كتابه، قال: "وإذا قلت يفعل فبعض العرب يقولون ييجل كراهية الواو مع الياء، شبهوا ذلك بأيام ونحوها" [٦٧].

وفى قول ابن جنى عن هذا القلب (فإنه مراد على كل حال) إشعار بأن هذا النوع من الغلبة يقترب كثيرا من التغليب، فالخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق، وكثيرا ما يميل نحو هذا أو ذاك؛ ولأن الواو هنا تُعطى حكم الياء، ثم تُغَلَّبُ الياء فى البنية.

(ب) اجتماع الساكنين وغلبة الثانى:

من القواعد المقررة أنه إذا التقى ساكنان يتم التخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه، وأحيانا يحرك الثانى؛ وذلك لكراهة التقاء الساكنين فى اللغة العربية، وبذلك تكون الغلبة للساكن الثانى، الذى غالبا ما يبقى صامدا أمام الساكن الأول إلى أن يحذف أو يحرك، وفى ذلك يقول سيبويه: "ومن كلامهم أن يحذفوا الأول إذا التقى ساكنان، وذلك قولك: اضرب ابن زيد، وأنت تريد الخفيفة (اضربن)" [٦٨]، والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر، يقول سيبويه: "لأن الفعل إذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر، وذلك قولك اضرب الرجل [٦٩]، ويقول الاستراباذى فى شرح الشافية: "وإذا خليت نفسك وسجيتها وجدت منها أنها لا تلتجئ فى النطق بالساكن الثانى المستحيل مجيئه بعد الساكن الأول من بين الحركات إلا إلى الكسرة، وإن حصل لها هذا المقصود بالضمة والفتحة أيضا" [٧٠]، ويقول فى موضع آخر: "والأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر لما ذكرنا أنه من سجية النفس، إذ لم تستكره على حركة أخرى، وقيل إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذى نحن فيه، ومن همزة الوصل الكسر لأن السكون فى الفعل: أى الجزم أقيم مقام الكسر فى الاسم أى الجر، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص" [٧١]، وقد يكون التقاء

---

[٦٦] الكتاب ٣٦٥/٤.

[٦٧] الكتاب ١١١/٤.

[٦٨] الكتاب ٥٠٤/٣ و٥٠٥.

[٦٩] الكتاب ٥٣٢/٣.

[٧٠] شرح شافية ابن الحاجب ٢١٠/٢–٢١١.

[٧١] شرح شافية ابن الحاجب ٢٣٥/٢ وانظر ٢٤٠/٢.

الساكنين فى كلمة واحدة نحو: قل، أو فى كلمتين نحو: قامت الصلاة، والتخلص منه فى الكلمة غلبة على مستوى البنية، وإذا كان فى كلمتين فالتخلص منه غلبة على مستوى التركيب، وفى كلتا الحالتين يكون التخلص طلبا للخفة؛ لأن الساكن الأول كالموقوف عليه، والثانى كالمبدوء به، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بساكن كما لا يوقف على متحرك، فالغلبة هنا لتحقيق خفة الكلام، ولذا اغتفر التقاء الساكنين عند الوقف مطلقا، وفيما اشتمل على تضعيف تال لمد لتحقق الخفة فيهما، وفى هذين الموضعين لا تكون غلبة، حيث لم يغلب شىء شيئا.

(ج) اجتماع الهمزتين المتحركة والساكنة وغلبة المتحركة:

فى الكتاب: "واعلم أن الهمزتين إذا التقتا فى كلمة واحدة لم يكن بد من بدل الآخرة"[٧٢]، وفى المفصل: "وإذا التقت همزتان فى كلمة فالوجه قلب الثانية إلى حرف لين كقولهم آدم وأيمة وأويدم" [٧٣]، وفى شرح المفصل لابن يعيش: "اعلم أن الهمزة حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق، إذ كان أدخل الحروف فى الحلق، فاستثقل النطق به، إذ كان إخراجه كالتهوع (التقيؤ)، فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف ... وتخفيفها كما ذكر بالإبدال والحذف وأن تجعل بين بين" [٧٤]، وفيه أيضا فى موضع آخر: "فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف، فإذا كانتا فى كلمة واحدة كان الثقل أبلغ، ووجب إبدال الثانية إلى حرف لين نحو: آدم وآخر وأيمة وجاء وخطايا، فأما آدم فأصله أأْدم بهمزتين الأولى همزة أفعل والثانية فاء الفعل لأنه من الأدمة" [٧٥]، فإذا اجتمع همزتان الأولى متحركة والثانية ساكنة، تقلب الثانية مدة من جنس حركة الهمزة الأولى، فتكون الغلبة للهمزة الأولى المتحركة، وإنما كانت الغلبة للأولى المتحركة لكونها متحركة ولكون الثانية ساكنة، وبدهى أن تتأثر الساكنة بالمتحركة، فالحركة أقوى من السكون، ذلك أنه إذا اجتمع ساكنان يُتخلص من هذا الاجتماع بتحريك أحد الساكنين، وغالبا ما يكون الأول، لكراهة اجتماع الساكنين، فإذا اجتمع متحرك وساكن لا يمكن بحال أن يسكن المتحرك فيلتقى ساكنان، فيكون هذا هروبا مما هو مستثقل إلى ما هو أكثر استثقالا، هذا بالإضافة إلى أن المتحرك أول الكلمة، وإن سكن بدئ بساكن، ولا يبتدأ فى اللغة العربية بالساكن كما تقدم، وبهذا يكون لهذا الشكل من أشكال الغلبة فى العربية دلالات منها:

– الهمزة حرف شديد مستثقل لخروجه من أقصى الحلق، فإذا اجتمع همزتان زاد الثقل، ووجب التخفيف، فإن كان اجتماعهما فى كلمة واحدة كان الاستثقال أكبر وأبلغ. فيلزم التخفيف من طريق غلبة الأولى على الثانية، بإبدال الثانية حرفا من جنس الأولى.

---

[٧٢] الكتاب ٣/٥٥٢.

[٧٣] شرح المفصل ٩/١١٦.

[٧٤] شرح المفصل ٩/١٠٧.

[٧٥] شرح المفصل ٩/١١٦.

– الغلبة هنا سببها استثقال اجتماع الهمزتين، وغلبة الأولى على الثانية تحديدا سببها تحرك الأولى وسكون الثانية، بالإضافة إلى الثقل فى خروج الحرف من أقصى الحلق، وبذلك يكون للغلبة هنا سببان الأول من داخل السياق والآخر من خارجه، فاجتماع الهمزتين مستثقل ولا يكون الاجتماع إلا فى سياق، والنطق بالهمزة على المستوى العضوى ثقيل فكيف إذا كانتا اثنتين.

ثانيا: الغلبة على مستوى التركيب:

(أ) اجتماع ألف الاستفهام وأحرف العطف وغلبة الاستفهام:

ذكر ابن هشام فى حديثه عن أحكام ألف الاستفهام" أنها إذا كانت فى جملة معطوفة بالواو أو بالفاء أو بثم قدمت على العاطف تنبيها على أصالتها فى التصدير" [٧٦] وذكر لذلك أمثلة من القرآن الكريم، والحق أن الأمثلة على ذلك كثيرة جدا فى القرآن الكريم، وقد نص على ذلك سيبويه فى كتابه، فقال: "وهذه الواو التى دخلت عليها ألف الاستفهام كثيرة فى القرآن" [٧٧].

وإنما اختص سيبويه الواو بالذكر من بين أحرف العطف المذكورة؛ لكثرة مجيئها فى القرآن بعد ألف الاستفهام مقارنة بـ (ثم) ولأنها أم الباب، ومن ذلك قوله تعالى: "أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض" [٧٨]، وقوله تعالى: "أولم ير الإنسان أنا خلقناه" [٧٩]، وقد ورد (أفلا تعقلون) فى القرآن الكريم بتاء الخطاب فى ثلاث عشرة مناسبة [٨٠]، وبالياء فى مناسبة واحدة فى قوله تعالى فى سورة يس: "أفلا يعقلون" [٨١]، وقال تعالى: "أثم إذا ما وقع آمنتم به" [٨٢]، فى حين تتأخر أدوات الاستفهام الأخرى عن العاطف، قال تعالى: "فأين تذهبون" [٨٣]، وقال تعالى: "فأنى تؤفكون" [٨٤]، فالأصل أن تتقدم حروف العطف على ألف الاستفهام كما تتقدم على غيرها من أدوات الاستفهام، لأنها جزء من جملتها، وجملة الاستفهام معطوفة على غيرها ولا يتقدم جزء من المعطوف على حرف العطف، وقد خولف ذلك تنبيها على أصالة الهمزة فى التصدير، كما ذكر ابن هشام فى مغنى اللبيب وقال: "هذا مذهب سيبويه والجمهور وخالفهم جماعة أولهم الزمخشرى فزعموا أن الهمزة الأولى فى تلك المواضع فى محلها الأصلى، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف فيقولون فى "أفلم يسيروا" [٨٥]: أمكثوا فلم يسيروا، ويضعف قولهم ما فيه من التكلف وأنه غير مطرد فى جميع المواضع" [٨٦]، وعلى رأى سيبويه والجمهور القائل بأن الهمزة قدمت من تأخير تنبيها على أصالتها فى التصدير تكون هذه المواضع مواضع مغالبة

---

[٧٦] مغنى اللبيب ٣٨/١.

[٧٧] الكتاب ١٨٨/٣.

[٧٨] الأعراف ١٨٥.

[٧٩] يس ٧٧.

[٨٠] انظر: البقرة ٤٤ و٧٦، وآل عمران ٦٥، والأنعام ٣٢. وغيرها من الآيات.

[٨١] يس ٦٨.

[٨٢] يونس ٥١.

[٨٣] التكوير ٢٦.

[٨٤] غافر ٦٢.

[٨٥] غافر ٨٢.

[٨٦] مغنى اللبيب ٣٨/١ وانظر شرح التصريح على التوضيح ١٥٥/٢.

بين ألف الاستفهام وحروف العطف المذكورة، غلبت فيها ألف الاستفهام هذه الأحرف فقدمت عليها تنبيها على أصالتها وحقها فى التصدير ؛ لأصالتها فى الاستفهام، وهو من باب الغلبة التى تقترب كثيرا من التغليب، لأن الأمر يغلب فى كل جملة اجتمع فيها ألف الاستفهام بالواو أو بالفاء أو بـ (ثم)، فتقدم ألف الاستفهام على أحرف العطف، فإذا خولف هذا الأصل مع غير ألف الاستفهام وقدمت حروف العطف كانت الغلبة للعطف على الاستفهام، ولا يعد هذا تغليبا تاما لأن العطف والاستفهام هنا لا يأخذان حكما واحدا.

(ب) اجتماع الضميرين وغلبة المتكلم ثم المخاطب ثم الغائب:

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، ونص على لفظة الغلبة، وقال: "إذا اجتمع ضميران متكلم ومخاطب غلب المتكلم نحو قمنا، وإذا اجتمع مخاطب وغائب غلب المخاطب نحو قمتما" [٨٧]، ولعله يقصد اجتماع الضميرين المتصلين، فمعلوم أن ضمير المتكلم أخص من ضمير المخاطب، وضمير المخاطب أخص من ضمير الغائب، فإن اجتمع ضميران أحدهما أخص من الآخر وكانا متصلين، وجب تقديم الأخص منهما [٨٨]، قال تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" [٨٩] فقدم (نا) المتكلم على كاف المخاطب، وقال تعالى: "فسيكفيكهم الله" [٩٠]، فقدم كاف المخاطب على ضمير الغيبة (هم)، فالغلبة عند اتصال الضمائر للمتكلم ثم للمخاطب ثم للغائب على الترتيب.

---

[٨٧] الأشباه والنظائر ١/١١٥.

[٨٨] انظر: شرح ابن عقيل ١/٥٢.

[٨٩] الكوثر ١.

[٩٠] البقرة ١٣٧.

(ج) اجتماع الطالبين وغلبة الطالب الأول:

ذكره السيوطى أيضاً ولم ينص على لفظة (غلبة)، بينما قال : "اجتماع الطالبين ومراعاة الطالب الأول (وقال) إذا اجتمع القسم والشرط جعل الجواب للأول منهما إذا لم يتقدمهما شىء، ومنها أن العرب راعت المتقدم فى قولهم عندى ثلاثة ذكور من البط وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتو بالتاء مع ثلاثة لما تقدما لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، ومنها قال الكوفيون إذا تنازع عاملان فالأولى إعمال الأول جريا على هذه القاعدة"[٩١]، بذلك يكون السيوطى قد ذكر ثلاثة أشكال للغلبة تندرج تحت اجتماع الطالبين وغلبة الأول، أولها اجتماع الشرط والقسم وغلبة المتقدم فى الظفر بالجواب إذا لم يتقدمهما شىء، ذلك أن كل واحد من الشرط والقسم يستدعى جوابا، فإذا اجتمعا حذف جواب المتأخر منهما لدلالة جواب الأول عليه [٩٢]، وإنما كانت الغلبة للمتقدم لاستواء كل من الشرط والقسم فى حق التصدير، فلما كان لكل واحد منهما الحق فى التصدير، جعلت الغلبة لمن يتقدم من باب أن العرب دائما تقدم الذى هو أهم، ومن باب الترتيب ليكون الأول للأول، والأمر غير مطرد كما سيأتى فى التنازع، ولعدم اطراده عد من الغلبة لا التغليب، والثانى من هذه الأشكال ما ذكره السيوطى من قول العرب: عندى ثلاثة ذكور من البط، وعندى ثلاث من البط ذكور، فأتوا بالتاء لما تقدم لفظ ذكور، وحذفوها لما تقدم لفظ البط، فآلت الغلبة إلى الطالب الأول منهما، فلغلبة (ذكور) أنث العدد للمخالفة، وخلا العدد من التاء لما غلب لفظ (البط) وهو مؤنث، وغلبة كل واحد منهما كانت بالتقديم على الآخر، والحق أن السيوطى لم يكن بديع أفكاره فى ذلك، فقد ذكره سيبويه فى كتابه عندما قال: "وتقول له ثلاث من البط لأنك تصيره إلى بطة، وتقول له ثلاثة ذكور من الإبل؛ لأنك لم تجئ بشىء من التأنيث، وإنما ثلثت المذكر ثم جئت بالتفسير" [٩٣]، والثالث مما ذكره السيوطى من أشكال الغلبة التنازع، "وحقيقته أن يتقدم فعلان متصرفان أو اسمان يشبهانهما أو فعل متصرف واسم يشبهه، ويتأخر عنهما معمول غير سببى وهو مطلوب لكل منهما من حيث المعنى" [٩٤].

وقد ورد لذلك مثالان فى الكتاب العزيز: الأول "آتونى أفرغ عليه قطرا" [٩٥]، والثانى "هاؤم اقرءوا كتابيه" [٩٦] فهاؤم اسم فعل أمر بمعنى (خذوا) ويشبهه فى العمل، واشترط العلماء للتنازع هذا أن يكون العامل من جنس الفعل أو شبهه من الأسماء، فلا تنازع بين الحروف ولا

---

[٩١] الأشباه والنظائر ١١٤/١.

[٩٢] انظر: شرح ابن عقيل ٢١/٤.

[٩٣] الكتاب ٥٦٢/٣.

[٩٤] أوضح المسالك ٩٦.

[٩٥] الكهف ٩٦.

[٩٦] الحاقة ١٩.

بين الحرف وغيره، ولا بين الجوامد، وأجازه المبرد فى فعلى التعجب، نحو: ما أحسن وأجمل زيدا! وأحسن به وأجمل بعمرو!، وألا يتقدم المعمول على الشيئين المتنازعين أو يتوسط بينهما فإذا حدث ذلك انتفى التنازع [٩٧]، وفى ذلك قال سيبويه: "وهو قولك ضربت وضربنى زيد، وضربنى وضربت زيدا، تحمل الاسم على الفعل الذى يليه، فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين، وأما فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لا يعمل فى اسم واحد نصب ورفع، وإنما كان الذى يليه أولى لقرب جواره، وأنه لا ينقض معنى، وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع بزيد" [٩٨]، وقد فصل ابن الأنبارى فى الإنصاف [٩٩] القول فى منطق الغلبة بين المتنازعين، حيث ذهب الكوفيون فى إعمال الفعلين إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثانى أولى، واستدل كل من الفريقين فى ترجيح كلامه بالدليل نفسه الذى استدل به الآخر وهو النقل والقياس، إلا أن نقل البصريين كان عن رب العزة فى كتابه – ومن أصدق من الله حديثا؟!– فقد قال الله تعالى (آتونى أفرغ عليه قطرا) فأعمل الفعل الثانى وهو (أفرغ) ولو أعمل الفعل الأول لقال أفرغه عليه، وقال تعالى (هاؤم اقرءوا كتابيه) فأعمل الثانى وهو (اقرءوا) ولو أعمل الأول لقال اقرءوه، أما القياس عند الكوفيين فهو أن الفعل الأول سابق الفعل الثانى وهو صالح للعمل كالفعل الثانى، إلا أنه لما كان مبدوءا به كان إعماله أولى؛ لقوة الابتداء والعناية به، وأما القياس عند البصريين فقد انبنى على أن الفعل الثانى أقرب إلى المتنازع عليه من الفعل الأول وليس فى إعماله دون الأول نقض معنى فكان إعماله أولى، وبذلك تكون الغلبة للطالب الأول عند الكوفيين لقوة الابتداء والعناية به، وتكون للطالب الثانى عند البصريين لقربه من المتنازع عليه وانتفاء نقض المعنى فى عمله دون الأول، ولقوة النقل عندهم لأنه جاء عن رب العزة سبحانه.

ومن خلال ما تقدم من أشكال الغلبة نلحظ أنه لم يُعط شىء حكم شىء آخر كالتغليب، أو لم يجر شيئان مجرى شىء واحد، فيتفقا فيه، ولم نُغَلّب نحن عنصرا لغويا على آخر من تلقاء أنفسنا، وإنما كانت المواضع التى ذكرتها مواضع مغالبة يتغالب فيها عنصران لغويان فيغلب أحدهما الآخر إما لتقدمه، أو لأنه الأحق بالصدارة، أو لأنه أخص من أخيه، أو لقوته المنبثقة من حركته وسكون الآخر، أو لخفة تقتضيها هذه الغلبة، فعندما يلتقى الساكنان مثلا ونتخلص من التقائهما بحذف الساكن الأول أو بتحريكه لا يمكن أن نسمى ذلك تغليبا، لأننا لم نسكن متحركا فيجتمع ساكنان ونعطيهما حكما واحدا، بل على النقيض كان الحرفان ساكنين أى فى حكم واحد هو السكون، ولاستثقاله، وكراهته فرقنا بين الساكنين فأعطينا الأول حكما آخر يختلف

---

[٩٧] انظر: شرح شذور الذهب ٤٢٥.

[٩٨] الكتاب ٧٣/١ و٧٤.

[٩٩] انظر الإنصاف فى مسائل الخلاف ٨٣/١-٩٢.

عن السكون وهو الحركة أو الحذف، ولذا كان الموضع موضع غلبة يغلب فيه الساكن الثانى الساكن الأول بصموده أمامه، وأحيانا يغلب الأول الثانى فيتحرك الثانى، فالفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب هو أنه مع التغليب يعطى شىء حكم آخر بإيثار أحد اللفظين على أخيه، فيطلق لفظ واحد على الاثنين معا، أو يخاطب العنصران معا مخاطبة واحدة، كمخاطبة المذكر والمؤنث بلفظ المذكر، ومخاطبة العاقل وغير العاقل بلفظ العاقل أوالعكس، وسيتضح ذلك بدراسة مواطن التغليب وأشكاله فى اللغة العربية على مستويى البنية والتركيب.

المبحث الثانى: التغليب

أولا: التغليب على مستوى البنية :

(أ) تغليب اسم (جمع المؤنث السالم) على (جمع الألف والتاء):

الجموع التى تنتهى بالألف والتاء المزيدتين تسمى جموع الألف والتاء، إلا أن كثيرا من العلماء يطلق عليها جمع المؤنث السالم، تغليبا لاسم المؤنث على المذكر فى هذا النوع من الجموع، ذلك أن من هذه الجموع ما هو مؤنث ومنها ما هو مذكر، كجمع مجال على مجالات، وإصطبل على إصطبلات، وكلاهما مذكر، بيد أن معظم الكلمات التى تجمع بزيادة الألف والتاء مؤنثة، ومن باب تغليب اسم المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، على الرغم من أن كلمات مذكرة تجمع هذا الجمع، فالتغليب هنا ليس من حيث الأصل ولا من حيث الأهمية، ولا من حيث التمكن، فالتذكير هو الأصل، وهو الأشد تمكنا، وقد نص سيبويه على ذلك حين قال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا" [١٠٠] ولكن منطق التغليب هنا أن الكثرة تغلب القلة، فلما كانت الكلمات التى تجمع على هذا الجمع أكثرها من المؤنث سمى هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم، هذا على مستوى البنية، ولأن الأمر يتعلق بمسمى يطلق على شكل من أشكال الجموع، فلما كان للمفرد باب، وللمثنى باب، ولجمع المذكر باب آثر اللغويون أن يطلقوا على هذا النوع من الجموع جمع المؤنث السالم ليكون له باب كغيره، أما على مستوى التركيب فالغلبة للمذكر فى التغليب لأنه الأصل الأشد تمكنا كما قال سيبويه، وإن كان أقل، ولأن الحديث هنا عن مسميات الأشياء، والحديث فى التركيب عن ذواتها ويتجاوز فى الأسماء ما لا يتجاوز فى الذوات، فلم يكن التغليب هنا للمؤنث على المذكر، وإنما كان لاسم المؤنث على اسم المذكر وسيأتى بإذن الله تغليب المذكر على المؤنث فى التركيب.

(ب) تغليب أحد الاسمين على صاحبه لخفته أو لشهرته:

ذكره السيوطى فى المزهر فى باب (ذكر المثنى على التغليب) منسوبا إلى ابن السكيت، قال: "قال ابن السكيت: باب الاسمين يغلب أحدهما على صاحبه لخفته أو لشهرته، من ذلك العمران عمرو بن جابر بن هلال، وبدر بن عمرو بن جؤية" [١٠١]، ومن ذلك ما جاء فى المعجم الوسيط: "كما فى الأبوين الأب والأم، والمشرقين المشرق والمغرب، والعمرين أبى بكر وعمر" [١٠٢]، فى باب التغليب، وقال التهانوى: "غلب المشرق لأنه أشهر الجهتين"[١٠٣]، أو لما أثبته

---

[١٠٠] الكتاب ٢٤١/٣.

[١٠١] المزهر فى علوم اللغة ١٨٥/٢.

[١٠٢] المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

[١٠٣] كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣ و١٠٩٠.

العلم الحديث من أن كل مشرق مغرب، وكل مغرب مشرق وكان القرآن معجزا فى ذلك، ففى هذا يغلب اسم من الاسمين على أخيه فيعطى الثانى حكم الأول، ويطلق الأول عليهما معا، لما بينهما من علاقة سماها مجمع اللغة العربية فى المعجم الوسيط العلقة أو الاختلاط [١٠٤]، ومن ذلك ما ذكره سيبويه فى معرض حديثه عن العَلَم بالغلبة حين قال: "والصعق فى الأصل صفة تقع على كل من أصابه الصعق، ولكنه غلب عليه حتى صار علما بمنزلة زيد وعمر" [١٠٥].

(ج) المجموع على التغليب:

ذكره السيوطى فى المزهر أيضاً فى باب ذكر المجموع على التغليب منسوبا إلى المبرد، قال: "قال المبرد فى الكامل من ذلك قوله (سلام على إلياسين) [١٠٦] فجمعه على لفظ إلياس ... وقد عقد ابن السكيت فى كتاب المثنى والمكنى بابا لذلك" [١٠٧]، ففى تفسير قوله تعالى (إلياسين) قولان الأول أنه لغة فى إلياس، والثانى أن المقصود به إلياس وأتباعه، وعلى التفسير الثانى يكون رب العزة سبحانه قد غلب اسم إلياس على أتباعه فقال (إلياسين).

ثانيا: التغليب على مستوى التركيب:

(أ) تغليب المذكر على المؤنث:

فى الأشباه والنظائر: "إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، وبذلك استدلوا على أنه الأصل، والمؤنث فرع عليه، وهذا التغليب يكون فى التثنية وفى الجمع، وفى عود الضمير وفى الوصف وفى العدد [١٠٨]، وفى شرح المفصل: "ولما كان المذكر أصلا والمؤنث فرعا عليه لم يحتج المذكر إلى علامة لأنه يفهم عند الإطلاق إذا كان الأصل، ولما كان التأنيث ثانيا لم يكن بد من علامة تدل عليه، والدليل على أن المذكر أصل أمران: أحدهما مجيئهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث [التغليب]، الثانى أن المؤنث يفتقر إلى علامة ولو كان أصلا لم يفتقر إلى علامة " [١٠٩]، وفى الكتاب: "وتقول هذا حادى أحد عشر إذا كن عشر نسوة معهن رجل؛ لأن المذكر يغلب المؤنث" [١١٠]، وقد بين سيبويه منطق التغليب فى ذلك، فقال: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد فكل مؤنث شىء، والشىء يذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا .. فالتذكير قبل، وهو أشد تمكنا عندهم، فالأول هو أشد تمكنا عندهم"[١١١] ومنه ما جاء فى كتاب

---

[١٠٤] انظر: المعجم الوسيط [غ. ل. ب] ٦٥٨.

[١٠٥] الكتاب ٢/١٠٠-١٠١.

[١٠٦] الصافات ١٣٠.

[١٠٧] المزهر ٢/٢٠٤.

[١٠٨] الأشباه والنظائر ١/١١٤.

[١٠٩] شرح المفصل ٥/٨٨.

[١١٠] الكتاب ٣/٥٦١.

[١١١] الكتاب ٣/٢٤١.

سيبويه: "وتقول: ثلاثة أشخص وإن عنيت نساء؛ لأن الشخص اسم مذكر" [١١٢]، والأمثلة على هذا النوع من التغليب كثيرة جدا فى القرآن الكريم، قال تعالى: "وكانت من القانتين" [١١٣]، وقد علق التهانوى على ذلك فى كشافه فقال: "والأصل قانتات فعدت الأنثى من المذكر تغليبا ... وإنما كان التغليب مجازا لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له، فإن القانتين مثلا موضوع للذكور، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق على غير الموضوع له، كذا فى الإتقان فى نوع الحقيقة والمجاز" [١١٤].

ويدخل فى ذلك كل خطاب موجه إلى الناس بصيغة المذكر قصد به المذكر والمؤنث جميعا، تغليبا للمذكر على المؤنث، كقوله تعالى: "**هدى للمتقين**" [١١٥] أى هذا الكتاب هدى للمتقين والمتقيات وغلب المذكر، ومنه قوله تعالى: "**قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون**" [١١٦] فالمقصود المؤمنون والمؤمنات، والخاشعون والخاشعات، والمعرضون والمعرضات، والفاعلون والفاعلات، والحافظون والحافظات، وكان الخطاب بصيغة المذكر تغليبا للمذكر، فهذه الكلمات المذكورة فى الآيات موضوعة فى اللغة للذكور، وإطلاقها على الذكور والإناث من باب جعل اللفظ لما ليس له، أو من باب إعطاء الشىء حكم شىء آخر، وهذا هو التغليب المقصود، وهو أشهر أنواع التغليب فى اللغة العربية وأكثرها ورودا، وهو حقيق بالرعاية والدراية، وفى ذلك يقول الآلوسى: "لأن رعاية ما هو الغالب فى النوع أولى من رعاية الأصل، والحشر مع الجماعة عيد" [١١٧]، ومنه قوله تعالى: "**وقيل ادخلا النار مع الداخلين**" [١١٨]، فالحديث عن امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا هذين العبدين الصالحين فقيل لهما ذلك، و(الداخلين) لفظ موضوع فى اللغة لجماعة الذكور، وغلب على الذكور والإناث معا فى الآية الكريمة، ومنطق التغليب فى كل ما تقدم أن المذكر يعم المذكر والمؤنث جميعا لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة.

(ب) اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة:

---

[١١٢] الكتاب ٥٦٢/٣.

[١١٣] التحريم ١٢.

[١١٤] كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣ و١٠٩٠.

[١١٥] البقرة ٢.

[١١٦] المؤمنون ١-٥.

[١١٧] روح المعانى ٦٥/١.

[١١٨] التحريم ١٠.

ذكره السيوطى فى الأشباه والنظائر، وعزاه إلى الأندلسى فى شرح المفصل قال: "إذا اجتمع النكرة والمعرفة غلبت المعرفة، تقول: هذا زيد ورجل منطلقين، فتنصب منطلقين على الحال تغليبا للمعرفة، ولا يجوز الرفع، ذكره الأندلسى فى شرح المفصل" [١١٩]، وقد عقد سيبويه بابا لذلك، قال فيه: "هذا باب ما غلبت فيه المعرفة النكرة، وذلك قولك هذان رجلان وعبد الله منطلقين، وإنما نصبت المنطلقين لأنه لا سبيل إلى أن يكون صفة لعبد الله، ولا أن يكون صفة للاثنين. فلما كان ذلك محالا جعلته حالا صارا فيها، كأنك قلت: هذا عبد الله منطلقا" [١٢٠]، وقد كان السيوطى مبدعا عندما قال (اجتماع النكرة والمعرفة وتغليب المعرفة) وذكر كلمة اجتماع، مشعرا بأن هذا النوع من التغليب يتحقق عندما تجتمع النكرة والمعرفة فى سياق ما ويكون ردفهما وصفا، فتغلب المعرفة على النكرة، على الرغم من أن النكرة هى الأصل، لأنها "أشد تمكنا من المعرفة، لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرف" [١٢١]، وقد جاء فى شرح المفصل : "واعلم أن النكرة هى الأصل والتعريف حادث، لأن الاسم نكرة فى أول أمره مبهم فى جنسه، ثم يدخل عليه ما يفرد بالتعريف ... فلا تجد معرفة إلا وأصلها النكرة إلا اسم الله تعالى؛ لأنه لا شريك له سبحانه وتعالى، فالتعريف ثان أتى به للحاجة إلى الحديث عن كل واحد من أشخاص ذلك الجنس" [١٢٢]، وهذا الشكل من التغليب مقرون بالسياق الذى جاء فيه إذ لا سبيل فى هذا السياق أن يكون رديف النكرة والمعرفة صفة لهما، ولما كان ذلك محالا – على حد قول سيبويه – جعل الرديف حالا صارا فيه .

(ج) اجتماع العاقل وغير العاقل وتغليب العاقل أو غيره:

ذكره التهانوى فى كشاف اصطلاحات الفنون، قال: "وقوله تعالى: (ولله يسجد ما فى السماوات وما فى الأرض) [١٢٣] غلب فيه غير العاقل على العاقل فأتى بـ(ما) لكثرته، وفى آية أخرى عبر بـ (من) فغلب العاقل لشرفه"[١٢٤]، يقصد قول الله تعالى: "ولله يسجد من فى السماوات والأرض" [١٢٥]، ففى الآية الأولى المقصود العاقل وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته، فأتى بـ(ما) وهى موضوعة فى اللغة لغير العاقل، وفى الآية الثانية غلب العاقل لشرفه وعلو قدره فأتى بـ(من) وهى موضوعة للعاقل، وذلك من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، هذا وللسياق أثر فى

---

[١١٩] الأشباه والنظائر ١١٣/١.

[١٢٠] الكتاب ٨١/٢.

[١٢١] الكتاب ٢٤١/٣.

[١٢٢] شرح المفصل ٨٥/٥.

[١٢٣] النحل ٤٩.

[١٢٤] كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣.

[١٢٥] الرعد ١٥.

هذين التغليبين، فالحديث فى سورة الرعد عن شىء من الآيات المعجزة للإنس والجن، يسوقها رب العباد لعباده لعلهم يؤمنون، وقد قال تعالى فى أول هذه الآيات: "ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" [١٢٦]، والناس يناسبهم الضمير (من) لأنه للعاقل ولذا جاء به رب العزة سبحانه فى هذه السورة، وقد ذكر رب العزة فى هذه السورة أن الرعد يسبح بحمد الله وهو من غير العاقل، ثم ذكر (من) للعاقل ليجتمع العاقل وغير العاقل فى عبادة الواحد، وفى سورة النحل ذكر خلق السموات والأرض والأنعام والآيات فى خلقها، والخيل والبغال والحمير، والماء المنزل من السماء لينبت به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب، وفيها أيضا ذكر الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم، والبحر وما فيه من آيات ومعجزات، وغير ذلك مما لا يعقل، فناسب ذلك الإتيان بـ(ما) فى هذه السورة لأنه موضوع فى اللغة لغير العاقل، وفى السورة جمهرة من غير العاقل.

ومن أشكال التغليب أيضا ما ذكره التهانوى أيضا فى قول الله تعالى: "فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين" [١٢٧]، قال: "عد إبليس منهم بالاستثناء تغليبا لكونه بينهم" [١٢٨].

وفى كل ما تقدم من ضروب التغليب نجد عنصرا لغويا يعطى حكم عنصر آخر لما بين العنصرين من علقة أو اختلاط. وبإعطاء أحد العنصرين حكم الآخر، يصير العنصران فى حكم واحد، وكأنهما شىء واحد، وكلا العنصرين مغلب لأنه ضد، أى أن هذا الإجراء تغليب لما ساد حكمه على أخيه، فعند إطلاق لفظة (الأبوين) على الأب والأم نكون قد غلبنا (الأب) على (الأم) فى اللفظ، أو أعطينا (الأم) حكم (الأب) فغلبنا اللفظ عليهما معا، وعندما يغلب المذكر على المؤنث فى السياق يعطى المؤنث حكم المذكر، فيصيران وكأنهما شىء واحد، ويخاطبان مخاطبة واحدة، وكذا عندما تغلب المعرفة على النكرة، أو عندما يعطى العاقل وغير العاقل حكما واحدا وهكذا، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته على أخيه، أو لشرفه، أو لأنه الأصل فى اللغة، وهذا التغليب فى الأصل غلبة ولذا قال لسيبويه: "هذا باب ماغلبت فيه المعرفة النكرة " [١٢٩]، إلا أن الغلبة لا يعطى فيها شىء حكم آخر، فعندما تغلب ألف الاستفهام واو العطف مثلا فى الظفر بالتصدير لاتعطى الواو حكم الاستفهام، فالتغليب غلبة يغلب فيها أحد العنصرين أخاه فيغلب عليه بإعطاء شىء حكم غيره وهذا هو الفرق الدقيق بين الغلبة والتغليب .

---

[١٢٦] الرعد ١.

[١٢٧] الحجر ٣٠ و ٣١ .

[١٢٨] كشاف اصطلاحات الفنون ١٠٨٩/٣ و ١٠٩٠

[١٢٩] الكتاب ٨١/٢.

خاتمة :

هذا البحث محاولة للتوصل إلى المعنى الوظيفى لكل من الغلبة والتغليب وإلى الفرق الدقيق بينهما، حاولت فيه تتبع هذين المصطلحين فى كتب الأقدمين فبدأت بكتب المعجم بغية الوصول إلى معنى معجمى يحيلنا إلى المعنى الوظيفى لهذين المصطلحين، ثم عرجت على كتب اللغة، محاولا الوقوف على دلالات الغلبة والتغليب، وقد قسمت البحث إلى مستويين : الأول لدراستهما على مستوى البنية والآخر لدراستهما على مستوى التركيب، وقد خلصت إلى الآتى :

– الغلبة هى انهزام عنصر أمام آخر، فتكون الغلبة للآخر الفائز، من دون أن يعطى شىء حكم شىء آخر، وذلك لقوة الفائز أو حقه فى التصدير أو لخفة تقتضيها الغلبة.

– التغليب هو اجتماع عنصرين لغويين وتغليب أحدهما على الآخر بمواطأة اللغويين المنبنية على استقراء كلام العرب والنظر فى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وذلك بإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر، وهذا التغليب يكون لكثرة أحد المغلبين، أو لشهرته، أو لشرفه، أو لأنه الأصل الأشد تمكنا فى اللغة، وبإعطاء أحد المغلبين حكم الآخر يصبحان كالشىء الواحد فيكون حكمهما واحدا ويخاطبان مخاطبة واحدة .

– التغليب يكون بين شيئين بينهما علاقة سماها مجمع اللغة العربية العلقة أو الاختلاط، والغلبة لايشترط لها ذلك .

– الخط الفاصل بين الغلبة والتغليب دقيق يميل نحو هذا وذاك، فقد تقترب الغلبة من التغليب كثيرا وذلك كغلبة الياء على الواو عندما يجتمعان ويكون الأول منهما ساكنا، فالواو تعطى حكم الياء فتقلب ياء وتدغم الياء فى الياء .

– التغليب قد يكون فى أول الأمر غلبة بحيث يغلب أحد العنصرين أخاه، ثم يصير عموم فى هذه الغلبة يعبر عنه بتضعيف عين الفعل للدلالة على تكرار حدوث الفعل، فتتحول الغلبة إلى تغليب .

والله تعالى أعلى وأعلم،

ثبت المراجع

١- الأشباه والنظائر، للسيوطى (المتوفى ٩١١ هـ) : بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م .

٢- الأصول فى النحو، لابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادى المتوفى ٣١٦هـ)، بتحقيق عبد الحسين الفتلى، مؤسسة الرسالة (بيروت –لبنان)، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م .

٣- الإنصاف فى مسائل الخلاف، لابن الأنبارى (عبد الرحمن بن محمد الأنبارى ٥١٣هـ – ٥٧٧هـ) دار الفكر .

٤- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، مكتبة محمد على صبيح، الطبعة الرابعة ١٩٦٨م.

٥- تاج العروس، للزبيدى (محمد مرتضى الزبيدى)، المطبعة الخيرية بجمالية مصر، الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.

٦- الخصائص، لابن جنى (أبو الفتح عثمان ابن جنى)، بتحقيق محمد على النجار، دار الهدى (بيروت لبنان)، الطبعة الثانية .

٧- روح المعانى، للآلوسى (شهاب الدين السيد محمود الآلوسى)، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث ودار الفكر (بيروت – لبنان) ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣م .

٨- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية .

٩- شرح شافية ابن الحاجب : تأليف الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى (المتوفى ٦٨٦هـ) بشواهد البغدادى صاحب خزانة الأدب، بتحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الفكر (بيروت – لبنان) ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م .

١٠- شرح شذور الذهب، لابن هشام، المكتبة العصرية (صيدا – بيروت) ١٩٩٧م .

١١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلى المصرى) مع كتاب منحة الجليل لمحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع القاهرة ٢٠٠٤م.

١٢- شرح المفصل، لابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على بن يعيش النحوى المتوفى ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبى بالقاهرة .

١٣- القاموس المحيط، للفيروز آبادى، عالم الكتب (بيروت – لبنان)

١٤- كتاب سيبويه، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

١٥- كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، للخليل بن أحمد الفراهيدى (المتوفى ١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوى، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
١٦- كتاب كشاف اصطلاحات الفنون، تأليف الشيخ الأجل المولوى محمد أعلى بن على التهانوى، دار صادر – بيروت .
١٧- لسان العرب المحيط، لابن منظور، دار لسان العرب (بيروت – لبنان) بإعداد وتصنيف يوسف خياط .
١٨- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها، للسيوطى، المكتبة العصرية، (صيدا – بيروت) ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٧م.
١٩- المصباح المنير، للفيومى (المتوفى ٧٧٠هـ)، بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى، دار المعارف، الطبعة الثانية .
٢٠- المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ .
٢١- مغنى اللبيب، لابن هشام (المتوفى ٧٦١هـ) بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الطلائع .

الفصل الرابع

تراكيب الفاتحة بين البناء والفهم

توطئة

للجملة العربية أسرارها وإعجازها بناء وفهما ، ذلك أن هناك فرقا بين بناء الجملة وفهم معنى الجملة ، أو بين المبنى والمعنى ، أو بين التركيب والتحليل ، " أما بناء الجملة فهو إحياء كم غير منظم من المفردات بترشيح مجموعة من العلاقات النحوية بينها ، وأما فهم الجملة فهو يتمثل في إدراك مجموع العلاقات الأساسية التي تربط بين مفرداتها المتفرقة " [١٣٠] ، أو يتمثل فهم الجملة فى فهم المعنى الدلالى الأكبر الذى هو نتاج العلاقة بين البنية العميقة المتمثلة فى سياق الجملة (المقامى مسرح حدثها) والبنية السطحية المتمثلة فى علاقات التجاور بين الوحدات التركيبية المكونة لهذه الجملة ، أى أن الذى يبنى الجملة يحتاج إلى أمرين : الأول جمهرة من المفردات الموجودة فى الذهن أو المجموعة فى المعاجم والثانى هو تحريك أو إحياء بعض هذه المفردات مستعينا بالعلاقات النحوية اللازمة لذلك ، مراعيا المناسبة المعجمية بين المفردات المتجاورة المركبة للجملة ، وينبغى على من يريد فهم هذه الجملة أن يدرك العلاقات التى تربط بين مفرداتها من خلال فهم المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى أو النحوى ومسرح الحدث ، ومن ثم الوصول إلى المعنى الدلالى الأكبر الذى هو نتاج هذه الثلاثية مجتمعة ، أو هو نتاج العلاقة بين البنية العميقة والبنية السطحية ، أى أن البانى ومحاول الفهم يحتاج كل منهما إلى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى أو النحوى والتجربة أو مسرح الحدث ، بيد أن الأول يحتاج هذه الثلاثية للكتابة أو البناء ، والثانى يحتاجها للفهم ، وبذلك تكون وسائل أو آليات العمل واحدة والهدف المرجو مختلفا وإذا كان بناء الجملة من عمل الكاتب وفهمها من عمل الناقد أو المحلل أو الشارح إلا أنه عندما يحلل الناقد جملة ما ويكتب نصه التحليلى الشارح لهذه الجملة يكون قد أجرى عمليتين متلازمتين فى آن واحد الأولى تحليلية والثانية تركيبية ، إذ أن الناقد عندما يكتب نصه النقدى أو التحليلى يحلل الجملة ويحاول فهم معناها مترجما ذلك كله فى صورة جملة أو جمل هى بدورها مبان تحتاج إلى فك وتحليل ، وبذلك يصبح الناقد كاتبا يحتاج إلى من يحلل نقده وكتاباته ، وتستمر هذه الثنائية المتلازمة بين البناء والفهم بدون توقف ، وبذلك يمكن القول إن البناء فهم والفهم بناء ، فالبيت الشعرى بناء وتحليله فهم ، والآية القرآنية بناء وتفسيرها فهم ، والنص الأدبى أو المقالة الأدبية بناء وشرحهما فهم ، وكل هذه الأفهام تتحول بمجرد تدوينها فى صورة جمل إلى أبنية تحتاج إلى من يفهمها .

وهذا البحث محاولة للوقوف على العلاقة بين بناء الجملة وفهمها من خلال بعض النصوص التى تعنى بذلك ، وشروحها التى عنيت بفكرة النص المشروح نفسها ولو لم ينوه أو يشر الشارح إلى أن هذا النص شرح أو تحليل لذلك وسأقوم بتطبيق ذلك على فاتحة الكتاب فهى أعظم سورة

([١٣٠]) نظرية التبعية فى التحليل النحوي ، للدكتور سعيد حسن بحيرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو ٢١ .

فى القرآن وهى السبع المثانى ولأنها اشتملت على أنواع التوحيد ، ولما فى جملها القصار من إعجاز وإحكام فى البناء على الرغم من قلة عدد مفرداتها وقصر جملها وآياتها ومع هذا الإيجاز فى البناء نجدها اشتملت على معان عظيمة تحير العقول ، وهذه مزية فريدة وشكل عجيب من أشكال إعجاز القرآن الكريم الذى تحدى الله به البشر ، " وتسمى أم القرآن لكونها أصلا ومنشأ له، إما لمبدئيتها له، وإما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل، والتعبد بأمره ونهيه، وبيان وعده ووعيده، أو على جملة معانيه من الحكم النظرية، والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم .... وتسمى الكنز ... وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء " [١٣١] وهذه المشتملات هى (التفصيلية) وهى أحد الروابط المعنوية فى فاتحة الكتاب .

أولاً : البناء

(أ) المناسبة المعجمية :-

لابد لأى بناء لغوى محكم من تناسب معجمى بين مفرداته بحيث تتناسب كل مفردة مع ما قبلها أو ما بعدها معجميا أو مع ما تتعلق به هذه المفردة وظيفيا فيتم بهذا التعليق المعنى المقصود ، وبين مفردات فاتحة الكتاب تناسب معجمى فريد يجعل بناء جملها أكثر تماسكا وإحكاما ، ومن ثم يتماسك بناء السورة كلها ، وليس المقصود بالمناسبة المعجمية المعنى المعجمى المفرد لكل مفردة على حدة ، فاستخدام الكلمة فى الجملة بمعناها المعجمى ليس مسوغا للتناسب والانسجام بينها وبين غيرها من المفردات ، ذلك أن هناك فرقا بين المعنى المعجمى والمناسبة المعجمية ، أما المعنى المعجمى فهو معنى الكلمة خارج السياق وهو ما نراه

([١٣١]) تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لقاضى القضاة أبى السعود محمد بن محمد العمادى المتوفى ٩٥١ هـ الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث ، بيروت ٨/١ ، وانظر البيضاوى ٥/١

بين دفتى كل معجم ، وأما المناسبة المعجمية فهى علاقة بين المفردات داخل الجمل يتناسب فيها المعنى المعجمى لكل مفردة مع المعنى المعجمى للمفردة المترابطة معها أو المتعلقة بها ، فلو قلنا جاءت الشجرة وأثمر الإنسان ، لانتفت المناسبة المعجمية فى الجملتين ؛ لأن الشجرة لا تجىء ، والإنسان لا يثمر ، فإذا قلنا جاء الإنسان وأثمرت الشجرة تحققت المناسبة واستقام المعنى ، والبسملة – فى رأى قراء مكة والكوفة والشافعى – [١٣٢] آية من فاتحة الكتاب وفيها من المناسبة المعجمية ما ليس بخفى ؛ ذلك أن الاسم فى قول ربنا " بسم الله " إما مشتق من الوسم وهو العلامة وهذا مذهب الكوفيين وإما مشتق من السمو بمعنى العلو وهذا مذهب البصريين ، والراجح أن الاسم مشتق من السمو بمعنى العلو ؛ يدل على ذلك قولهم فى جمعه أسماء وأسامى ، وفى تصغيره سُمَىّ [١٣٣] وعلى الرأى القائل بأن الاسم مشتق من السمو نجد مناسبة معجمية رائعة بين كلمة اسم ولفظ الجلالة (الله) وقد بين القرطبى هذه المناسبة عندما قال فى تفسيره : " فإن من قال الاسم مشتق من العلو يقول : لم يزل الله – سبحانه – موصوفا قبل وجود الخلق وبعد وجودهم وعند فنائهم (أى بالعلو) ولا تأثير لهم فى أسمائه ولا صفاته ، وهذا قول أهل السنة " [١٣٤] والله هو الإله الذى يُؤْلَهُ إليه أى يُرجع إليه ويعبد ، وقيل إنه مشتق من العلو والارتفاع فالعرب كانت تقول لكل شىء مرتفع (لاها) ، فكانو يقولون للشمس إذا طلعت لاهت أى ارتفعت [١٣٥] ، وهو ما يعبر عنه قول ربنا : (فتعالى الله عما يشركون) [١٣٦] أى علا وارتفع بنفسه لا بغيره ، فكلمة (اسم) ولفظ الجلالة (الله) بينهما مناسبة معجمية منطقها العلو والارتفاع ، ومن الأدلة على ذلك أيضاً أن الآية الأولى من سورة الأعلى " سبح اسم ربك الأعلى " [١٣٧] أضيف فيها كلمةرب إلى كلمة اسم وأردفتا بكلمة الأعلى وهنا يتبادر سؤال إلى الذهن هل الأعلى صفة لرب أو لكلمة اسم ؟

الحق أن (الأعلى) اسم مقصور وهو مما يقدر عليه العلامة الإعرابية أى أن الكلمة تصلح صفة لكليهما ، وإن أعربها الجمهور [١٣٨] صفة لرب ، على اعتبار أن الرب أعم من الاسم وصفة الأعم تنسحب منطقا على الأخص لأنه جزء منه ، أى هو البالغ النهاية علواً و

([١٣٢]) اختلف الأئمة فى شأن البسملة فى أوائل السور الكريمة فقيل إنها ليست من القرآن وهو قول ابن مسعود وغيره وقيل إنها آية من القرآن وقيل إنها آية من كل سورة وقيل آية من الفاتحة مع كونها قرآنا فى سائر السور ؛ انظر تفصيل ذلك فى تفسير أبى السعود ٨/١ ، والقرطبى ٩٢/١ ، ٩٣ ، والبيضاوى ٥/١ .

([١٣٣]) انظر إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ٤/١ ، والبحر المحيط ١٢٣/١ والقرطبى ١٠١/١

([١٣٤]) تفسير القرطبى ١٠١/١ ، وانظر : البيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى ٣٣/١ .

([١٣٥]) انظر إملاء ما من به الرحمن للعكبرى ٥/١ ، والبحر المحيط ١٢٤/١ – ١٢٥ والقرطبى ١٠٢/١-١٠٣ .

([١٣٦]) الأعراف ١٩٠ .

([١٣٧]) الأعلى ١ .

([١٣٨]) انظر البحر المحيط ٤٥٨/٨ .

رفعةً ، ذاتا واسما باعتبار أن كلمة الأعلى تصلح صفة منصوبة لكلمة (اسم) أو مجرورة لكلمة (رب) أى أنهما تتنازعان الصفة ، والعلو وصف لكل منهما ، وهذا منطق المناسبة بينهما حيث لا توجد قرينة مبنية تبين إعراب كلمة الأعلى ، بخلاف قول ربنا " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام " [١٣٩] وقول ربنا " تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام " [١٤٠] فكلمة (وجه) ، وكلمة (ذى) فى الآية الثانية صفة مرفوعة بالواو لكلمة (وجه) ، وكلمة (ذى) فى الآية الثانية صفة مجرورة لكلمة (رب) ، والعلامة الإعرابية هنا قرينة مبنية ، وعن مناسبة العلو بين اسم ولفظ الجلالة يقول أبو السعود القاضى " وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد فى قولنا لا إله إلا الله ولا يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أصلا كاف فى ذلك [١٤١] وعن المناسبة المعجمية بين لفظ الجلالة (الله) واسمى (الرحمن الرحيم) فمعلوم أن (الله) هو اسم ربنا الأعظم الذى لايُسمى به أحد سواه وهو يشتمل على أنواع التوحيد : الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، فالله هو المعبود وهو الخالق المدبر وله الأسماء الحسنى المتضمنة فى اسمه الأعظم ، وباستقراء الآيات القرآنية التى ورد فيها لفظة (الرحمن) نجدها تضمنت مع الرحمة وهو المعنى الأشهر – معنى السيطرة والعظمة المتناسبة معجمياً مع اسم الله الأعظم ، يقول ربنا سبحانه وتعالى :" الرحمن / علم القرآن / خلق الإنسان / علمه البيان " [١٤٢] ويقول سبحانه : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " [١٤٣] أى المسيطر عليهم الرحمن وهم العابدون له والإضافة للملكية (السيطرة) ، ويقول سبحانه : " وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن " [١٤٤] كما نلحظ اقتران العبادة باسم الرحمن فى ثلاث الآيات السابق ذكرها ، ويتمثل ذلك فى كلمات (علم القرآن) و(عباد) و (اسجدوا)، فالقرآن مناط العبادة ، وكلمة (عباد) جمع لكلمة (عبد) إذا قصدت العبادة ، فإذا قصدت السيطرة تجمع الكلمة على (عبيد)،بقول سبحانه"وما ربك يظلام للعبيد" [١٤٥] والسجود من أجل القربات إلى الله وهو أقرب ما يكون العبد من ربه ، وبدلالة (الرحمن) على العبادة نجد مناسبة معجمية بينه وبين اسم الله الأعظم منطقها العبادة والسيطرة ،ومعلوم

---

(١٣٩) الرحمن ٢٧

(١٤٠) الرحمن ٧٨ .

(١٤١) تفسير أبى السعود ١٠/١ : وانظر البيضاوى ٦/١و٧ .

(١٤٢) الرحمن ١–٤ .

(١٤٣) الفرقان ٦٣ .

(١٤٤) الفرقان ٦٠ .

(١٤٥) فصلت ٤٦ .

أن(الرحيم) من الرحمة وهذا رأى كثير من العلماء [١٤٦] وبينه وبين (الرحمن) مناسبة معجمية مناطها هذا المعنى الجليل ، والمناسبة المعجمية بين (الرحمن) و (الرحيم) هى أوضح أشكال التناسب المعجمي فى البسملة .

يقول الآلوسى : " بين الله والرحمن من المناسبة ما ليس بينه وبين الرحيم فلهذا قدم الرحمن على الرحيم بيان ذلك أما أولا فلاقتران الرحمن بالجلالة فى قوله تعالى : "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن" [١٤٧] وقد يشعر هذا الاقتران بجعلهما للذات ... وأما ثانيا فلأن فى الله وفى الرحمن ألفين ألف الذات وألف العلم والأولى فى كل خفية والثانية ظاهرة " [١٤٨] .

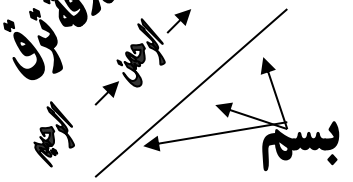

" ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة ، وهى نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلى الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال فقال جل شأنه : " الحمد لله رب العالمين " [١٤٩] والحمد كما هو معلوم أعم من الشكر [١٥٠] فهو فى السراء والضراء ولسبب ومن غير سبب ، ومن هنا تناسب عموم الحمد مناسبة معجمية رائعة مع عموم التوحيد فى لفظ الجلالة ، واللام بينهما للاستحقاق أى أن الذى يستحق الحمد فى السراء والضراء هو الله ، فيُحمد معبودا ويحمد خالقاً ومدبراً ورازقاً ويُحمد بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العُلا ، وٌرب كل شىء مالكه ، والرب اسم من أسماء الله تعالى ولا يقال فى غيره إلا بالإضافة [١٥١]والرحمن الرحيم " [١٥٢] اسمان أيضا من أسماء الله الحسنى يجمعهما فى الآية الكريمة مناسبة معجمية هى الرحمة وقد جاء فى البسملة والتوحيد أراه المناسبة المعجمية الكبرى فى قول ربنا (الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم) لأن هاتين الآيتين اشتملتا على أنواع التوحيد الثلاثة وهى الألوهية والربوبية ،

([١٤٦]) انظر : البحر المحيط ١٦/١ – ١٧ .

([١٤٧]) الإسراء : ١١٠ .

([١٤٨]) روح المعانى ٦٤/١ .

([١٤٩]) روح المعانى ٦٧/١

([١٥٠]) انظر الفروق اللغوية ٤٥ .

([١٥١]) مختار الصحاح (ر . ب . ب) وانظر تفسير أبى السعود ١٣/١ ، والبيضاوى ٨/١ ، والقرطبى ١٣٦/١ .

([١٥٢]) الفاتحة ٣ .

والأسماء والصفات ، فالله هو الإلـه المعبود الذى يؤلـه إليـه ، والرب هو المالك المدبر ، والله والرب والرحمن والرحيم جميعها من أسماء الله الحسنى وعن المناسبة المعجمية بين رب العالمين والرحمن الرحيم يقول القرطبى " وصف نفسه تعالى بعد(رب العالمين) بأنه (الرحمن الرحيم) لأنه لما كان فى اتصافه بـ (رب العالمين) ترهيب قرنه بـ (الرحمن الرحيم) لما تضمن من الترغيب "[١٥٣]

التوحيد

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم

ألوهية ربوبية

الأسماء والصفات

وفى كلمة (رب) مزية فريدة بإضافتها إلى كلمة العالمين ، لاشتمالها على نوعين من أنواع التوحيد هما الربوبية والأسماء والصفات ، فرب العالمين خالقهم ومدبر شئونهم ، وهم أصناف كثر وكل صنف منهم عالم ، والرب اسم من أسماء الله ولابد لكل عالم من خالق مدبر هو رب العالمين جميعا ، ولذا أضيفت رب إلى العالمين .

ومن المناسبة المعجمية فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [١٥٤] أن كلمة (مالك) أو (مَلِك براوية قالون) [١٥٥] تتناسب مع ما قبلها معجميا بمناسبة توحيد الأسماء والصفات فالمَلِك اسم من أسماء الله الحسنى ، وتتناسب مع ما بعدها بالإضافة إلى يوم الدين يوم الحساب أو الجزاء إذ لا مَلِك فى هذا اليوم إلا الله سبحانه وتعالى ، فهو ملك الملوك وقد جاء فى سورة غافر " **لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** " [١٥٦] والحديث فى الآيتين عن يوم الجزاء ، وثمة تناسب من نوع آخر بين هذه الآية وما قبلها وما بعدها وهى مناسبة الترتيب وفى ذلك يقول أبو حيان

([١٥٣]) القرطبى ١ /١٣٩ .

([١٥٤]) الفاتحة ٤ .

([١٥٥]) وقد روى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قرأ مَلْك (بسكون اللام) وأصله ملك ففيه خمس قراءات : مالك وملْك وملِك ومليك وملاك ، انظر البيان فى غريب إعراب القرآن للأنبارى ، تحقيق طه عبد الحميد طه ٣٥/١ .

([١٥٦]) غافر ١٦ .

الأندلسى: " الترتيب القرآنى جاء فى غاية الفصاحة لأنه تعالى وصف نفسه بصفة الربوبية وصفة الرحمة ثم ذكر شيئين أحدهما ملكه يوم الجزاء والثانى العبادة فناسب الربوبية للملك والرحمة للعبادة ، فكان الأول للأول والثانى للثانى " [١٥٧] فكيف يحاسب الله العباد إلا إذا كان مالكا لهم ملكا عليهم ومالكا لهذا اليوم العظيم وملكه ومليكه ، ومن الإعجاز أن المفردات تتناسب فى هذه الآية معجمياً ونحوياً ودلالياً أى بجميع أنواع المعنى ، معجميا من خلال تناسب المعانى المعجمية للألفاظ ، ونحويا لأن الإضافة هنا معناها الملكية المتناسبة مع المعنى المعجمى ومن ثم فإن دلالة السياق أو معناه الدلالى الأكبر أن الله هو الملك فى يوم الحساب ، وكما أن لكل عالم ربا كذلك لكل شىء مالك ، ومليك هذا اليوم لا شك أنه الله .

وفى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [١٥٨] وما بعده مناسبة معجمية ، فالعبادة لا تكون إلا لله والاستعانة لا تكون إلا به " وقد ورد (هَدَى) فى الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه : معدى بنفسه كقوله تعالى : " اهدنا الصراط المستقيم " [١٥٩] ومعدى باللام كقوله تعالى " الحمد لله الذى هدانا لهذا " [١٦٠] ومعدى بإلى كقوله تعالى " واهدنا إلى سواء الصراط " [١٦١] وهدى واهتدى بمعنى " [١٦٢] .

وقد استأثرت فاتحة الكتاب بالفعل المتعدى بنفسه ، وبين اهدنا ونستعين مناسبة ، فاهدنا " بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا " [١٦٣] " واتصال (نا) بـ (اهد) مناسب لنعبد ونستعين لأنه لما أخبر المتكلم أنه هو ومن معه يعبدون الله ويستعينونه سأل له ولهم الهداية إلى الطريق الواضح " [١٦٤].

واستئثار الفاتحة بالفعل المتعدى بنفسه أنسب وأبلغ لأنه آكد وأقوى من الفعل المتعدى بالجار من جهة وقوع الفعل على المفعول وفى ذلك مناسبة معجمية فالطريق يُهدَى إليه ولابد له من هاد ، والهادى هو الله ، لمن يستحق الهدايةبتدبر أنواع التوحيد الواردة فى السورة الكريمة ، ولا يكون الصراط صراطا إلا إذا كان مستقيما ، وقد وصفت كلمة الصراط فى الآية الكريمة بالمستقيم لتأكيد الهداية إلى هذا الصراط المستقيم أو الطريق القويم وهو صراط الذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى بالهداية والتدبر من المسلمين المتقين وثمة مناسبة معجمية بين الصراط المستقيم

([١٥٧]) البحر المحيط ١٣٣/١

([١٥٨]) الفاتحة ٥ .

([١٥٩]) الفاتحة ٦ .

([١٦٠]) الأعراف ٤٣ .

([١٦١]) ص ٢٢

([١٦٢]) مختار الصحاح [هـ . د . ى]

([١٦٣]) البيضاوى ١٠/١

([١٦٤]) البحرالمحيط ١٤٧/١ .

والإنعام ، فأكبر نعمة من الله بها على عباده الصالحين هى هدايتهم إلى الصراط المستقيم أو الطريق الواضح الذى لا عوج فيه وهو الإسلام وهذه النعمة هى لغير المغضوب عليهم من اليهود الذين أعرضوا عن الحق تكبراً وحسداً ، ولا للضالين من النصارى البعيدين عن جادة هذا الصراط المستقيم " ومعنى (غير) معنى (لا) فلذلك رُدت عليها (ولا) " [١٦٥] وهذا أيضا من المناسبة المعجمية .

مع ما بين المغضوب عليهم والضالين من مناسبة عدم الإنعام ، ومن المناسبة فى السورة ما يسمى (تناسب التسجيع) [١٦٦] فى أواخر الآي ،ومنه أيضاً انتهاؤها بالمقطع[ص ح ح ص] فى الكلمات (العالمين) و (الرحيم) و (الدين) و (نستعين) و (المستقيم) و (الضالين) عند الوقف على رءوس الآى .

(ب) العلاقات النحوية :-

جاء آنفا أن بانى الجملة يركب مجموعة من المفردات المعجمية مستعينا بقوانين النحو التى تلزم لذلك ، فالنحو هو انتحاء طرائق العرب فى التركيب ومعناه اتباع القوانين التى تحكم الكلام العربى بحيث تكون مقياساً لكل من يريد أن يركب كلاماً ، إذ إن التركيب هو التعبير الصحيح عن علم النحو [١٦٧] ، فالإعراب لا يحصل إلا بسبب العقد والتركيب [١٦٨] ، والتركيب شرط حصول موجب الإعراب [١٦٩] ، والباء فى البسملة حرف جر مبنى على الكسر لا محل له من الإعراب ، وكلمة (اسم) مجرورة بها وعلامة جرها الكسرة الظاهرة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف ، عند البصريين المحذوف مبتدأ ، والجار والمجرور خبره والتقدير : ابتدائى باسم الله ، أى كائن به والباء متعلقة بالكون ، وقال الكوفيون : المحذوف فعل تقديره : ابتدأت أو أبدأ ، والجار والمجرور فى موضع نصب بالفعل المحذوف [١٧٠] ، فعلى تقدير البصريين تكون جملة البسملة اسمية ن وعلى تقدير الكوفيين تكون الجملة فعلية " وقدر الزمخشرى – فعلا غير بدأت وجعله متأخراً قال تقديره بسم الله أقرأ أو أتلو إذ الذى يجىء بعد التسمية مقروء " [١٧١]وهذا يتناسب مع قول ربنا " اقرأ باسم ربك الذى خلق " [١٧٢] ومعلوم أن

([١٦٥]) معانى القرآن للفراء ، عالم الكتب (بيروت – لبنان) ، الطبعة الثانية ١٩٨٠ ، ٨/١ .

([١٦٦]) البحر المحيط ١٥٢/١– ١٥٣ .

([١٦٧]) انظر فقه اللغة فى الكتب العربية ، للدكتور عبد الراجحى ٢٠٩ .

([١٦٨]) انظر المفصل فى علم العربية ٢٤ .

([١٦٩]) انظر شرح الكافية ٣٣/١

([١٧٠]) انظر إملاء ما من به الرحمن ٤/١ ، وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ٩ .

([١٧١]) البحر المحيط ١/ ١٢٧

([١٧٢]) العلق ١ .

الجملة الاسمية تفيد الثبوت والاستقرار ، والجملة الفعلية التى فعلها مضارع تفيد التجدد ، وإبقاء المتعلق وحذف المتعلق به شكل من أشكال الإعجاز فى البسملة للدلالة على المعنيين الثبوت والتجدد ، فالبسملة ثابتة متجددة ، ثابتة من الناحية العقدية لأنها فاتحة كل أمر ، ومتجددة من الناحية التطبيقية أو التصديقية لتجدد قولها عند الشروع فى أى عمل ،وعلى الإيمان بكليهما حثنا الإسلام، والرحمن والرحيم صفتان للفظ الجلالة أو بدلان منه ، وعلنا نلحظ هنا أن العلاقة النحوية بين الرحمن الرحيم ولفظ الجلالة هى علاقة الوصف أو البدلية ، والمناسبة المعجمية كما جاء آنفا بين هذه الأسماء هى توحيد الأسماء والصفات ، وهذا ما قصده عبد القاهر الجرجانى بالتعليق ، فالعلاقة الكبرى فى البسملة هى علاقة تربط بين توحيد الأسماء والصفات ، وإعراب هذه الأسماء نعوتا أو صفات ، أو هى علاقة التوافق بين المناسبة المعجمية والوظيفة النحوية .

وآية (الحمد لله رب العالمين) [١٧٣] جملة اسمية بسيطة مكونة من مبتدأ ، وخبر شبه جملة ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت لدلالة أن الحمد ثابت لله سبحانه ، واللام بينهما للاستحقاق ، والجملة غير مؤكدة بـ (إن) وعدم تأكيد الكلام أحيانا يكون أبلغ وآكد من تأكيده ، فالذى يحتاج إلى التأكيد دائما هو الشىء غير المؤكد ، والحمد آكد لله سبحانه ولا حاجة هنا للتأكيد وهو أبلغ ، وكون الخبر شبه جملة يؤيد ذلك لأنه يعرب متعلقا بخبر محذوف : تقديره كائن أو مستقر ، أى أن الحمد كائن لله أو مستقر له ولا حاجة معه لتأكيد ، وحسن التركيب هنا أدى إلى حسن البناء ، ووقع آية الحمد بدون (إن) على النفس أقوى لاتساقها مع ما قبلها وما بعدها ، وما قيل فى إعراب " الرحمن الرحيم " [١٧٤] صفتين أو بدلين من لفظ الجلالة يقال هنا مع ما بينهما من علاقة التوافق بين المناسبة المعجمية والوظائف النحوية ، والإضافة فى (رب العالمين) معناها الربوبية التى هى دليل عقلى يفضى بالناس إلى الألوهية لأن معرفة أن الله خالق مدبر تحتم على الناس عبادة هذا الخالق المدبر الذى يدبر شئونهم .

والإضافة فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [١٧٥] معناها النحوى الملكية التى يقدرها النحاة بحرف (اللام) أى مالك لهذا اليوم وأراها أيضا بمعنى (فى) أى مالك فى يوم الدين ، فالوظيفة النحوية للإضافة هنا متعددة لأنها بمعنى (اللام) وبمعنى (فى) ، وهنا شكل آخر من أشكال الإعجاز فى الفاتحة وهو احتمال الإضافة هنا لمعنيين نحويين ، يترتب عليه تعدد فى المعنى الدلالى فقد يكون مالك الشىء غير موجود فيه بيد أن الله مالك هذا اليوم ، وتواترت الأخبار والأدلة على وجوده سبحانه وتعالى فيه ؛ والمعنيان مقصودان فى الآية الكريمة ، يقول تعالى "

([١٧٣]) الفاتحة ٢

([١٧٤]) الفاتحة ٣

([١٧٥]) الفاتحة ٤

وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً " [١٧٦] وفى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [١٧٧] تقديم واجب للمفعول به ؛ لأنه ضمير منفصل لو تأخر لَزِم اتصاله ، فلو أُخر المفعول لَزِم الاتصال فيُقال " نعبدك " ، وثمة علاقة هنا يتضافر فيها النحو والبلاغة ، فقد قال سيبويه وهو يذكر الفاعل والمفعول :" كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم " [١٧٨] وتقديم المفعول فى الآية للاهتمام ، وهو ما يسميه علماء البلاغة قصراً " ليكون أدل على الاختصاص ، وللترقى من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود ، فكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضوراً " [١٧٩] (الالتفات) ، فالعبادة مقصورة على الخالق ، والبناء النحوى فى الآية بليغ متماسك ، وما قيل فى العبادة ينسحب على الاستعانة به سبحانه وتعالى ، والتركيب واحد ، ولا عجب أن يتضافر فى هذه الآية الموجزة جداً المناسبة المعجمية مع البناء النحوى المتماسك وبلاغة الأسلوب لتبين المعنى المقصود " وقرنت الاستعانة بالعبادة للجمع بين ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى وبين ما يطلبه من جهته ، وقدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة " [١٨٠] .

وقد ورد الفعل (اهدِ) فى الفاتحة متعديا بنفسه وهو ما يسمى فى النحو الفعل المجاوز أو غير القاصر ، وهو الذى يصل إلى المفعول بغير حرف جر ؛ ليقع الفعل على المفعول مباشرة ، وهو أمر غرضه الدعاء ، فناسب الفعل – وهو يفيد التجدد – الدعاء المقصود ، وتجدد قراءة الفاتحة فى كل صلاة يترتب عليه تجدد الدعاء ، والعلاقة المباشرة بين الفعل المتعدى والوصول إلى مفعوله بغير واسطة تناسب العلاقة بين الهداية والصراط فالوصول إلى الصراط أو الهداية إليه لابد أن تكون مباشرة مستقيمة لا عوج فيها كما كان تعدى الفعل إلى المفعول مستقيما بغير واسطة ، والإضافة بين " صراط " و " الذين أنعمت عليهم " بمعنى اللام أى تفيد الملكية أى أن هذا الصراط هو للذين ينعم الله سبحانه وتعالى وعليهم بالإسلام لا للمغضوب عليهم ولا الضالين .

(ج) الربط المادى :

([١٧٦]) مريم ٩٥

([١٧٧]) الفاتحة ٥

([١٧٨]) الكتاب ١ /٣٤

([١٧٩]) تفسير البيضاوى ١/٩ .

([١٨٠]) البحر المحيط ١/ ١٤٢ – ١٤٣

الربط قرينه من القرائن لا تقل أهمية عن غيرها من القرائن فى إحكام السبك أوصياغة الجملة ؛ لأنه كما قال عبد القاهر الجرجانى يجعل الكلام " يأخذ بعضه يحُجَز بعض " [١٨١] وذلك بأن " تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول " [١٨٢] ، وهو نوعان مادى ملفوظ ومعنوى ملحوظ ، ويتمثل الملفوظ المادى فى أدوات الربط وغيرها كالضمائر وعناصر المطابقة والإعراب ، ويتمثل المعنوى فى العلاقات الكبرى المدركة بين الجمل ، والروابط المادية التى اشتملت عليها فاتحة الكتاب وقامت بدور الوصل بين المفردات والجمل تتمثل فى حروف الجر والإضافة والتبعية والضمائر والموصول ، فالباء فى البسملة ربطت بين المحذوف (إن كان اسما أو فعلا) و " اسم الله " ، وهى تفيد الاستعانة [١٨٣] أى أبدأ مستعينا باسم الله ، أو ابتدائي مستعين به ، فحروف الجر تربط بين الاسم والاسم أو بين الفعل والاسم ، واللام بين الحمد ولفظ الجلالة رابط بين الاسم والاسم فلا يقال (الحمد الله) بدون اللام لانتفاء الربط ، وغرضها الاستحقاق كما جاء أى الذى يستحق الحمد هو الله .

وفى قوله تعالى " أنعمت عليهم " [١٨٤] ربط حرف الجر " على " بين الفعل " أنعم " والضمير " هم " إذ لا يقوى الفعل " أنعم على الوصول إلى المفعول بنفسه فيتصدى الرابط لهذه المهمة ، والإضافة (التجاور بين المضاف والمضاف إليه) رابط مادى جاء فى الفاتحة فى ستة مواضع هى (باسم الله) ، و (رب العالمين) ، و (مالك يوم الدين) و (صراط الذين) و (غير المغضوب عليهم) ولا تخرج الإضافة عن كونها بمعنى (من) أو (فى) أو (اللام) والإضافة فى معظمها للملكية بمعنى اللام فالاسم لله ،والرب للعالمين ، والله مالك ليوم الدين ، والصراط للذين أنعم الله عليهم من المسلمين ، والتبعية فى الفاتحة شكل من أشكال الربط المادى ، فالوصف علاقة مادية ظاهرة تربط بين الصفة والموصوف ، والبدل كذلك ثمة علاقة بينه وبين المبدل منه ، فالرحمن والرحيم صفتان للفظ الجلالة فى البسملة أو بدلان منه و (رب العالمين) بدل من لفظ الجلالة ، والرحمن والرحيم صفتان أوبدلان فى الفاتحة وكذلك (مالك يوم الدين) ، وكلمة (المستقيم) صفة للصراط ، و (صراط) الثانية بدل مطابق من (صراط) الأولى وكل ذلك من أشكال الربط المادى فالوصف من باب إعادة اللفظ بمعناه ، وإعادة اللفظ من طريق المعنى شكل من أشكال الربط المادى فى اللغة العربية ، والبدل المطابق هو من باب إعادة اللفظ للتحدث عنه مرة أخرى أو هو من باب إعادة الذكر ، وإعادة الذكر رابط

([١٨١]) دلائل الإعجاز ٧٨ .

([١٨٢]) دلائل الإعجاز ٧٨ .

([١٨٣]) من العلماء من ذكر أنها للمصاحبة ، والاستعانة أرجح وأمس بقوله تعالى(إياك نستعين) ، انظر البحر المحيط ١٢٦/١ .

([١٨٤]) الفاتحة ٧

مادى أيضاً ، هذا ومن أنواع التبعية العطف ، فالواو فى قول ربنا " إياك نعبد وإياك نستعين " [١٨٥] عطفت قصر العبادة على الله على قصر الاستعانة به سبحانه ، والواو بين (المغضوب عليهم) و (الضالين) عطف نسق كذلك ، عطف من خلاله بين المغضوب عليهم والضالين فى عدم الإنعام والهداية إلى الطريق الواضح المستقيم ، والواو من أوضح الروابط المادية فى اللغة العربية وأكثرها استخداما للربط بين المفردات والجمل، والموصول واحد من الروابط المادية فى فاتحة الكتاب ، وقد جاء فى الفاتحة فى موضع واحد " صراط الذين أنعمت عليهم " [١٨٦] ، فالاسم الموصول (الذين) ربط بين (صراط) و (أنعمت عليهم) ، والضمائر أيضا أحد الروابط المادية الظاهرة فى السورة الكريمة ، وعود الضمير هو مناط ذلك الربط ، ومنها الضمير (إياك) وهو واجب التقديم لانفصاله ، والالتفات فيه شكل من أشكال الربط بين ما قبله وما بعده ، والضمير المتصل (نا) فى (اهدنا) إحالة إلى الضمير المستتر فى(نعبد ونستعين) والضمير (هم) فى (عليهم) الأولى عائد على (الذين) ، وفى (عليهم) الثانية إحالة إلى المغضوب عليهم ، وفى كل ما تقدم من الضمائر أو المحيلات نجد مطابقة بينها وبين ما عادت عليه ، والمطابقة شكل من أشكال الربط المادى الظاهر أيضاً .

ومن خلال ما تقدم نلحظ كيف تضافرت المناسبة المعجمية مع العلاقات أو القوانين النحوية ، وأدوات الربط المادية الظاهرة فى إحكام بناء فاتحة الكتاب ، فجاءت جملها محكمة المبانى على إيجازها ، وهو الذى يسعى إليه بناة الجملة ، ولا يصل منهم إلى الهدف المنشود إلا من له دربة ودراية فى توظيف ذلك كله ، ولا مقارنة بين بناء رب العالمين وبناء البشر .

ثانياً : الفهم

(أ) الربط المعنوى :

إذا كان الربط المادى أحد وسائل بناء الجملة ، فإن فهم الروابط المعنوية ضروري جداً لفهم معنى الجملة ، وذلك بإدراك العلاقات التى تربط معنويا بين مفرداتها المعجمية ، وعن مفهوم الربط المعنوى يقول الدكتور سعيد حسن بحيرى : " كثيرا جدا ما يوجد ربط بلا أداة ربط ، حيث لا يجب أ ن يشار إلى الرابط مورفولوجيا بشكل مستمر ، ذلك أن مفهوم الربط أكثر اتساعا من مفهوم أداة الربط ، كما لا يمكن أن تبحث الروابط منفصلة عن الربط " [١٨٧] فالربط المعنوى ربط علائقى يُدرك بالعلاقات التى ليس لها وجود مادى ، هذه العلاقات تقوم بدور الربط بين عناصر

([١٨٥]) الفاتحة ٥ .

([١٨٦]) الفاتحة ٧ .

([١٨٧]) نظرية التبعية فى التحليل النحوى ١٠٠ .

الكلام وتجعل منها كلا مفهوماً متناسقاً، وهذا الربط المعنوى ملحوظ ليس ملفوظا ويعرف الربط العلائقى لدى بعض النحاة بالارتباط وهو نشوء علاقة نحوية سياقية بين معنيين دون واسطة لفظية أو هو أشبه بعلاقة الشيء بنفسه ، ومعنى هذا أن الارتباط قرينة معنوية وأن الربط قرينة لفظية وأن الارتباط علاقة موجودة بالفعل وأن الربط علاقة توجد بالقوة [١٨٨] ، وكان عبد القاهر من أوائل من تنبه لهذا الفرق بين الارتباط والربط عندما قال " بأن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول " [١٨٩] ، فالربط المعنوى أو الارتباط معناه العلاقات التفاعلية التى تحكم بناء الجملة دون وساطات لفظية ، كالتفسيرية ، والسببية ، والتفصيل ، وتقدير الحذف ، أما التفسيرية فمعناها أن الشيء بالشيء يفسر ، وقديماً قال المفسرون " القرآن يفسر بعضه بعضا " ، وليس بالضرورى أن تفسر الجملة أو الآية بجملة أو آية أخرى فى نفس النص بل إن الأمر أوسع من ذلك ، فقد تفسر بعض الجمل أو الآيات بجمل أو آيات أخرى فى نصين مختلفين متباعدين ، فعندما يقول ربنا سبحانه وتعالى قال الله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) [١٩٠] ، هذه الآية يفسرها قول ربنا سبحانه فى سورة الفجر : كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا " [١٩١] فالملائكة مصطفون بانتظار أوامر الله ولا يستطيع واحد من البشر أن ينفذ من هذه الصفوف المتراصة المحكمة) وعندما يقول ربنا سبحانه وتعالى:"فيؤمئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان" [١٩٢] يتبادر سؤال إلى الذهن : كيف ذلك ، واليوم يوم حساب ؟ والتفسير فى نفس النص ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [١٩٣] فالتفسيرية إحدى علاقات الربط المعنوية التى تربط بين المبانى المعبرة عن المعانى ربطاً غير ملفوظ أو غير مرئى ، وهى عندى أوسع من قول المفسرين " القرآن يفسر بعضه بعضا " ، إذ يمكن تلخيص فكرة التفسيرية فى أن (النصوص ومحيطاتها يفسر بعضها بعضا) حيث لا يقتصر الأمر على النصوص ، فمسرح الحدث والتجربة الشعرية وأسباب النزول ليست جزءاً من النص [١٩٤] إلا أنها تتدخل بشكل كبير فى تفسير النصوص وشرحها أو فى الوصول إلى المعنى الدلالى الأكبر ، وقد يكون التفسير إشارة أو صمتاً ، فالبكر

([١٨٨]) انظر نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية ، للدكتور مصطفى حميدة ١٥ .

([١٨٩]) دلائل الإعجاز ٧٨ .

([١٩٠]) الرحمن ٣٣

([١٩١]) الفجر ٢١-٢٢

([١٩٢]) الرحمن ٣٩

([١٩٣]) الرحمن ٤١

([١٩٤]) على الرغم من أنها نصوص مستقلة مكتوبة ترتبط بالنص المفسر .

تستأذن فى نفسها ، وإذنها صمتها ، والصمت هنا أبلغ من القول والتعبير ، لأنه تفسير للإجابة بغير لفظ ، والعلاقة التفسيرية بين البسملة وفاتحة الكتاب علاقة معنوية أو رباط معنوى رائع فالبسملة فاتحة الفاتحة وفاتحة كل أمر " ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم فيها رواه عنه أبو هريرة وأخرجه الحافظ عبد القادر الرهاوى " كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بباسم الله فهو أبتر "[١٩٥] وبيان ذلك فى القرآن نفسه ، فعندما شرع نوح فى ركوب السفينة التى أمره الله سبحانه بصناعتها بأعينه ووحيه قال " اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها " [١٩٦] ، وقد قالت ملكة سبأ " يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) [١٩٧] وثمة ارتباط معنوى إيجابى رائع بين علاقتين من علاقات الربط المعنوى فى البسملة وهما التفسيرية وتقدير الحذف ، فعندما قدر النحاة أو العلماء المتعلق به المحذوف فى البسملة قدروه بـ " أَبْدأُ " أو ابتدائى " وهذا يتناسب مع أن البسملة هى فاتحة أو ابتداء كل أمر ، وعن التفسيرية فى آية الحمد فإن اللام فى (الحمد لله) للاستحقاق أي الذى يستحق الحمد هو الله سبحانه وتعالى ، ولكن لم يستحق الحمد ؟ لأنه رب العالمين خالقهم والمنعم عليهم ومدبر شئونهم وأرزاقهم ، فعلاقة التفسيرية هنا جلية بين مبانى الآية ، وهذه العلاقة تتعدى مفردات الآية ومبانيها إلى كل آيات الإنعام فى القرآن الكريم ، فكل آيات الإنعام هى تفسير للسؤال السابق ولآية الحمد ذاتها ، فنعم الله لا تحصى وكل نعمة من هذه النعم تستوجب حمد الله والثناء عليه ، وثمة علاقة هنا بين التفسيرية والسببية وكلاهما من علائق الربط المعنوى ، والسببية هى علاقة يتوصل من خلالها إلى الشىء بغيره ، والنعم أحد أسباب الحمد ، وإذا نظرنا إلى كل آيات القرآن الكريم التى تبدأ بقوله تعالى (الحمد لله الذى) نجدها تتحدث عن الحمد متلوا بسبب من أسبابه ففى سورة الأنعام " الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور " [١٩٨] وفى سورة الأعراف " الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله " [١٩٩] وفى إبراهيم " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق " [٢٠٠] وفى الكهف " الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب " [٢٠١] فلكل هذه الأسباب نحمد الله سبحانه وتعالى والعلاقة فى آية الحمد بين التفسيرية والسببية رائعة تتضح من خلال الآيات التى تتحدث عن

([١٩٥]) روح المعانى ٦٦/١ وانظر البيضاوى ٦/١ .

([١٩٦]) هود ٤١ .

([١٩٧]) النمل ٢٩ – ٣٠ –٣١ .

([١٩٨]) الأنعام ١ .

([١٩٩]) الأعراف ٤٣ .

([٢٠٠]) إبراهيم ٣٩ .

([٢٠١]) الكهف ١ .

النعم فى القرآن الكريم ، فهى تفسير الحمد وسببه وعن التفسيرية فى قول ربنا " مالك يوم الدين " [٢٠٢] فقد جاء فى سورة غافر " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار " [٢٠٣] وعن قصر العبادة على الله فى قوله تعالى : إياك نعبد وإياك نستعين"يقول ربنا فى سورة الذاريات : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " [٢٠٤] ، والتفسيرية فى قول ربنا " اهدنا الصراط المستقيم " [٢٠٥] مرتبطة بكل آيات الهداية فى القرآن الكريم فكل هذه الآيات تتحدث عن أن الهادى هو الله ولا هادى غيره ، والآيات كثيرة جداً لا يتسع المقام لسردها ، وبينها وبين هذه الآية علاقات تفسيرية وتناص .

وفاتحة الكتاب هى تفصيل للحمد الذى هو الثناء على الله سبحانه وتعالى بما هو أهله وهى تفصيل لأنواع التوحيد : الألوهية والربوبية والأسماء والصفات وتفصيل لطوائف العباد من المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين ، والتفصيل هذا يرتبط ارتباطا وثيقاً بكل آى الكتاب العزيز التى تتحدث عن أنواع التوحيد ، وحمد الله والثناء عليه وطوائف العباد .

وجاء تقدير الحذف فى فاتحة الكتاب فى خمسة مواضع أولها تقدير المحذوف فى البسملة ب (أبدأ) أو (ابتدائى) وثانيها تقدير مبتدأ محذوف بـ (هو) عند قطع النعت عن المنعوت فى قول ربنا (الرحمن الرحيم) سواء فى البسملة أو فى فاتحة الكتاب ويكون إعراب الرحمن والرحيم خبرين لمبتدأ محذوف ، ويمكن فى نفس الموضع إعراب الرحمن مفعولا به لفعل محذوف تقديره (أمدح) [٢٠٦] ، والثالث تقدير خبر محذوف فى قول ربنا (الحمد لله) بكائن أو مستقر يتعلق به الجار والمجرور وأرى أن تقدير المحذوف هنا كائن أو مستتر أو مستحق ، والرابع الفاعل المستتر وجوبا الذى تقديره (نحن) فى قوله تعالى " إياك نعبد وإياك نستعين " [٢٠٧] ففاعل الفعلين نعبد ونستعين مستتر تقديره (نحن) و الخامس الفاعل المستتر وجوبا فى الفعل اهدنا وتقديره (أنت) ، وتقدير كل هذه المحذوفات من الروابط المعنوية فتقدير (أبدأ) أو (ابتدائى) ربط بين المقدر المحذوف والجار والمجرور (بسم) وإلا لما تعلق الجار والمجرور بشىء ، ولتأكيد " أنه موطن ينبغى ألا يقدم فيه سوى ذكر الله تعالى ، فلو ذكر الفعل .. لم يكن ذكر الله مقدما " [٢٠٨] وعند قطع النعت عن المنعوت تعرب (الرحمن) خبر مرفوعا ، أو مفعولا

([٢٠٢]) الفاتحة ٤ .

([٢٠٣]) غافر ١٦ .

([٢٠٤]) الذاريات ٥٦

([٢٠٥]) الفاتحة ٦

([٢٠٦]) " نصبهما أبو العالية وابن السميقع وعيسى بن عمر ورفعهما أبو رزين العقيدى والربيع بن خيثم وأبو عمران الجونى ... والنصب والرفع للقطع " البحر المحيط ١٣٢/١ .

([٢٠٧]) الفاتحة ٥

([٢٠٨]) البحر المحيط ١٢٩/١ .

به منصوبا لفعل تقديره أمدح وفى كلا التقديرين ربط معنوى فإذا قدرنا (هو) فذلك إقرار بتوحيد الأسماء والصفات أى هو الرحمن الرحيم ، وإذا قدرنا (أمدح) فثمة تناسب فى المعنى بين (الحمد لله) (وأمدح الرحمن) فحمد الله هو المدح أو الثناء على الله بما هو أهله وإن كان الحمد أعم ، ولذا كان تقدير الحذف رابطا معنويا هنا ، وثمة رباط معنوى رائع بين استتار (نحن) فى الفعلين نعبد ونستعين ، واستتار (أنت) فى الفعل (اهد) أو بين (نحن) و (أنت) من عدة أوجه : أولها تقديم المستتر (نحن) فى الجملة على المستتر (أنت) لأن العبادة من البشر هى التى توصل إلى الهداية من الله ، ثانيها أن العلاقة بين (نحن) و (أنت) هى علاقة العباد برب العباد وهو التوحيد الذى تتحدث عنه فاتحة الكتاب ، ثالثها اقتران (نحن) بالعبادة والاستعانة واقتران (أنت) بالهداية وهذا ديدن العباد فى الكون عبادة لله وتوكل عليه أو استعانة به ثم الهداية من عند الله سبحانه يهدى إليه من يشاء .

(ب) قرائن التعليق :

القرائن فى اللغة العربية نوعان لفظية ومعنوية ، وقد جاء فى حاشية العليمى على شرح التصريح على التوضيح [٢٠٩] أن أهم قرائن منع البس القرينة اللفظية نحو ضرب زيد عَمرا (يقصد الإعراب) ، وقتلت سلمى موسى (يقصد أن اتصال الفعل بالتاء دليل لفظى على أن الفاعل فى الجملة هو سلمى) ، والمعنوية كأرضعت الصغرى الكبرى ، وأكل الكمثرى موسى (ويقصد هنا القرينة العقلية فدائما الكبرى هى التى ترضع الصغرى ومن شأن الكمثرى أن تكون مأكولة أى مفعولا وليس فاعلاً وإن تقدمت على الفاعل) ، ونوع القرائن الذى يسهم فى فهم الجملة هو القرائن المعنوية ، كقرنية الإسناد ،وقرينة التبعية ، والإضافة ، والحال ، والعهد ، وكلا النوعين اللفظية والمعنوية يتضافر مع غيره من القرائن فيفهم كل منهما من خلال فهم الآخر ، وقد يقول قائل إن التبعية والإضافة جاءا ضمن الروابط اللفظية المادية ، أمادية هى أم معنوية ؟ وأقول ثمة أشياء تدخل فى البناء والفهم معاً ومنها التبعية والإضافة ، فجعل المضاف والمضاف إليه فى الجملة فى تركيب أفقى بناء ، ومحاولة التوصل إلى العلاقات بينهما فهم ، ووصف الكلمة أو توكيدها أو أن تبدل منها كلمة أخرى كل ذلك يجريه البانى ، والذى يحاول الفهم يبحث عن العلاقات بين هذه التوابع ومتبوعاتها ، يقول عبدالقاهر الجرجانى : " معلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن تكون للفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن تعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ، ويراعى هنالك أمر يصل إحداهما بالأخرى [٢١٠] " والقرينة العقلية هى أوضح قرائن التعليق فى فاتحة الكتاب ، فبالعقل عرفنا الأدلة الكونية الدالة على وجود الله ، وبالعقل نميز أن

([٢٠٩]) انظر شرح التصريح على التوضيح بحاشية العليمى ٢٨١/١ .

([٢١٠]) دلائل الإعجاز ٢٦٣ .

خالق هذه الموجودات ومقدر هذه الأكوان هو الذى يستحق الحمد ، وبالعقل عرفنا أنه رب العالمين ، ومدبر حياتهم ، وبالعقل نصل إلى أن الذى يَخلق ويَرزق هو الذى يُعبد ولا أحد غيره وهو المستعان ، وهو الذى يدعى فيجيب وله الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وقد حثنا ربنا سبحانه وتعالى على فهم الأشياء والتدبر فيها من خلال هذه القرينة العقلية ، وكل الآيات القرآنية التى تشتمل على تصاريف التفكر والتدبر والتذكر دليل على ذلك وهى كثيرة جداً فى القرآن الكريم منها " كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون " [٢١١] ويقول سبحانه " إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب " [٢١٢] ودليل الحث على إعمال هذه القرينة فى تفسير القرآن وفهم العلاقات بين مبانيه " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " [٢١٣] .

والإسناد قرينة معنوية من قرائن التعليق فى فاتحة الكتاب ومعناه نسبة شىء إلى شىء آخر ، والمسند إليه فى الجملة الاسمية هو المبتدأ و المسند هو الخبر ، وفى الجملة الفعلية المسند إليه هو الفاعل والمسند هو الفعل ، فيتحدث فى الجملة الاسمية عن المبتدأ بالخبر ، ويتحدث فى الفعلية عن الفاعل بالفعل ، وكلا الفعل والخبر وصف أو خبر فى المعنى ، أى أن بين الجار والمجرور (بسم) والمقدر المحذوف (ابتدائى) علاقة إسناد ، وبين (الحمد) والجار والمجرور (لله) علاقة إسناد وبين (نعبد) والمستتر (نحن) علاقة إسناد وكذلك فى جملة (نستعين) ، وبين الفعل (اهد) والمستتر وجوبا (أنت) علاقة إسناد ، وكل هذه الإسنادات فى فاتحة الكتاب هى قرائن تعليق ، ينسب فيها المسند الخبر إلى المسند إليه المبتدأ ، وينسب فيها المسند الفعل إلى المسند إليه الفاعل .

ومن قرائن التعليق أيضاً قرينة العهد ، والعهد معناه فى الجملة الاسمية الشأن أى من شأن المبتدأ أن يكون معروفاً للمتكلم والسامع ومن هنا اشترط النحاة أن يكون المبتدأ معرفة أو نكرة واللبس معها مأمون ، ومن شأن الخبر أن يكون معروفا للمتكلم (المخبرِ بالخبر) مجهولا للسامع (المخبَر بالخبر) وهذا معنى الإفادة التى هى مطلب من مطالب الاتصال اللغوى بين البشر ، ولذا اشترط للكلام النحوى الإفادة لأنها المطلوب منه ، وفاتحة الكتاب تبدأ بـ (الحمد) وهو معروف للمتكلمين والسامعين لأنه من ألفاظ العرب والقرآن نزل " بلسان عربى مبين " [٢١٤] أى بلغة عربية واضحة لا غموض فيها ولا لبس ، وأما الخبر الذى يريد أن يخبر به رب العزة سبحانه وتعالى هو أن الحمد لله كائن أو مستقر أو مستحق له ؛ لأنه رب العالمين

([٢١١]) البقرة ٢١٩

([٢١٢]) آل عمران ١٩٠.

([٢١٣]) النساء ٨٢ .

([٢١٤]) الشعراء ١٩٥ .

ولأنه الرحمن الرحيم ، أما التبعية فهى قرينة من قرائن التعليق تشمل الوصف والبدل والتوكيد فعندما نتحدث عن تراص أو تجاور الموصوف والصفة أو المبدل منه والبدل أو المؤكَد والمؤكِد بشكل أفقى فذلك من أعمال بناة الجملة الذين يركبون هذه المفردات أفقيا قاصدين معنى معيناً ويتركون محاول الفهم يفهم حسبما يشاء أو وفق القوانين المقررة فى عقله ، وقد يصيب معنى البانى وقد يخطئه بحسب وضوح العلاقات بين المفردات أو غموضها ، أى أن التجاور الأفقى شكل من أشكال التركيب وكون الكلمة صفة أو بدلاً أو توكيداً فهذا ربط مادى ظاهر ، أما فهم العلاقات الكبرى بين هذه المفردات أو التى تتخلل هذه الإجراءات فهذا هو التعليق المقصود هنا ، فهو أكبر من مجرد تركيب أفقى أو تجاوز مفردات ، ويتخطاه إلى ما هو أعمق من ذلك كله ، فالعلاقة بين لفظ الجلالة (الله) واسمى (الرحمن والرحيم) أكبر من مجرد كونهما صفتين أو بدلين من لفظ الجلالة ، وإنما هى علاقة كبرى وصلنا من خلالها إلى معنى أكبر هو التوحيد ومعرفة الأسماء والصفات .

(ج) المعنى الدلالى الأكبر :

المعنى الدلالى الأكبر هو الهدف الأول الذى يسعى إليه اللغويون من بناة وفهامين ، وهو حصيلة ثلاثة أشياء هى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى والمقام أو مسرح الحدث أو أسباب النزول فى القرآن الكريم ، ويكاد يسهم كل ما تم تناوله من مناسبة معجمية أو علاقات نحوية أو ربط أو ارتباط أو تعليق فى التوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب وهو اشتمالها على أنواع التوحيد الثلاثة وهو سر عظمتها ، ولذا قال عنها النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى من حديث ابن المعلى " الحمد لله رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته " [٢١٥] ويستخلص المعنى الدلالى الأكبر من إنعام النظر فى سياقين هما سياق المقال وسياق الحال (المقام) أما سياق الحال أو (المقام) فهو كل ما يحيط بالنص المكتوب ويسهم فى الوصول إلى المعنى ، ويمكن (لتطبيق كيف يتوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر) تقسيم فاتحة الكتاب إلى ثلاث جمل كبرى نفهم من خلالها المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب كاملة بوصفها وحدة واحدة متماسكة من خلال هذه المتضافرات السابقة ، وليس معنى ذلك أن كل هذه الإجراءات تسهم مجتمعة فى فهم كل جملة ، فقد يكتفى ببعضها فى التوصل إلى المعنى الدلالى لجملة ما ، ويسهم بعضها الآخر فى التوصل إلى المعنى الدلالى لجملة ثانية وهكذا ، وسيتضح ذلك بالتطبيق الآتى :

([٢١٥]) صحيح البخارى كتاب التفسير ٩٧/٣ ، وباب فاتحة الكتاب ٢٢٨/٣ .

(الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) [٢١٦]

١- المناسبة المعجمية : تناسب فيها عموم الحمد وهو أعم من الشكر مناسبة معجمية رائعة مع عموم التوحيد فى لفظ الجلالة واللام بينهما للاستحقاق ، وتناسب اسما (الرحمن الرحيم) بمناسبة توحيد الأسماء والصفات مع الله ورب العالمين ومالك يوم الدين (الملك) ، وتناسب (مَلِك) بمناسبة " توافق الابتداء والاختتام فى قوله " ملك الناس " [٢١٧] .

٢- النحو أو التركيب : (الحمد) مبتدأ و (لله) جار ومجرور متعلقان بخبر محذوف ، وما بعدهما نعوت أو أبدال ، والجملة الاسمية تفيد الثبوت ، أى أن الحمد ثابت مستقر لله .

٣- الربط المادى : اللام بين الحمد ولفظ الجلالة ربطت بينهما ، وتجاور المضاف والمضاف إليه أفقيا فى (رب العالمين) نوع من الربط الظاهر ، وكذلك التجاور بين النعوت أو الإبدال ومتبوعاتها فى الجملة .

٤- الربط العلائقى : آية الحمد ترتبط بعلاقات وثيقة بكل الآيات التى تتحدث عن نعم الله فى الإنسان وفى الكون وبينها وبين هذا الآيات علاقات تفصيلية وتفسيرية .

٥- العهد (الإسناد) : من شأن المبتدأ أن يكون معروفاً للمتكلم والسامع كليهما ومن شأن الخبر أن يكون معروفا للمتكلم مجهولا للسامع ، والخبر مسند إلى المبتدأ " أى الحمد المعروف بينكم لله " [٢١٨] .

٦- المعنى الدلالى الأكبر : من خلال ذلك كله نتوصل إلى أن الذى يستحق الحمد هو الله سبحانه وتعالى ، لأنه الخالق والرازق والحمد ثابت لله فى جميع الأحوال وهو مستحق له سبحانه ، وأن أنواع التوحيد ثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات .

" إياك نعبد وإياك نستعين " [٢١٩]

١- المناسبة المعجمية : العبادة لا تكون إلا لأله والاستعانة لا تكون إلا بإله وهو الله سبحانه وتعالى لا إله غيره .

٢- النحو والتركيب : (إياك) مفعول به وهو ضمير منفصل يجب تقديمه ولو تأخر اتصل ، و (نعبد ونستعين) فعلان مضارعان استتر فيهما الفاعل (نحن) وجوباً ، والفعل المضارع يفيد التجدد فالعبادة لله وستكون لله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وتكرار (إيا) لقصد العبادة والاستعانة معاً على الله وحده .

([٢١٦]) الفاتحة ٢-٣-٤ .

([٢١٧]) البحر المحيط ١٣٨/١ .

([٢١٨]) البحر المحيط ١٣١/١ .

([٢١٩]) الفاتحة ٥ .

٣- الرتبة : تقدم المفعول به على الفعل والفاعل للاهتمام والقصر أى قصر العبادة على الله وحده ، والتقديم واجب للتنبيه " على أن العابد ينبغى أن يكون نظره إلى المعبود أولا وبالذات ومنه إلى العبادة لا من حيث إنها عبادة صدرت عنه بل من حيث إنها نسبة شريفة إليه " [٢٢٠] .

٤- الربط المادى : الضمير (إيا) ربط ربطا رائعا - من خلال الالتفات (وهو التحول من الغيبة إلى الخطاب) - بين جزأى السورة الكريمة ، " ذلك أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لليوم المذكور أقبل الحامد مخبراً بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره أنه وغيره يعبده ويخضع له " [٢٢١] .

٥- الإسناد :- فى الفعلين نعبد ونستعين فاعلان مستتران وجوباً يسند إليهما فعلا العبادة والاستعانة .

٦- الربط العلائقى :- بين هذه الآية والآيات التى تتحدث عن العبادة فى القرآن الكريم علاقات تفسيرية وسببية وتناص وكذلك بينها وبين أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم التى تتحدث عن ذلك .

٧- المعنى الدلالى الأكبر : هو قصر العبادة والاستعانة على الله سبحانه وتعالى ، وتكرار (إيا) لقصدهما معاً ، وأن العبادة هى التى توصل إلى الاستعانة ومن ثم الإجابة .

(اهدنا الصراط المستقيم*صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين) [٢٢٢]

١- المناسبة المعجمية :- الصراط يهدى إليه ولا بد له من هاد ، ولا يكون الصراط صراطاً إلا إذا كان مستقيماً ، والصراط المستقيم يتناسب مع المنعم عليهم وليس مع المغضوب عليهم ولا الضالين .

٢- النحو والتركيب : الفعل (اهد)متعد بنفسه أى يصل إلى المفعول به مباشرة بغير وساطة أو بغير حرف الجر كذلك العلاقة بين الهداية والصراط لابد أن تكون مباشرة مستقيمة لا عوج فيها .

٣- الربط المادى : الضمير (نا) فى (اهدنا) إحالة إلى الضمير المستتر (نحن) في (نعبدونستعين) ، والإحالة ربط مادى ظاهر والضمير (هم) فى عليهم عائد على (الذين)

٤- الإسناد :- بين الفعل (اهد) والفاعل المستتر وجوباً (أنت) علاقة إسناد مفادها أن الهداية تسند إلى الله سبحانه وتعالى .

([٢٢٠]) البيضاوى ١٠/١ .

([٢٢١]) البحر المحيط ١٤١/١ .

([٢٢٢]) الفاتحة ٦-٧ .

٥- الربط المعنوى : هاتان الآيتان بينهما وبين آى الكتاب العزيز علاقات تفسيرية وتناص يقول الله تعالى " إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء " [٢٢٣] ويقول سبحانه وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله " [٢٢٤] .

٦- المعنى الدلالى الأكبر : أن الله يهدى إليه من يشاء فهو الهادى الذى يهدى إلى الصراط المستقيم وهذا الصراط للذين أنعم عليهم الله سبحانه وتعالى بالهداية وليس للمغضوب عليهم ولا الضالين .

ويكون المعنى الدلالى الأكبر لفاتحة الكتاب إجمالاً أن الحقيق بالحمد هو الله الأحد لكونه تعالى رب العالمين موجدهم والمنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة ، ولأنه مالك أمورهم يوم الدين .

([٢٢٣]) القصص ٥٦ .

([٢٢٤]) الأنعام ١٥٣ .

خلاصة البحث

١-بانى الجملة ومحاول فهمها يحتاج كل منهما إلى المعنى المعجمى والمعنى الوظيفى (النحوى) أو القواعد النحوية المقررة بالإضافة إلى كل ما يحيط النص وهو المقام للتوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر ، بيد أن الأول يحتاج إلى هذه الثلاثية للكتابة أو البناء ، والثانى يحتاجها للفهم أى أن وسائل أو آليات العمل واحدة والهدف مختلف .

٢- عندما يحاول الناقد أو المحلل فهم الجملة أو نقدها يترجم ذلك كله فى صورة جمل هى بدورها مبان تحتاج إلى من يفهمها ، وبذلك تستمر هذه الثنائية المتلازمة بين البناء والفهم بدون توقف ، وبذلك يمكن القول إن البناء فهم والفهم بناء .

٣- ثمة فرق بين المعنى المعجمى والمناسبة المعجمية ، أما المعنى المعجمى فهو معنى الكلمة خارج السياق وهو ما نراه بين دفتى كل معجم (وليس معنى ذلك أن الكلمة خارج السياق لا معنى لها بل لها معنى مقرر بحسب الأصل ، وقد يتغير هذا المعنى عند الاستعمال) ، والمناسبة المعجمية هى علاقة بين المفردات يتناسب فيها المعنى المعجمى لكل مفردة مع المعنى المعجمى للمفردة المتراكبة معها .

٤- الربط المعنوى أو الارتباط معناه العلاقات التفاعلية التى تحكم بناء الجملة دون وساطات لفظية .

٥- المناسبة المعجمية والقواعد النحوية أو المعانى الوظيفية وأدوات الربط الظاهرة والارتباط والتعليق أو تنسيق دلالات الألفاظ فى العقل كل ذلك يوصل إلى المعنى الدلالى الأكبر لأى سياق مقالى .

٦- لا تقوى قرينة بعينها أو فكرة من الأفكار السالف ذكرها بمفردها على الوصول إلى المعنى الدلالى الأكبر لأى نص ، فالمعنى الأكبر يتوصل إليه بتضافر كل هذه الأفكار والإجراءات .

٧- ينبغى أن تفهم النصوص وفق العلاقة بين البناء والفهم بالسير فى خطين متوازيين أحدهما للبناء والآخر للفهم ، وصولاً إلى العلاقة بينهما ، ومن ثم الوصول إلى الأهداف الكبرى لهذه السياقات المقالية .

ثبت المراجع

١- إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، لابن خالويه.

٢- إملاء ما من به الرحمن ، للعكبرى ، المكتبة التوفيقية .

٣- البحر المحيط ، لأبى حيان الأندلسى (المتوفى ٧٤٥ هـ) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٣م .

٤- البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ، بتحقيق الدكتور طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٦ م .
٥- تفسير أبى السعود ، للقاضى أبى السعود محمد بن محمد العمادى (المتوفى ٩٥١ هـ) الطبعة الأولى دار إحياء التراث ، بيروت .
٦- تفسير البيضاوى ، لناصر الدين البيضاوى (المتوفى ٧٩١ هـ) ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٨ م .
٧- تفسير القرطبى لأبى عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، الجامع لأحكام القرآن ، دار إحياء التراث العربى ١٩٨٥ م .
٨- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ، المكتبة التوفيقية .
٩- روح المعانى للآلوسى (شهاب الدين السيد محمود الآلوسى (المتوفى ١٢٧٠ هـ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣ م .
١٠- شرح التصريح على التوضيح ، للشيخ خالد الأزهرى ، دار إحياء الكتب العربية .
١١- شرح الكافية ، للرضى ، الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠ هـ .
١٢- صحيح البخارى بحاشية السندى ، للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، دار المعرفة ، بيروت .
١٣- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى بتحقيق البارون ، المكتبة التوفيقية .
١٤- فقه اللغة فى الكتب العربية ، للدكتور عبده الراجحى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ٢٠٠٠ م .
١٥- مختار الصحاح ، للإمام عبد القادر الرازى ، دار المنار .
١٦- معانى القرآن ، للقراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) (المتوفى ٢٠٧ هـ) الطبعة الثانية ، عالم الكتب بيروت لبنان ١٩٨٠ م .
١٧- المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى ، الطبعة الثانية ، دار الجيل ، بيروت .
١٨- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية ، للدكتور مصطفى حميدة ، الطبعة الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٧ م .
١٩- نظرية التبعية فى التحليل النحوى ، للدكتور سعيد حسن بحيرى ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٨ م .

الفصل الخامس

ظلال المعاني في سورة القصص

(دراسة على مستوى النص)

توطئـة :

إن مـا قدمـه لنـا عبد القـاهر الجرجـاني من دراسـات للـنظم والتعليق فـي دلائـل الإعجـاز يعد إشارات ذكيـة إلـى المـنهج الـذي يجب علـى النحـاة أن يتبعوه فـي دراستهم للنحو ، حيث " *عنـى عبد القاهر بشرح دلالات الألفاظ واختلافها باختلاف مواقعها فـي الجمل ، كما وسع دائرة النحو ليشمل علم المعـاني وبعض المحسنات البديعيـة والبيانيـة* " [٢٢٥] " *وقد ركـز فـي دراسته علـى الاهتمـام بمـا بين السطح والمحتوى من علاقات ، وأن مواطن الجمال والقبح يتركزان فـي علاقـة الأجزاء بعضـها ببعض ، وعلاقة كل جزء بالكل* " [٢٢٦]، " *إلا أنـه فـي تدليله علـى نظريته اقتصر علـى الأبيات المفردة المعزولة عن سياقها النصـي ، ولـم يتنـاول نصّاً مكتملاً* "[٢٢٧] **، وقد عنيت دراسات علمـاء المعـاني بمعـاني التراكيب والجمل ، في حين عنيت دراسات النحويين بالتحليل ومعاني الأبواب الفرعيـة التـي فـي داخل الجمل ، وقد تحدث علمـاء التفسير فـي أسباب النزول ، وأن القرآن يفسر بعضـه بعضاً فيمـا سُمِّيَ بالتنـاص ،** " *ولقد كـان البلاغيون عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريباً علـى زمانهم لأن الاعتراف بفكرتـي المقـام والمقال باعتبارهمـا أساسين متميزين من أسس تحليل المعنـي يعتبر الآن فـي الغرب من الكشوف التـي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر فـي دراسة اللغـة* " [٢٢٨] ، "*والأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب ، وإن كان موضوعها قد تشعب إلـى مستويات عدة ، وأصبح لها أهداف واتجاهات متنوعة واختلطت بعلوم أخرى لا تخص المجال اللساني إلا أنها أصبحت هـي صلة اللسانيات بالأدب ونقده ، وبها ننتقل من دراسة اللغة جملة إلـى دراسة اللغة نصّاً* "[٢٢٩] **ودمـج كل هذه الأفكار مجتمعة يعنى ما يسمي فـي الدرس الحديث نحو النص ، وهـو " نمط من التحليل ذو وسائل بحثيـة مركبـة تمتد قدرتهـا التشخيصية إلـى مستوى مـا وراء الجملـة بالإضـافة إلـى فحصـها لعلاقـة المكونات التركيبية داخل الجملـة ، وتشمل علاقات مـا وراء الجملـة مستويات ذات طابع تدريجي يبدأ من علاقات ما بين الجمل ، ثم الفقرة ، ثم**

النص أو الخطاب بتمامه "[٢٣٠] **، " والنقلة من نحو الجملة إلى نحو النص ليست مجرد نقلـة حجميـة من الجملة إلى النص وإنما أيضاً نقلة في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه ، بحيث إذا كانت الجملـة وحدة نحويـة فإن النص ليس وحدة نحويـة أوسع وإنمـا هو وحدة من نـوع مختلف ، وحدة دلاليـة ،**

---

[٢٢٥] النقد الأدبي الحديث ، لمحمد غنيمي هلال ٢٧٦ .

[٢٢٦] الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) للدكتور/ عز الدين إسماعيل ١٩٩ .

[٢٢٧] منهج في التحليل النصى للقصيدة (تنظير وتطبيق) للدكتور /محمد حماسة عبد اللطيف ، مجلة فُصُول ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ١،١٩٩٦/١١٥ .

[٢٢٨] اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور/ تمام حسان ٣٣٧ .

[٢٢٩] الأسلوبية وتحليل الخطاب ، منذر عياش ٦٩ .

[٢٣٠] العربية من نحو الجملة إلى نحو النص ، للدكتور / سعد مصلوح ص٤٠٧ .

الوحدة التي لها معنى في سياق هذه الوحدة الدلالية تتحقق أو تتجسد في شكل جمل ، وهذا يفسر علاقة النص بالجملة "[٢٣١].

إن نحو النص يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة ، ودرجات الربط النحوي والتماسك الدلالي[٢٣٢]، وهو يختلف عن الجملة اختلافاً بيناً ، حيث يحدد نحو الجملة مجموعة من القواعد للدراسة محاولاً إثباتها من خلال النماذج التي يمكن أن تصنع من أجل ذلك ، أما نحو النص فيدرس النص المنجز فعلاً من حيث هو بنية كلية موضوعة في مقام ما أو سياق ما لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، ولهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد التي تعترف للنص بنصيته ، ولا شك أن بعض الموضوعات والقضايا تشترك بين نحو الجملة ونحو النص غير أن التطبيق سوف يختلف وكذلك النتائج[٢٣٣].

المعنى وظل المعنى :

لابد أن يكون المعنى هو الهدف الأخص لنحو النص " *لأن كل دراسة لغوية . لا في العربية الفصحى فقط بل في كل لغة من لغات العالم – لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة ، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبني بالمعنى* **"[٢٣٤]، وللوصول إلى المعنى في صورته الشاملة لابد أن نستخدم الطرق التحليلية التي تقدمها لنا فروع الدراسات اللغوية المختلفة من صوتيات وصرف ونحو ومعجم والحقائق التي نصل إليها بواسطة التحليل على هذه المستويات حقائق جزئية بالنسبة إلى المعني الدلالي ، فوضوح معاني المفردات لا يكشف عن المعنى الحرفي الذي يُسمي ظاهر النص أو معنى المقال لأن التعامل حينئذ يكون مع المفردات لا مع النص كله ، وانفراد العلاقات بين المفردات ومعانيها يجعل الأمر بحاجة إلى معني المقام أو المعنى الاجتماعي الذي هو شرط لاكتمال المعنى الدلالي الأكبر ، ومعنى هذا أننا حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ومن تحليل العلاقات بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم لا نستطيع أن ندعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعي أو المقام ، فهو ضروري جداً لفهم المعني الدلالي [٢٣٥] .**

---

(٢٣١)البديع بين البلاغة العربية ، واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد ٦٨ .

(٢٣٢)علم لغة النص ، للدكتور / سعيد حسن بحيري ١٤٣ .

(٢٣٣)نحو النص (اتجاه جديد في دراسة النحو العربي) للدكتور / أحمد عفيفي ، صحيفة دار العلوم ، العدد ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠، ص٣٠٢ .

(٢٣٤)اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور / تمام حسان ٩ .

(٢٣٥)

ومعنى هذا أن المعنى الحرفي للمفردات غير كاف لفهم ما قيل لأنه قاصر عن إبداء الكثير من القرائن التي تدخل في تكوين المقام ، وإن الكثير من نصوص التراث العربي قد جاء غامضاً لأن الذين رووا هذه النصوص لم يعنوا بإيراد وصف كاف للمقامات التي أحاطت بها ، ومن ثم ينبغي أن نبذل الجهد مضاعفاً عند التصدي لشرح هذه النصوص حتى نستطيع إعادة بناء المقام[٢٣٦]، ذلك أن *" المعنى لا يستدل عليه بالألفاظ فحسب وإنما تتعدد وسائل الدلالة عليه بحيث تشمل الأحداث والمواقف والانطباعات وما يكون من تجريدات ذهنية تحدث عند إدراك المعنى بأي وسيلة مما سبق "*[٢٣٧].

<u>والمعنى ثلاثة أنواع :</u> **معنى معجمي تدل عليه الكلمة المفردة كما في المعاجم ، ومعنى وظيفي تكشف عنه المباني التحليلية للغة ، أي عندما تقع الكلمة موقع الفاعل وتؤدي وظيفته في الكلام تكون الفاعلية هي المعنى الوظيفي لهذه الكلمة وكذا إذا وقعت الكلمة موقع المفعول به ، ثم المعنى الدلالي أو المقامي وهو المعنى الذي لا يقف عند تحليل تركيب المقال أو النص ولا عند معاني كلماته المفردة وإنما يتعدى ذلك إلى دور المقام في تحليل المعنى ، أما من ناحية الإدراك فينقسم المعنى إلى ثلاثة أنواع أخر[٢٣٨]: الأول عرفي والثاني ذهني والأخير انطباعي ، أما العرفي فهو ما تدل عليه العناصر اللغوية من الأدوات والصيغ الصرفية والأسماء والأفعال ومفردات المعجم وصور الجمل المختلفة وكل ما يشتمل عليه العرف من العناصر ، وأما الذهني فهو الذي يعتمد على الاستنباط ويلخصه لفظ (إذن) والمعنى الانطباعي هو الذي يعتمد على رد الفعل باعتبار ما يثيره في النفس من انفعال ، وليس من شأنه أن يتوقف على عرف أو على إدراك ذهني وإنما يتوقف على رد الفعل المباشر .**

---

(١) انظر :اللغة العربية معناها ومبناها ٣٤١ .

(٢) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص٣٧٣ .

(٣) ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان ١ .

(٤) انظر : البيان في روائع القرآن ، للدكتور / تمام حسان ٤٢٦/١ .

ويستدل على المعنى العرفي في عمومه بواسطة سياقين : سياق النص ، وسياق الموقف (المقام) أما المقصود بسياق النص فهو الجانب القولي بما فيه من عناصر التركيب وما ينتظم به من تصنيف وتأليف ، وعلاقات ، وقرائن ، ومعاني مفردات ، وأما المقصود بالموقف فهو ما يصاحب المنطوق من عناصر تداولية توصف بأنها عناصر الموقف ، يسميها المفسرون (أسباب النزول) ،

---

(٢٣٦)

(٢٣٧)

(٢٣٨)

ويسميها شراح النصوص (المقام) ، وهو عظيم الفائدة في التوصل للمعنى الدلالي فقد نجد النص واضح الصياغة ولا يتحقق فهمه إلا بعد التقديم له بذكر الظروف والملابسات التي دعت لنظمه ومن عناصر الموقف ما إذا كان الأداء لغوياً فقط أو كان مصحوباً بجانب حركي ، ومن عناصر الموقف مستقبِل النص فرداً كان أو جماعة وظروف قوله وما تركه من أثر في النفوس ، وعلاقة المبدع بالمتلقي[٢٣٩] .

وبعد إدراك المعنى من خلال تحليل الوظائف في النص على مستوى الأصوات والصرف والنحو ، وما يصاحب المنطوق من عناصر الموقف عندئذ نستطيع أن نفهم العلاقة بين المعنى وظل المعنى ، ذلك أنه لا يمكن فهم ظل المعنى إلا بعد فهم المعنى الذي هو ظله فهماً مكتمل الجوانب على جميع المستويات .

والريادة الحقيقية في التفريق بين المعنى وظل المعنى يمكن نسبتها إلى عبد القاهر الجرجاني وذلك لأنه قدم في عصور مبكرة لمصطلح أصبح مألوفاً في الدراسات اللغوية والنقدية في القرن العشرين وهو معنى المعنى، يقول الجرجاني " *هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول المعنى ومعنى المعنى تعنى بالمعني المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر* "[٢٤٠] **، وقد قسم الجرجاني الكلام على ضربين : ضرب نصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده كأن نخبر عن زيد مثلاً بالخروج (على الحقيقة) فنقول خرج زيد ، وضرب آخر لا نصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده . ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم نجد لذلك المعنى دلالة ثانية نصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر – عنده – على الكناية والاستعارة والتمثيل ، ومَثَّل عبد القاهر لمعنى المعنى بقول العرب :** " *فلان كثير رماد القدر* " **وفيه لا يُقصد المعنى المأخوذ من ظاهر اللفظ ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره (المعنى السطحي) أو المعنى غير المقصود ، ثم يتوصل السامع أو القارئ من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال إلى معنى ثانٍ هو المقصود[٢٤١] ، وبين المعنيين غير المقصود والمقصود سلسلة أو طائفة من المعاني يُتوصل من أحدها إلى الآخر لنصل في النهاية إلى المعنى المقصود ، فعندما نقول فلان كثير الرماد أو كثير رماد القدر فإن ذلك يدلنا على طائفة من المعاني نتوصل من خلالها إلى المعنى المقصود ، فكثرة الرماد تعني إيقاد قدر كبير من الحطب تحت القدور ، وقد تعنى أن الزوجة كسول لا تقوم بتنظيف الموقد أولاً بأول مما يؤدي إلى تراكم الرماد تحت القدر أو تدل على إسراف الزوجة في استخدام كميات كبيرة من الحطب لإيقاد القدر أو على عدم خبرتها في عملية الإيقاد هذه ، وقد تعنى أن عملية الطهي لا تتوقف مما لا يعطي فرصة للزوجة لتقوم بتنظيف الموقد ، وهو يعنى أن هذه الأسرة تقوم بإعداد الطعام كثيراً مما يدل على كرم**

---

[٢٣٩] انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم للدكتور / تمام حسان (٢) .

[٢٤٠] دلائل الإعجاز ص١٧٧ .

[٢٤١] انظر : دلائل الإعجاز ص١٧٧ .

ضيافة هذه الأسرة وهكذا توصلنا إلى المعنى المقصود مروراً بعدة معان يمثل كل واحد منها ظلاً للمعنى السابق عليه ، والمعنى وظل المعنى هو ما عناه حازم القرطاجنى بالمعاني الأُول والمعاني الثواني حين قال في منهاج البلغاء " *ولنسم المعاني التي تكون من الكلام ونفس غرض الشعر المعاني الأُوَل ، ولنسم المعاني التي ليست من الكلام ونفس الغرض ولكنها أمثلة لتلك واستدلالات عليها أو غير ذلك لا موجب لإيرادها في الكلام غير محاكاة المعاني الأول بها أو ملاحظة وجه يجمع بينها على بعض الهيئات التي تتلاقى عليها المعاني ويصار من بعضها إلى بعض المعاني الثواني* "[٢٤٢] **، وإذا نظرنا إلى موقف السكاكي من البيان وجدنا أن موقفه من الحقيقة والمجاز لا يختلف في جوهره عن موقف عبد القاهر ، يقول السكاكي :** " *الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع* "[٢٤٣]**، أما بالنسبة لاستخدام اللفظ على المجاز فهو يتفق أيضاً مع الجرجاني في أن الدلالة المجازية هي دلالة عقلية يتم التوصل إليها عن طريق القرائن داخل النظام أو النسق اللغوي ، فبينما يقوم الاستخدام على الحقيقة على المعنى المعجمي للفظ ، دون قرينة ، يعتمد الاستخدام المجازي على القرائن داخل النص[٢٤٤] ، والواقع أن أفكار البلاغيين العرب عن المعنى ومعنى المعنى أو المعاني الأول والمعاني الثواني لا تختلف في جوهرها عن تعدد الدلالة أو تعدد المدلولات للدال في الدرس الحديث الذي يعرف اللغة بأنها نظام من العلامات ،والعلامة هي اتحاد بين شكل يدل يسميه سوسير الدال وفكرة يدل عليها تسمي المدلول[٢٤٥] ، وإذا عدنا إلى قول العرب "** *فلان كثير رماد القدر* " **وبعد القراءة الأولى التي تمثل حقيقة ما وضع الألفاظ من أجله ، تبدأ عمليات الاستدلال بالابتعاد أولاً عن قراءة المواضعة أو القراءة الحقيقية ، ثم بتحول مدلول كل قراءة منها إلى دال على مدلول آخر هو القراءة التالية ، وبالقراءة الأخيرة فقط نكون قد قطعنا شوط الابتعاد عن استخدام اللفظ على الحقيقة حتى نهايته ووصلنا إلى القراءة المجازية أو ما يسمي معنى المعنى ، وهي عملية تحول المدلول إلى دال في عرف الحداثيين ، وعلى الرغم من أن عبد القاهر لم يستخدم هذا التعبير الحداثى فإن المفهوم واحد إلى حد التطابق[٢٤٦] .**

والحق أن عبد القاهر والسكاكي والقرطاجنى لم يتركوا فرصة في مؤلفاتهم دون أن يشيروا إلى خطأ التوقف عند الدلالة الظاهرة للفظ وضرورة الحفر عند جذور اللغة للوصول إلى ما وراء المعنى الظاهر أو ما تحته[٢٤٧] ، ولكن يؤخذ عليهم أنهم درسوا ظل المعنى على مستوى البلاغة

---

[٢٤٢] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، لحازم القرطاجنى ٢٣ .

[٢٤٣] مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي ٣٥٨ .

[٢٤٤] المرايا المقعرة ، للدكتور / عبد العزيز حمودة ٣٠١ .

[٢٤٥] انظر : فرديناندي سوسير (أصول اللسانيات وعلم العلامات) ، لجوناثان كللر، ترجمة الدكتور / عز الدين إسماعيل ٧٢ .

[٢٤٦] انظر : المرايا المقعرة ، للدكتور / عبد العزيز حمودة ٢٩٩ .

[٢٤٧] انظر : : المرايا المقعرة ٣٩٥ .

فقط ولم يدرسوه على مستوى النص أو في ضوء العلاقة النحوية والقرينة ، فمن ظلال المعاني على مستوى النص السؤال الوارد على دعوى سابقة نحو قوله تعالى " فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان "[٢٤٨] ، **السؤال هو: كيف ذلك واليوم يوم حساب ؟ والجواب** " يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام "[٢٤٩] **ومن ظلال المعاني على مستوى النص أيضاً دلالة الاستفهام الإنكاري على الإثبات إذا كان مبدوءا بحرف النفي نحو قوله تعالى :** " ألم يجدك يتيماً فآوي "[٢٥٠] ، **أي لقد وجدك ، وعلى النفي أو النهي إذا كان غير مبدوء بحرف النفي ، نحو قوله تعالى:** " أفغير الله أبتغي حكماً "[٢٥١] ، **أي لست أبتغي غيره ، وعلى مستوى النص قد يكون التركيب استفهاماً وظل المعنى تعجباً ، نحو قول الله تعالى :** " هل أتي على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً "[٢٥٢] . **فالمقصود هنا هو معنى التعجب لأن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عباده عن أمر هو أعلم به ، ومن ظلال المعاني في ضوء العلاقة النحوية والقرينة معنى الجملة ويشمل أسلوب الجملة من خبر وإنشاء وهذا المعنى هو الذي تكون له ظلال فقد يكون مبني الجملة على صورة الخبر ولكن معناها الشرط كما في قوله تعالى :** " والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة "[٢٥٣] ، **أي من أراد أن يتم الرضاعة فعلي الوالدات أن يرضعن أولادهن** [٢٥٤].

<u>ظل المعني وظل النص :</u>

ينبغي أن نفرق بين نوعين من الظلال الأول يمثل تعدد الدلالة أو مراوغة المدلول أو تعدد المدلول للدال ، وهو ظل المعنى ، الذي نصل إليه لا بدلالة اللفظ وحده ، ولكن بدلالة اللفظ على معنى المواضعة ثم نجد لذلك المعنى دلالة أخرى نصل بها إلى الغرض الحقيقي من وراء الصياغة ، والثاني يمثل تعدد الدال للمدلول وهو ما يعرف بظل النص أو النص الظل أو المزاح وهو نص غير منجز بالفعل ، هذا النص قابع تماماً في الذهن ، ويكون في مرحلة ما قبل النص موازياً تماماً للنص المُنْجَز وقد عبر عن ذلك امرؤ القيس الذي لقب بالذائد حين قال [المتقارب] [٢٥٥] :

أذود القوافي عنى ذيادا ذياد غلام غوى جرادا

فلما كثرن وأعيينني تنقيت منهن عشراً جيادا

---

[٢٤٨] الرحمن ٣٩ .

[٢٤٩] الرحمن ٤١ .

[٢٥٠] الضحي ٦ .

[٢٥١] الأنعام ١١٤ .

[٢٥٢] الإنسان ١ .

[٢٥٣] البقرة ٢٣٣ .

[٢٥٤] انظر ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان ٢ : ٦ .

[٢٥٥] **انظر المؤتلف والمختلف ، للآمدى ٦ .**

فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا

فالمبدع في مرحلة ما قبل النص أو القَبْلية – كما يسميها نقاد الأدب – تتوارد في ذهنه طوائف من القوافي والألفاظ المعبرة عن المعاني ، فينتقي منها الأجود والأصلح لتأدية المعنى المطلوب ، ويعزل ما دون ذلك مكوناً نصاً مزاحاً يوازي النص المنجز وإذا عمد مبدع آخر إلى التجربة ذاتها فإنه يعبر عن المعنى بنص يعد ظلا لنص المبدع الأول ، وهذا النص بدوره له ظل في مرحلة القبلية وبذلك يكون لدينا مجموعة نصوص " ***متوازية أو متعامدة على النص المكتوب مشكلة فيما بينها نصوصاً ظلالية متغايرة حسب المتلقي بحيث يتحول المبدع من مبدع أحادى إلى حافز إبداعي لنصوص قد تمت لنصه الأصلي بصلة*** "[٢٥٦] ، " ***وزمنية تحول النص المكتوب إلى نص حافز زمنية مصاحبة لعملية التلقي التي تتجاوز إلى تشكيل النص الظل الذي يغدو بدوره نصّاً حافزاً للآخر***"[٢٥٧]، أي أن ظل المعنى يعبر عن استدلال مجموعة من المعاني لتركيب واحد ، في حين يعبر ظل النص عن تعدد مجموعة من الألفاظ والتراكيب لمعنى واحد أو تجربة واحدة فالأول هو تعدد المدلول للدال والثاني هو تعدد الدال للمدلول ، والأول من عمل المتلقي ، والثاني من عمل المبدع[٢٥٨] ، ولذلك فإن استخدام المعاني ذات الظلال في اللغة يخلق نوعاً من المشاركة بين المبدع والمتلقي حيث يترك المبدع المجال للمتلقي لفهم المعنى ؛ وفي ذلك يجد المتلقي عناءً في البحث عن المعنى المقصود وكلما عاني القارئ في طلب المعنى كان أفيد له وأمتع " ***فالمعنى الجيد ليس هو المعنى المباشر ، بل ذلك المعنى الذي يحوجك أو يضْطرك للتفكير فيه ، المعنى الجيد هو الذي يتحدى الفهم السريع بامتناعه على القارئ أو المتلقي*** "[٢٥٩] " الذي يفك شفرة الصورة اللغوية المجازية ليصل إلى معنى معناه الظاهري أو المعنى الثاني الذي يكمن أو يحتجب خلف القراءة السطحية "[٢٦٠] .

ظـلال المعـاني في سورة القصص :

<u>أولاً : دلالة اللفظ المفرد على ظل المعنى :</u>

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** " (القصص ١٢) .

لفظ (المراضع) دل على أنه عرض عليه جملة من المرضعات[٢٦١].

---

[٢٥٦] **موت النص (النص والنص المضاد والنص الظل) ، للدكتور محمد أبو الفضل بدران ، مجلة كلية الآداب بقنا ، العدد الخامس الجزء الأول ١٩٩٥ ص١٧ .**

[٢٥٧] **موت النص ، للدكتور محمد أبو الفضل بدران ص٢١ .**

[٢٥٨] **يكون ظل النص من عمل المبدع فقط إذا كان المتلقي سلبياً ، أما إذا كان المتلقي ناقداً أو مبدعاً فإنه يكون بمعاونة النص المكتوب نصا متوازيا ، وعندئذ يكون ظل النص من عمل المبدع والمتلقي كليهما .**

[٢٥٩] **المرايا المقعرة ٢٧٠ .**

[٢٦٠] **المرايا المقعرة ٣٩٨ .**

[٢٦١] **انظر البحر المحيط ١٠٨/٧ .**

- قال تعالى : " **قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** " (القصص ٢٧) .

الظاهر في لفظ (من عندك) أن معناه من تجاهك أو من قِبلك ، والمعنى أنه تبرع منك وتفضل لا اشتراط .

ولفظة (أشق) تدل على أشكال المشقة المتمثلة في إلزام أي الأجلين ، أو المعاشرة ، والمناقشة في مراعاة الأوقات وتكليف الرعاة أشياء من المهمات خارجة عن الشرط [٢٦٢] .

- قال تعالى : " **وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون** " (القصص ٣٤) .

ظاهر المعنى في لفظ (يصدقني) أن يقول له صدقت ، وهو معنى سطحي غير مقصود في الآية ، أما ظل المعنى فهو أنه يبالغ في الإعراب عما في النفس وفي الإجابة ودرء الشبهات أثناء جداله الكفار ، وذلك لزيادة فصاحته ، وإلا لما قال موسى : " **وأخي هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معي ردءاً** " ، ولفظ (ردءاً) معناه (معيناً) في الحجة والبرهان ، والترتيب بين ردءاً ويصدقني يوضح المعنى المقصود ، أي : ليوضح ما أقول ويبطل شبهاتهم فيظهرَ صدقي .

- قال تعالى : " **وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين** " (القصص٣٨) .

كان فرعون يدعى لنفسه صفة الألوهية وقد أصر على هذا الرأي ولم يعترف بإله غيره ولذا قال (لعلى أطلع إلى إله موسى) " **حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل** "[٢٦٣] ، عندئذ أدرك أن هذا الزعم غير حقيقي وأن إله موسى استطاع أن يورده مورد التهلكة ، ولكنه عندما أراد أن يعبر عن ذلك لم يجد من المفردات ما يعبر عن ألوهية هذا الإله إلا أنه إله موسى أو الذي آمنت به بنو إسرائيل ، ولم يرد أن يذكر الله جل جلاله وما سمعه من موسى عن صفاته ، وهذا يجعل للمعنى ظلاً خاصاً [٢٦٤] .

- قال تعالى : " **إن قارون كان من قوم موسى فبغي عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** "(القصص ٧٦).

ذكر المفسرون من أنواع (البغي) الكفر والكبر وحسده لموسى على النبوة ولهارون على الذبح والقربان ، وبخصوص (الكنوز) قيل إن الله أظفره بكنز من كنوز يوسف ، وقيل صارت أمواله كنوزاً ، إذ كان ممتنعاً من أداء الزكاة ، والمراد بالمفاتح كثرة المفاتيح وهو الظاهر وأن تنوء العصبة بحملها ولكنها تعنى الخزائن والكنوز

---

[٢٦٢] **انظر البحر المحيط ١١٥/٧ .**

[٢٦٣] **يونس ٩٠ .**

[٢٦٤] **انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان ٥ .**

الكثيرة ، وقيل المراد من المفاتح العلم والإحاطة كقوله تعالى : " **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** "[٢٦٥] ، والمراد وآتيناه من الكنوز ما إن حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة، أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يتعب حفظها القائمين عليه[٢٦٦] .

ثانياً : دلالة العلاقة النحوية والقرينة على ظل المعنى :

- قال تعالى : " **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " (القصص ٨) .

اللام في قوله تعالى (ليكون) هي لام الصيرورة والمآل وتسمي لام العاقبة ، حيث آل التقاط موسى وتربية فرعون له إلى كونه عدوّاً لفرعون وأهله ، وما كان التقاطهم له إلا للتبني وليكون حبيباً لهم ، " وأنكر البصريون ومن تابعهم لام العاقبة قال الزمخشري والتحقيق أنها لام العلة وأن التعليل فيها وارد عن طريق المجاز دون الحقيقة وبيانه أنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا بل المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له شبه بالداعي الذي يفعل الفعل لأجله ، فاللام مستعارة لما يشبه التعليل " [٢٦٧] ، وعلى الرأي القائل إن اللام هي لام الصيرورة تكون قرينة المعنى النحوي أو المعنى الوظيفي هي الدليل على ظل المعنى ، فاللام حرف من حروف المعاني ، وإحدى وظائفها الدلالة على المآل والعاقبة ، كدلالتها على الجر والتعليل وغيرهما ، فالمعني الظاهر في الآية أن فرعون وآله التقطوه ليكون لهم عدوّاً وظل هذا المعنى أنهم التقطوه ليكون حبيباً وقرة عين لهم فآل هذا الالتقاط إلى كونه عدوّاً ، ودل على ذلك اللام ومعناها الوظيفي في الجملة ، وإذا نظرنا إلى قوله تعالى : " **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " نجد أن المعنى لا يحتاج إلى التأكيد بقدر احتياجه إلى التعليل ، فلماذا آل الأمر إلى خلاف ما تمنى فرعون وأهله ؟ والجواب : لأن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ، فقد حلت (إنّ) محل (لأنّ) في الآية وأدت دورها في الكلام ، ويقال إن في الآية معاقبة[٢٦٨] ، حيث عاقبت (إن) (لأن) ، فكانت هذه المعاقبة قرينة على ظل المعنى ، أي أن المعنى توكيد وظله تعليل ، وقرينة المعاقبة هي الرابط بين المعنى وظله .

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبلُ فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** " (القصص ١٢) .

من المعروف أن (قبل) و(بعد) يبنيان على الضم إذا حُذِفَ المضاف إليه وقُصِدَ معناه دون لفظه ، ولكن ما المضاف إليه المحذوف في الآية ؟، هل حُرِّمَتْ على موسى المراضع من أول الأمر ، أو من قبل أن تقص أخته أثره ؟ فالمعنى غير واضح من ظاهر اللفظ ، وله ظلان لا ندري أيهما المقصود ؟ ولكن بقرينتي الحال والسياق نفهم أن ظل المعنى هو تحريم المراضع من قبل القص لا من أول الأمر ، فلا جدوى من تحريم

---

[٢٦٥] **الأنعام ٥٩ .**

[٢٦٦] **انظر البحر المحيط ١٣١،١٣٢/٧ .**

[٢٦٧] **مغنى اللبيب ١٧٩/١ .**

[٢٦٨] **المعاقبة هي صلاحية عنصر لغوي أن يحل محل عنصر لغوي آخر ويؤدي دوره في الكلام ، وهي نوع من العلاقات الرأسية الاستبدالية التي تؤدي إلى التوسع في اللغة ، انظر: الخلاصة النحوية للدكتور / تمام حسان ٣٤، والمعاقبة في نظام النحو العربي ، رسالة دكتوراه مخطوطة للباحث / كلية الآداب بقنا ٢٠٠٤م .**

المراضع من أول الأمر وموسى مع أمه ترضعه وتحنو عليه (قرينة الحال) ، ويدل على ذلك قوله تعالى : " وقالت لأخته قصيه " في الآية السابقة ، ومن هنا كانت القرائن دالة على المعنى وظله في الآية .

- قال تعالى : " **قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ فلا عدوان على والله على ما نقول وكيل** " (القصص ٢٨) .

أي ذلك عهد بيني وبينك ، ويفهم المعنى بقرينة السياق ، ففي النص عرض وطلب بين طرفين ، وبارتضاء هذين الطرفين يتم العقد أو الميثاق ، ويوضحه قول الله تعالى " والله على ما نقول وكيل " ، ووكيل في الآية ليست من الوكالة ، وإنما هي بمعنى شاهد ، أي شاهد على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا ، فوكيل هنا ضمنت معنى شاهد ، ولما ضمنت معنى شاهد تعدت بحرف الجر (على) ، فالتعدية كشفت عن أن المعنى المقصود ليس هو الوكالة ، وإنما هو الشهادة فأشارت بذلك إلى ظل المعنى[٢٦٩] .

- قال تعالى : " **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون** " (القصص ٢٩).

أي الأجلين قضى موسى ؟ وقد خيره شعيب بين أجلين عندما قال " **إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك** " (القصص ٢٧) .

جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام وَفَّي أطول الأجلين وهو العشر[٢٧٠] ، ولم يكشف ظاهر النص عن المعنى المقصود ، وعرف المعنى بقرينة خارجية هي السنة المطهرة .

- قال تعالى : " **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون** " (القصص ٨٢) .

(وى) عند سيبويه والخليل اسم فعل مضارع بمعنى أتعجب وكأن للتشبيه ، والمقصود غير ذلك ، لأن المقصود أن تكون الكاف خالية من معنى التشبيه وتأويل ذلك أن تكون (وى) في (ويك) للتعجب والكاف حرف خطاب ، أو (ويكأن) حرف واحد بجملته وهو بمعنى ألم ترو، وقال الفراء ويك في كلام العرب كقول الرجل أما ترى إلى صنع الله[٢٧١] ، وهو ظل المعنى المقصود في الآية .

- قال تعالى : " **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** " (القصص ٧٧) .

---

[٢٦٩] انظر : البحر المحيط ١١٥/٧ .

[٢٧٠] انظر : البحر المحيط ١١٥/٧ .

[٢٧١] انظر : البحر المحيط ١٣٤/٧ .

الكاف حرف يفيد التشبيه ، والتشبيه غير مقصود في الآية وظله إما التعليل أي وأحسن ليحسن الله إليك أو السببية أي أحسن فيحسن الله إليك[٢٧٢].

- قال تعالى : " **قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين** " (القصص ١٧) .

الباء للقسم أي أقسم بما أنعمت به على من المغفرة لأتوبن فلن أكون ظهيراً للمجرمين أو متعلقة بمحذوف والتقدير اعصمني بحق ما أنعمت على من المغفرة فلن أكون إن عصمتني ظهيراً للمجرمين[٢٧٣] .

ثالثاً : دلالة الاستفهام الإنكاري على ظل المعنى :

إذا كان الاستفهام الإنكاري مبدوءاً بحرف النفي فإن ظل المعنى هو الإثبات أو الأمر أما إذا كان الاستفهام الإنكاري بغير حرف النفي فإن ظل المعنى هو النفي أو النهي[٢٧٤] ، وجاء في سورة القصص :

- قال تعالى : " **أولم نمكن لهم حرماً آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء** " (القصص ٥٧) .

أي لقد مكنا لهم حرماً آمنا ، فالمعنى استفهام وظله إثبات .

- قال تعالى : " **وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون** " (القصص ٦٠) .

أي اعقلوا ، فالمعنى استفهام وظله أمر وغرضه " توبيخ في كونهم أهملوا العقل في العاقبة " [٢٧٥] .

- قال تعالى : " **أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً** " (القصص ٧٨) .

أي ليعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه ، فالمعنى استفهام ، وظله أمر .

- قال تعالى : " **فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون** " (القصص ٦٢) .

الاستفهام الإنكاري بغير حرف نفي ، وظله النفي ، أي لا شركاء لي .

- قال تعالى : " **أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين** " (القصص ٦١) .

المعنى استفهام ، وظله نفي أي لا يستوي من وعدناه وعداً حسناً مع من متعناه فيحضر يوم القيامة إلى النار .

رابعاً : دلالة السؤال المطروح خارج النص على ظل المعنى :

---

[٢٧٢] **انظر : البحر المحيط ١٣٣/٧ .**

[٢٧٣] **انظر : البحر المحيط ١٠٩/٧ ، ١١٠ .**

[٢٧٤] **ظلال المعاني في القرآن الكريم للدكتور / تمام حسان ٣ .**

[٢٧٥] **البحر المحيط ١٢٧/٧ .**

- قال تعالى : " **ولا يُسألُ عن ذنوبهم المجرمون** " (القصص ٧٨)

السؤال : كيف ذلك واليوم يوم حساب ؟! والجواب الذي يسعى إليه السؤال نجده في سورة الرحمن : " **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام** "[٢٧٦] .

- قال تعالى : " **ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين** " (القصص ٤٥) .

السؤال : كيف يتصل قوله تعالى : " **ولكنا أنشأنا قروناً** " بقوله تعالى "**وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين**" (القصص ٤٤) ؛ ومن أي جهة يكون استدراكاً له ؟

معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك قروناً كثيرة فتطاول على آخرهم العمر وهو القرن الذي أنت فيهم ، أي اندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الأنبياء وبقصة موسى عليه السلام[٢٧٧] .

- قال تعالى : " **قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين** " (القصص ٢٦) .

السؤال : لِمَ وصفته بالقوة والأمانة ؟

والجواب : أنها وصفته بالقوة لأنه رفع صخرة البئر وحده وزاحم بمفرده قوماً حتى غلبهم على الماء ، ووصفته بالأمانة لأنه حين قام يتبعها هبت الريح فلفت ثوبها فوصفتها فقال كوني ورائي ودليني فإني رجل لا أنظر إلى أدبار النساء[٢٧٨] ، هذا والقوة والأمانة هما الصفتان الملائمتان لحالهم ، فالأب شيخ كبير يحتاج إلى القوة في مقابل الهرم ، ولديه ذرية من البنات ، الأمر الذي يتطلب قوة للحفاظ عليهن ، وأمانة في التعامل معهن ، وهذا من ظلال المعاني في السورة .

- قال تعالى : " **فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين** " (القصص ٣٠) ، وفي سورة طه : " **نودي يا موسى إني أنا ربك** "[٢٧٩] ، وفي النحل : " **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها** "[٢٨٠].

السؤال : هل في ذلك منافاة ؟

---

[٢٧٦] **سورة الرحمن ٤١ .**

[٢٧٧] **البحر المحيط ١٢٢/٧ .**

[٢٧٨] **البحر المحيط ١١٤/٧ .**

[٢٧٩] **طه ١١ ، ١٢ .**

[٢٨٠] **النمل ٨ .**

والجواب : " ***لا منافاة في ذلك إذ حكي في كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء والجمهور على أن الله تعالى كلمه في هذا المقام من غير واسطة*** "[٢٨١] .

خامساً : قد يكون التركيب إخباراً وظل المعنى إنشاءً .

- قال تعالى : " **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تُسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين** " (القصص ٥٨) .

المعنى إخبار بكثرة إهلاك القرى أما ظل المعنى فهو تخويف وتهديد لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فقابلوا النعمة بالبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم[٢٨٢] .

- قال تعالى : " **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** " (القصص ٨٤) .

الكلام معناه الخبر ، وظله الشرط ، أما قوله تعالى في نفس الآية " ***فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون*** " فمبني الجملة على صورة النفي ومعناها الإثبات ، أي يجزي الذين عملوا السيئات ما كانوا يعملون ، وهو ما يسمي في النحو الاستثناء المفرغ ، ويتحقق معنى جملته بحذف كل من حرفي النفي والاستثناء ، فالاستثناء معناه إخراج ما بعد (إلا) في الحكم ، أو نفي الحكم عن المستثني وإثباته للمستثني منه ، وعندما يدخل حرف النفي على هذا التركيب يبطل عمل (إلا) ويتحول الأسلوب من النفي إلى الإثبات إذ إن نفي النفي إثبات ، ومثله قوله تعالى : " وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون " (القصص ٥٩) ، أي لقد أهلكنا القرى لأن أهلها ظالمون ، أو حال كونهم ظالمين .

سادساً : دلالة الكناية على ظل المعنى :

- قال تعالى : " **وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** " (القصص ٧٦) .

المفاتح كناية عن الخزائن والكنوز الكثيرة .

- قال تعالى : " **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** " (القصص ١٠) .

الربط على القلب كناية عن قراره واطمئنانه ، حيث شُبِّهَ القلب بشيء يُربط مخافة الانفلات [٢٨٣] .

- قال تعالى : " **وأبونا شيخ كبير** " (القصص ٢٣) .

ظاهر المعنى أنه إخبار بكبر الأب وشيخه ، وإنما المقصود هو المعنى الثاني أو معنى المعنى ، الذي يترتب على هذا الكبر ، وهو عدم القدرة على السقي ، فالكبر والشيخ كناية عن عدم القدرة على القيام بمهام

---

[٢٨١] **البحر المحيط ١١٧/٧ .**

[٢٨٢] **انظر : البحر المحيط ١٢٦/٧ .**

[٢٨٣] **انظر : البحر المحيط ١٠٧/٧ .**

السقي ومباشرته إياه بنفسه ، وللمعنى الظاهر ظلال أخرى ، فهو " ***اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما ، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره ، واستعطاف لموسى في إعانتهما*** "[٢٨٤].

- قال تعالى : " **اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قوماً فاسقين** " (القصص ٣٢) .

(***واضمم إليك جناحك***) كناية عن أنه في موقف خوف وفزع ، فمن شأن الإنسان إذا ضم عضده ، وذراعه وهو الجناح إلى جنبه وقت الفزع أن يخف بذلك فزعه ، ويقوى قلبه ، وقيل مجاز يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبط نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحه وأرخاهما [٢٨٥].

سابعاً : دلالة الإيماء على ظل المعنى :

- قال تعالى : " **وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين** " (القصص ٤٤) .
- وقال تعالى : " **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك** " (القصص ٤٦) .

يؤكد المولى سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه يتلقى الأخبار عن الوحي ، إذ لم يكن موجوداً زمن موسى عليه السلام ، والمعنى لما اندرست العلوم وجب إرسالك إلى قومك بعد انقضاء زمن موسى عليه السلام وكسبناك العلم بقصص الأنبياء ، وبقصة موسى عليه السلام .

ثامناً : دلالة الحذف على ظل المعنى :

- قال تعالى : " **ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون O وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين** " (القصص ٦،٧) .

عندما علا فرعون في أرض مصر جعل أهلها شيعاً ، واستضعف طائفة منهم ، فراح يذبح أبناءهم ، ويستبقي بناتهم أحياء للخدمة ، ووضعت موسى أُمُّهُ في هذا الزمن (زمن الذبح) وخافت عليه ، فأوحي الله إلى أم موسى أن أرضعيه ، ولم تشر الآيات إلى وضع موسى عليه السلام ، وعُرِفَ المعنى بدلالة الحذف ، وتقدير المحذوف (ووضعت موسى أُمُّهُ زمن الذبح وخافت عليه) ، ودل على المحذوف من السياق الهاء في (أرضعيه ، وألقيه ، ورادوه) فهي عائدة على موسى عليه السلام ، ولا حذف إلا بدليل .

---

[٢٨٤] **انظر : البحر المحيط ١١٣/٧ .**

[٢٨٥] **البحر المحيط ١١٧/٧ .**

- قال تعالى : " **ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين O فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عَدُوّاً وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** " (القصص ٧،٨) .

ثمة كلام محذوف بين هاتين الآيتين تقديره : ففعلت أم موسى ما أُمرت به حيث أرضعته وألقته في اليم فالتقطه البحر ثم التقطه فرعون ، ودل على المحذوف قوله تعالى : (***فالتقطه آل فرعون***) ، فلو لم تكن أم موسى قد أرضعته وألقته في اليم لما التقطه آل فرعون من هذا اليم .

- قال تعالى : " **وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون** " (القصص ٩) .

أي وهم لا يشعرون أنهم يرتكبون خطأ كبيراً في التقاطه ، ولا يشعرون أن الأمر سيئول إلى خلاف ما تمنوا ، فقد التقطوه ليكون حبيباً وقرة عين لا ليكون عدوا وحزنا .

- قال تعالى : " **وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين** " (القصص ١٠) .

أي : وأصبح فكر أم موسى فارغاً من العقل لماً بلغها أن موسى وقع في يد فرعون ، ودليل الحذف قوله تعالى (لولا أن ربطنا على قلبها) ، فالربط على القلب كناية عن اطمئنانه واستقراره بعد الفزع والخوف حيث شُبِّهَ القلب بشيء يُربط مخافة الانفلات ، وفي الآية حُذِفَ معمول الفعل (تبدى) :أي لتبدى القول به، ومعنى القول أنها كادت تصبح: وا ابناه عند إلقائه في اليم ، فالفعل (تبدى) فعل متعد بنفسه ، وبمزاولة إعراب الجملة اتضح المفعول به المحذوف ، فدل بذلك على ظل المعنى .

- قال تعالى : " **وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون** " (القصص ١١) .

أي وقالت لأخته قصيه ، فقصت أثره فأبصرته عن بعد بنظرات مختلسة ، ودل على المحذوف قوله تعالى فبصرت به ، فلو لم تكن قد قصت أثره لما أبصرته .

- قال تعالى : " **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحونO فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** " (القصص ١٢،١٣) .

بين الآيتين كلام محذوف فبعد أن عرضت أخت موسى على أهل فرعون أن تدلهم على أناس يكفلونه مرت بهم وبه إلى أمه فرده الله إليها ، ولما حُذف الجزء الأول (***فمرت بهم وبه إلى أمه***) صُرِّحَ بلفظة (***أم***) بدلاً من الضمير فقيل فرددناه إلى أمه[٢٨٦] ، ولو كان الكلام المحذوف مذكوراً في الآية لقيل (***فرددناه إليها***) .

- قال تعالى : " **ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها** " (القصص ١٤،١٥) .

أي : آتيناه حكماً وعلماً فجاهر فرعونَ وقومه بما يفعلون وكانوا يكرهون المجاهرة بظلمهم ، فأخرجه فرعون من المدينة فاختفي وغابَ عنها سنين ثم عاد فدخلها .

---

[٢٨٦] **انظر : البحر المحيط ١٠٨/٧ .**

- قال تعالى : " **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما** " (القصص ٢٣،٢٤) .

من القواعد الأصولية في النحو العربي أنه لا حذف إلا بدليل " فإذا كان في الفعل دلالة على المفعول به حَسُنَ حذف المفعول به دفعاً للإطناب"[٢٨٧] ، فإذا نظرنا إلى هاتين الآيتين وإلى أفعال السقي والإصدار والذود فيهما وجدنا أن المفعول به لكل منها محذوف وتقديره (الغنم) ، فاكتفي النص بذكر الأفعال ولم يذكر مفعولاتها دفعاً للإطناب ، فغير مقبول من ناحية البلاغة أن يقال : ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون الغنم ووجد من دونهم امرأتين تذودان الغنم قال ما خطبكما قالتا لا نسقي الغنم حتى يصدر الرعاء الغنم وأبونا شيخ كبير فسقي لهما الغنم .

- قال تعالى : " **فسقي لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** " (القصص ٢٤،٢٥).

في الآية حذف تقديره : فسقي لهما ثم تولى إلى الظل ، وذهبتا إلى أبيهما ثم قصتا عليه ما حدث معهما من أمر السقي ومن أمر الذي سقي لهما فأمر أبوهما إحداهما أن تدعوه له فجاءته إحداهما لتدعوه .

- قال تعالى : " **وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولي مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** " (القصص ٣٠،٣١) .

لما انقلبت العصا حية فزع موسى عليه السلام واضطرب فاتقي هذه العصا التي صارت حية بيده كما يفعل الإنسان الخائف من الشيء ثم ولي مدبراً ولم يعقب فخاطبه ربه " أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء " ، وقوله تعالى (تخرج بيضاء) دليل على أن اليد اعتراها تغيير أو أمر عارض يستوجب محوه ، وهي المعجزة الثانية من معجزتي موسى عليه السلام العصا واليد .

ومن ظل المعنى في سورة القصص قوله تعالى :

" **ولا يَصُدُّنَّك عن آيات الله بعد إذ نزلت إليك** " (القصص ٨٧) .

ظاهر التركيب أن النهي متوجه إلى المشركين حيث باشر حرف النهي (لا) الفعل المضارع المتصل بواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فأصل الفعل (يصدون) ، أريد توكيده بنون التوكيد الثقيلة فأصبح (يصدونَنَّ) ولتوالى الأمثال حذفت نون الفعل لدلالة المعنى الوظيفي (الأفعال الخمسة) عليها ، ولأن نون التوكيد موضوعة لغرض بلاغي فالتقي ساكنان واو الجماعة والنون الأولى في نون التوكيد الثقيلة ، فحذفت الواو ودَلّ عليها ضم الدال ، ولما دخلت (لا) على الفعل فُهِم من الظاهر أن النهي متوجه إلى المشركين ، والأمر غير ذلك ، فالنهي متوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث ينهاه رب العزة عن طاعة المشركين ، أي ولا تجعلهم يصدونك عن آيات الله بعد إذ نزلت إليك ، ولو كان النهي متوجهاً إلى المشركين لما قال الله تعالى : " **فلا تكونن ظهيراً للكافرين** " (القصص ٨٦) و(**ولا تكونن من المشركين**) (القصص ٨٧) .

---

[٢٨٧] **ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان ٤ .**

- وفي قوله تعالى : " **وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون** " (القصص ٧٠) .

اشتهر في تفسير الأولى والآخرة ، أن المقصود بالأولى هو الحياة الدنيا وأن المقصود بالآخرة ما بعد الموت ، وهذا غير مقصود في الآية ، فالمقصود بالأولى قوله تعالى " **وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة** " (القصص ٦٨) وتتمثل الآخرة في قوله سبحانه " **وربك يعلم ما تكن صدورهم** " (القصص ٦٩) ، فالخلق والعلم داعيان من دواعي حمده تعالى . [٢٨٨]

خاتمـــة :

هكذا يتضح أن دراسة المعنى وظله ليست حكراً على منهج النقد الأدبي ولا على علم البلاغة ، وإنما ترتبط نوع ارتباط بالدراسة المنظمة للغة[٢٨٩] ، فقد كشفت المعاني الوظيفية لبعض المباني والعلاقات النحوية للتراكيب عن ظلال المعاني في سورة القصص ، وأسهمت القرائن سواء أكانت خارجية (من خارج النص) أم داخلية من بين السياق في الإعراب عن كثير من هذه الظلال ، ولقد عنى البلاغيون بما وراء الصياغة اللغوية ، والمتأمل في موضوع علم المعاني يجده ذا صلة وثيقة بالدراسات النحوية لأنه يفرق بين أضرب الخبر وصور الإسناد الخبري ، وخروج الكلام على خلاف الظاهر ، والتفريق بين الحقيقة والمجاز ، أما علم البيان فتتضح ظلال المعاني فيه من خلال الحديث عن لازم المعنى ، والتضمين ، والاستعارة ، وعندما عرَّف علماء البلاغة الاستعارة قالوا هي نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر لعلاقة ما مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي وهو نوع من ظلال المعاني ، ويهتم علم البديع بتحسين الكلام ومطابقته لمقتضى الحال ، ومن ظلال المعاني في علم البديع المحسنات المعنوية ، وقد اشتمل نص سورة القصص على مجموعة من ظلال المعاني على مستوى البلاغة تمثلت في الكناية والمجاز في قوله تعالى : " **ربطنا على قلبها** " (القصص ١٠) ، " **وأبونا شيخ كبير** " (القصص ٢٣) ، " **واضمم إليك جناحك** " (القصص٣٢) ، هذا وقد أسهم التناص في الإبانة عن ظلال المعاني في السورة ، سواء أكان التناص بين آيات سورة القصص ، أم بينها وبين آيات في سور أخر من القرآن الكريم ، فتوضيح قوله تعالى : " **ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون** " (القصص ٧٨) وجدناه في سورة الرحمن في قوله تعالى : " **يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام** " (الرحمن ٤١) ، والحذف أسلوب من الأساليب البلاغية ، التي تهدف إلى تجنب الإطناب ، أو تجنب التصريح بالمحذوف لغرض ما أو لقرينة مانعة ، ويستدل على المحذوف بالقرائن والأدلة فلا حذف إلا بدليل ، وقد كان لدلالة الحذف على ظل المعنى صور وأشكال كثيرة في سورة القصص ، ولا شك أن الوصول إلى ظلال المعاني في السورة باعتبار كل هذه المستويات أفيد منه إذا عمدنا إلى مستوى بعينه واستدللنا من خلاله على ظل المعنى .

أهم النتائج :

- تمثل فكرة (نحو النص) في رأي المنبهرين بالفكر الحداثى الغربي إنجازاً من إنجازات هذا الفكر الحداثية ، والحق أن هذه الفكرة موجودة في الفكر العربي وتتمثل

---

[٢٨٨] **انظر : البيان في روائع القرآن ٣٠١/١ .**

[٢٨٩] **انظر : ظلال المعاني في القرآن الكريم ، للدكتور / تمام حسان ١٠ .**

في مجموعة متفرقة من الأفكار هي النظم والتناص والمقام ، ومعاني الجمل والتراكيب ، بالإضافة إلى القرائن والأسلوبية في العصر الحديث ، ولو قدر لواحد من أبناء العربية أن يدمج كل هذه الأفكار في بوتقة واحدة لخلص إلى هذه الفكرة ، هذا وقد انقطع الفكر اللغوي والبلاغي فيما بعد عبد القاهر الجرجاني الذي طور إنجازات البلاغيين قبله في نظرية النظم الشهيرة التي تضاهي بحق ما وصل إليه الحداثيون الغربيون ، مع مراعاة الفارق الزمني بين عبد القاهر والحداثيين الغربيين ، ولو تواصل الإبداع والإنتاج الفكري بعد عبد القاهر مباشرة لوصل إلينا سلسلة من النظريات تتفوق على ما أنتجه الفكر الحداثي الغربي وتتقدم عليه بمئات السنين .

- ظل المعنى يعبر عن استدلال مجموعة من المعاني لتركيب واحد في حين يعبر ظل النص عن تعدد مجموعة من الألفاظ والتراكيب لمعنى واحد فالأول هو تعدد المدلول للدال ، والثاني هو تعدد الدال للمدلول ، والأول يخص المتلقي ، والثاني يخص المبدع إذا كان المتلقي سلبيّاً ، فإذا كان ناقداً أو مبدعاً فإن ظل النص يخص المبدع والمتلقي كليهما .

- الوصول إلى ظلال معاني النص من خلال تضافر جميع مستويات الدرس أفيد من التوجه نحو مستوى في حالة انفراد لنستدل من خلاله على ظل المعنى .

- ظلال المعاني تجعل المبدع يبتعد عن لغة الإخبار ، واستعمال اللفظ على حقيقته ، إلى لغةٍ تتعدد فيها الدلالة مما يخلق نوعاً من المشاركة بين المبدع والمتلقي حيث يُعمل المتلقي فكره وينعم نظره لسبر أغوار المعنى ، كما تمكن ظلال المعاني المبدع من استخدام تراكيب غير إخبارية تقيس مدى قدرته على توظيف التراكيب وتنوعها ، وهذه التراكيب بما لمعانيها من ظلال تجذب المتلقي ليشارك المبدع في فهم آليات النص وأسرار بلاغته للوصول إلى ما وراء المعنى الظاهر .
- مصطلح (ظل المعنى) أنسب للتعبير عن دلالات ما وراء الصياغة اللغوية من مصطلحات (معنى المعنى) ، و(الحقيقة والمجاز) ، و (المعاني الأول والثواني) ؛ لما بين المعنى وما وراءه من ملازمة يصعب معها الفصل بينهما ، هذا ويؤخذ في الاعتبار أن ظل المعنى ألصق بالمعنى في بعض التراكيب منه في بعضها الآخر ، فعندما نقول (ما جاء إلا أحمد) يُفهم على الفور – وعلى الرغم من وجود النفي – أن أحمد قد جاء ومجيئه مؤكد ، ويكون الإثبات ظلاً للنفي مع الاستثناء ، ويُفهم ذلك بقرينة التركيب النحوي أي كلما مَرَّ بنا تركيب مماثل لهذا التركيب فُهِم أن ظله الإثبات . وليس الأمر كذلك مع الكناية أو المجاز ، حيث نتوصل إلى ظل المعنى مروراً بعدة معان ، أي أن ظل المعنى يحتاج إلى إعمال فكر للوصول إليه ، حيث توجد مسافة زمنية فاصلة بين المعنى وظله المقصود .

المصادر والمراجـع :

١- *الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) :*
الدكتور / عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٢م .

٢- *الأسلوبية وتحليل الخطـاب :*
/ منذر عياشى ، (بدون) .

٣- *البحر المحيط :*
أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان ٦٥٤ – ٧٥٤هـ)
دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) ، الطبعة الثانية ١٩٩٠م .

٤- *البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية :*
جميل عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٧م .

٥- *البيان في روائع القرآن :*
الدكتور/ تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م .

٦- *الخلاصة النحوية :*

الدكتور / تمام حسان،عالم الكتب ،الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م .

٧- *دلائل الإعجاز في علم المعاني :*

عبد القاهر الجرجاني ، المكتبة التوفيقية ، (بدون) .

٨- *علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) :*

سعيد حسن بحيرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٩- *فرديناند دي سوسير (أصول اللسانيات وعلم العلامات) :*

جوناثان كللر ، ترجمة الدكتور/ عز الدين إسماعيل ، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة ٢٠٠٠م .

١٠- *اللغة العربية معناها ومبناها :*

الدكتور/ تمام حسان ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م .

١١- *المؤتلف والمختلف :*

الآمدى (أبو القاسم حسن بن بشر) ، تحقيق عبد الستار فراج ، مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ١٩٦١م .

١٢- *المرايا المقعرة (نحو نظرية نقدية عربية) :*

الدكتور/ عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، ١٤٢٢-٢٠٠١م .

١٣- *المعاقبة في نظام النحو العربي (رسالة دكتوراه غير منشورة – كلية الآداب بقنا) :*

الدكتور/ وحيد الدين طاهر عبد العزيز ، ٢٠٠٤م .

١٤- *مغنى اللبيب (حاشية الشيخ محمد الأمير) :*

ابن هشام (جمال الدين بن هشام الأنصاري) ، دار إحياء الكتب العربية (بدون) .

١٥- *مفتاح العلوم :*

السكاكي (أبو يعقوب) ، بيروت،دار الكتب العلمية ،١٩٨٣م .

١٦- *منهاج البلغاء وسراج الأدباء :*

حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي (بيروت) ١٩٨١م .

١٧- *النقد الأدبي الحديث :*

محمد غنيمي هلال ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٣م .

البحوث :

١- *ظلال المعاني في القرآن الكريم :*

الدكتور/ تمام حسان ، بحث (غير منشور) ، أُلْقِيَ على طلاب السنة التمهيدية للماجستير في كلية الآداب بقنا ، العام الجامعي (٢٠٠١-٢٠٠٢م) .

٢- *العربية من نحو الجملة إلى نحو النص :*

سعد مصلوح ، جامعة الكويت ، الكتاب التذكاري في الذكري الثانية للأستاذ عبد السلام هارون ١٩٩٠م .

٣- *منهج في التحليل النصي للقصيدة (تنظير وتطبيق) :*

الدكتور/ محمد حماسة عبد اللطيف ، مجلة فصول ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثاني ١٩٩٦م .

٤- *موت النص (النص والنص المضاد والنص الظل – نظرياً وتطبيقياً) :*

الدكتور/ محمد أبو الفضل بدران ، مجلة كلية الآداب بقنا ، العدد الخامس/ الجزء الأول ١٩٩٥م .

الفصل السادس

أثر السياق في دلالة المصدر على الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم

توطئة:

من الاتساع في اللغة أن تجيء الصيغة بلفظ الأخرى، أو أن تدل الصيغة الواحدة علي معنيين، سواء أكانا متقاربين أم متباينين أم متضادين، وهو ما عُرف بتعدد المعني للمبني، أو تعدد المعني للفظ الواحد، فإن كان المعنيان متقاربين فالعلاقة بينهما علاقة ترادف، وإن كانا متباينين فالعلاقة بينهما تسمي المشترك اللفظي، أو يكون المعنيان متضادين فتكون العلاقة علاقة تضاد، وذلك كدلالة الصيغة علي الفاعلية والمفعولية معا أو أن يجيء المفعول بلفظ الفاعل، والفاعل بلفظ المفعول، ويكثر ذلك في القرآن الكريم، فعندما يتصدي أي نحوي لإعراب القرآن الكريم يبدأ بالاستعاذة، وفيها كلمة " الرجيم " وهي علي وزن " فعيل "، و " فعيل " في اللغة تجيء بمعني (فاعل) أو بمعني (مفعول) فيقول: (فعيل هنا بمعني مفعول) أي مرجوم، معتمداً في ذلك علي كثير من المؤلفات، ولكن هل يستقيم هذا النهج مع كلام رب العالمين، أو بمعني آخر هل من الصواب أن نقول عن صيغة في القرآن الكريم إنها هنا ليست على بابها وإنما هي بمعني باب آخر ؟ لماذا لا تكون صيغة " رجيم " في الاستعاذة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، ولماذا تحمل الصيغة علي معني المفعولية . وإن كان أجلي وأرجح – ولا نفكر في فهم الصيغة بمعني الفاعلية ؟ فإذا عُرِف أن الرجم في اللغة بمعني أن " يتكلم الرجل بالظن [٢٩٠] (فاعلية) وقد قال الله تعالي: " رجما بالغيب " [٢٩١] علم أن الصيغة تحتمل الفاعلية والمفعولية معاً، فالشيطان مرجوم ولا يخفي ذلك علي أحد، وهو راجم يرجم الناس ويوسوس في صدورهم، ولأنه بالإغواء من الممكن أن يصل بالإنسان إلي ارتكاب كبيرة من الكبائر فيُرجم، الحق أن مفسري القرآن العظيم قد نهجوا في ذلك نهجين، فتارة يحكمون بتعدد دلالة الاسم المشتق كما فعل أبو حيان في تفسير لفظة (الفرقان) حين قال: " الفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق ويجوز أن يراد به المفعول أي المفروق " [٢٩٢] واستند إلي قول ربنا " وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث " [٢٩٣]، وتارة ينحون باللفظة منحي محددا لا يقبل السياق إلاه، كما في تفسير قوله تعالي " بديع السموات والأرض " [٢٩٤]، يقول الراغب: " والبديع يقال للمبدع " [٢٩٥] ويقول الزمخشري " وقيل البديع بمعني المبدع " [٢٩٦]، ويقول

---

[٢٩٠] القاموس المحيط [ر . ج . م] / ١٤٦٤ .

[٢٩١] الكهف ٢٢ .

[٢٩٢] البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

[٢٩٣] الإسراء ١٠٦ .

[٢٩٤] البقرة ١١٧ .

[٢٩٥] المفردات في غريب القرآن ٣٨ .

[٢٩٦] الكشاف ١٨١/١ .

العكبري: " بديع السماوات أى مبدعها " [٢٩٧]، والسياق في النهجين هو الضابط، والسياق نوعان نص وموقف (مقال ومقام)، وكلاهما يفيد في تحديد دلالة الاسم المشتق في القرآن الكريم، أما المقال فهو النص أو الكلام المقول الذي يسهم في التوصل إلي المعنى الدلالي الأكبر، وهو مجموع الألفاظ والتراكيب مع جمهرة القرائن اللفظية التي تنتمي إلي السياق المقالى وتسهم في التوصل إلي المعني كالإعراب والرتبة، والمناسبة والربط المادي والبنية التي هي أهم القرائن إسهامًا في التوصل إلي المعني هنا لأنها اللفظ محل الدراسة، وأما سياق المقام فهو كل ما يحيط بالنص من قرائن غير ملفوظة تصاحب الأداء اللغوي وتسهم في التوصل إلي المعني كالقرينة العقلية وحركات المتكلم والأحداث ذات العلاقة بالاتصال، والمواقف والاستجابات، وأسباب النزول في القرآن الكريم، وكل ما هو خارج اللفظ المكتوب، بالإضافة إلي الروابط المعنوية، أو الارتباط . وكل ما يجعل السياق متماسكاً من غير اللفظ [٢٩٨]، فإما أن ينحو السياق بالاسم المشتق نحو أكثر من معني، وإما أن يحدد معني معينا للاسم المشتق، ومثال الأول ما جاء في تفسير لفظة (الفرقان) ومثال الثاني ما جاء في تفسير لفظة (بديع)، وهذا من إعجاز آيات القرآن العظيم وعليه فليس المقصود بأثر السياق في دلالة الاسم المشتق أن يوجب السياق دلالة واحدة فقط لهذا الاسم المشتق في كل الأحوال، فقد يكون لهذا الاسم المشتق أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها، وقد يكون له معني محدد أو دلالة واحدة فقط، والذي يحدد ذلك كله السياق بنوعيه المقالي والمقامي، وسيتضح ذلك أثناء دراسة الآيات.

وإذا كان الأمر كذلك فمنهج الوصفيين أجدر بالاتباع لفهم وتفسير المفردات أو الصيغ في القرآن الكريم، لأنه يعمد إلي كلمات موجودة بالفعل، ويحاول فهم هذه المفردات في سياقاتها قبل الحكم علي الصيغة أنها بمعني صيغة أخرى، فاستصحاب الأصل عندهم أولي في الأخذ بالاعتبار، ثم يجيء بعد ذلك التفكير في العدول عن الأصل أو خروج المفردة عن بابها إلي معني باب آخر، وهذا البحث محاولة لتوضيح أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية، أقف فيه علي المصادر التي تعددت معانيها في القرآن الكريم، فالمصدر أصل

---

[٢٩٧] إملاء ما من به الرحمن ٦٠/١ .

[٢٩٨] انظر: قرينة السياق للكتور تمام حسان ٣٧٥، وأثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، للدكتور فتحي ثابت علم الدين رسالة دكتوراه بكلية الدراسات العربية الإسلامية بالمنيا ١٩٩٤م ٥،٩، ٦٠، ٦٢، واللغة لفندريس ترجمة الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م، ٢٣١، وسياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر (تحليل وتطبيق) مكتبة النهضة المصرية ٣٠-٥٢، ودلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير محمد أبو السعود مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط العدد السابع ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م / ٥٠٧، ٥٠٩، والنحو والدلالة للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف (مدخل لدراسة المعني النحوي الدلالي)، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣، ٩٨، ١١٣.

المشتقات [٢٩٩] الثمانية، وإنما قصرت هذا البحث علي المصادر دون غيرها من المشتقات كي يكون البحث محدداً، ففي القرآن عدد غفير من المشتقات يحتاج إلي مؤلفات لفهم دلالاتها المتعددة، وسأعمد في ذلك إلي ذكر آراء العلماء في المصدر محل الدراسة ثم أذيل ذلك برأيي، من طريق التأويل، وهو ترجيح أحد المحتملات من غير قطع[٣٠٠]، معتمداً علي منهج السياقيين الذي يعمد أصحابه إلي الجملة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلاً، وتنبني هذه المحاولة علي فهم الجدل الذي دار بين العلماء فيما اصطلحوا علي تسميته بالترادف، وعلي فهم المشترك اللفظي فقد أنكر بعض العلماء الترادف بمعناه المطلق، منهم ابن فارس وشيخه ثعلب ومنهم من أنكره مطلقًا وهو أبو علي الفارسي ... ومنهم من جعله مظهرًا من مظاهر الغني في اللغة الفصحي ... وكلا الاتهامين غير قائم وغير صحيح وليس الأمر إلا تراكباً للمعاني والتقاء جزئياً لمعني الكلمتين ثم افتراقا بين الكلمتين فيما عدا هذا الجزء من المعني [٣٠١]، " وأما المحدثون فيوسعون مفهوم المشترك اللفظي أكثر وأكثر لأنهم لا يشترطون الوضع من ناحية ولا الدلالة علي السواء من ناحية أخرى مما يسمح بإدخال تعدد المعني الناتج عن المجاز أو تطبيقات الاستخدام أو غيرهما " [٣٠٢]، وقد انطلقتُ في بحثي هذا من قول أبي هلال العسكري " قال بعض النحويين: لا يجوز أن يدل اللفظ الواحد علي معنيين مختلفين حتى تضاف علامة لكل واحد منهما، فإن لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس علي المخاطب، وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة، إلا أن يدفع لذلك ضرورة أو علة ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلا ما شذ وقل " [٣٠٣] .

وعندما يتعلق الأمر بآي الكتاب العزيز فالذي لا لبس فيه ولا جدال أن هذا الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير، والإحكام هو إتقان في التركيب ودقة في التعبير ليس كمثلهما شيء، لأن الأمر يتعلق بذات الله سبحانه، معني ذلك أن الآيات نُظمت نظماً دقيقاً محكما فلا يعتريها شيء من الخلل، وإذا كانت الآيات قد نظمت هذا النظم الدقيق وبإحكام بالغ من عند الحكيم الخبير فلا شك أن كل صيغة أو مفردة قد وضعت في موضعها بإحكام بالغ أيضاً، وعلي كل من يتصدي لفهم آيات الكتاب أو تفسيرها عليه محاولة فهم الآيات بمعاني

---

[٢٩٩] المصدر أصل المشتقات عند البصريين والجمهور، انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٤٣/٦، وشرح ابن عقيل ٧٧/٢.

[٣٠٠] عقد الآلوسي بابا للكلام علي التفسير بالرأي ذكر فيه أن المنع شائع ولا دليل عليه، لأن في صحة الحديث الذي استند عليه المانعون نظراً، ولأن الدلالة علي جواز الرأي والاجتهاد في القرآن كثيرة وهي تعارض ما يشعر بالمنع، مفرقا بين التفسير والتأويل، وأن التأويل هو ترجيح أحد المحتملات دون قطع، انظر: روح المعاني ٤/١-٦.

[٣٠١] انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون ١٣ .

[٣٠٢] الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم للدكتور أحمد مختار عمر ١١ .

[٣٠٣] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ١٨ .

مفرداتها وصيغها الموجودة بالفعل معجمياً ووظيفياً ودلالياً، رابطاً ذلك بأسباب النزول مراعياً المناسبة بين الآيات والمعاني العامة للسور القرآنية، قانعاً بأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي بإحكام بالغ في موقعها، وأنه من الممكن أن تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز القرآن الكريم وضروب الاتساع في اللغة العربية، ومن أنماط دلالة المصدر في القرآن الكريم ما يأتي:

المصدر الدال علي الفاعلية:

قال تعالي: " **ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم " (البقرة ٧)**

السمع في الأصل مصدر سمع، ويري العكبري أن في تقديره وجهين [٣٠٤]:

الأول: أنه استعمل مصدراً علي الأصل، وفي الكلام تقدير محذوف أي علي مواضع سمعهم، لأن نفس السمع لا يختم عليه، الثاني: السمع هنا بمعني السامعة أو الأذن، وفي القرطبي " فالسمع مصدر سمعت، والسمع أيضاً اسم للجارحة المسموع بها سميت بالمصدر "[٣٠٥] وفيه أيضاً " يحتمل أن يكون المعني وعلي مواضع سمعهم لأن السمع لا يختم عليه ودائماً يختم موضع السمع، فحُذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وقد يكون السمع بمعني الاستماع " [٣٠٦]، وفي البيضاوي " ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار الأصل، فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع، أو علي تقدير مضاف مثل: وعلي حواس سمعهم " [٣٠٧] وفيه أيضاً " وقد يطلق مجازاً علي القوة الباصرة (أي الختم) وعلي العضو وكذا السمع، ولعل المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية " [٣٠٨] وفي عمدة الحفاظ " السمع في الأصل قوة في الأذن يدرك بها المسموعات، وهو أيضاً مصدر سمع يسمع فهو سامع " [٣٠٩]، وفي التحرير والتنوير " وإنما أفرد السمع، ولم يجمع كما جمع قلوبهم وأبصارهم إما لأنه أريد منه المصدر الدال علي الجنس، إذ لا يطلق علي الآذان سمع ... وإما لتقدير محذوف أي وعلي حواس سمعهم أو جوارح سمعهم " [٣١٠]، وفي الطبري " فمعني الختم عليها (أي القلوب) وعلي الأسماع التي بها تدرك المسموعات " [٣١١]، وعلي تقدير السمع بمعني السامعة يكون المصدر بمعني اسم الفاعل، وهو تقدير أراه تابعاً للمعني المقصود في الآية وهو الختم علي السمع أو الاستماع لا

---

[٣٠٤] انظر: إملاء ما من به الرحمن ١٥/١، دراسات لأسلوب القرآن الكريم للدكتور عبد الخالق عضيمة ١٧٠/٦ .

[٣٠٥] تفسير القرطبي ١٩٠/١ .

[٣٠٦] تفسير القرطبي ١٩٠/١ .

[٣٠٧] تفسير البيضاوي ٢٣/١ .

[٣٠٨] تفسير البيضاوي ٢٣/١ .

[٣٠٩] عمدة الحفاظ، للسمين الحلبي [س . م . ع] ١٢٥٠/٢ .

[٣١٠] التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٠٦/١ .

[٣١١] تفسير الطبري ٨٧/١ .

علي الأذن السامعة فقد يختم علي العضو السامع فلا يحكم الختم، فإذا ختم علي مصدر الشيء أو أصله كان الختم أقوي وأكثر إحكاماً، أما قول العكبري" لأن نفس السمع لا يختم عليه"[٣١٢] فمردود عليه لأن الختم غيبي مجازي، ولأن الأمر يتعلق بذات الله، فإذا كان الختم أثراً مادياً يظهر علي الشيء ويعرفه البشر، فإن الختم علي الأصل أو مصدر الحاسة أقوي وأبلغ، وما ذلك علي الله ببعيد، ويؤيده قول محمد الطاهر بن عاشور: " وليس الختم علي القلوب والأسماع ولا الغشاوة علي الأبصار هنا حقيقة كما توهم بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية بل ذلك علي طريق المجاز " [٣١٣]، والسياق يقبل كلتا الدلالتين: المصدرية – وهو الأصل الأَوْلي استصحابُهُ في الآية – ومعني الفاعلية الذي أراه معني تابعاً جديراً بالأخذ في الاعتبار، والختم في كلتا الدلالتين مجازي، واستصحاب الأصل في الآية أولي من العدول إلي الفاعلية ذلك أن قرينة التناص وهي إحدي قرائن السياق المقالي لها أكبر الأثر في ذلك، حيث يقول ربنا سبحانه في سورة الجاثية: " ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلي عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها " [٣١٤]، فقد وصف الدكتور فاضل السامرائي الأسماع هنا بأنها معطلة " [٣١٥] ذلك أنهم يصرون مستكبرين علي عدم السماع لأن الله ختم علي سمعهم وأسماعهم، فكأنهم عطلوا أسماعهم استكباراً فعطلها الله بالختم عليها وعلى السمع، ويناسبه قول ربنا " إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "، وتكرار (علي) في الآية " أدل علي شدة الختم في الموضعين " [٣١٦]، وقد أثر السياق المقالي في دلالة الصيغة علي الفاعلة ذلك أن العطف معناه التشريك فى الحكم، وعطف (سمعهم) علي قلوبهم معناه " أن الختم يناسب الأسماع كما يناسب القلوب إذ كلاهما يشبه بالوعاء ويتخيل فيه معني الغلق والسد " [٣١٧] وبذلك يكون الختم علي السمع والأسماع معاً، وهو أقوي وأبلغ، ويؤيده الجمع بين القلوب والسمع في الآية، والختم علي كليهما معا ختم علي المادي والمعنوي وفي ذلك مناسبة.

قال تعالي: " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب " (آل عمران ١٨٨)

يقول العكبري: " يجوز أن تكون المفازة مصدراً فتتعلق من به، ويكون التقدير: فلا تحسبنهم فائزين، فالمصدر في موضع اسم الفاعل " [٣١٨]، ويقول القرطبي: " والمفازة المنجاة،

---

[٣١٢] إملاء ما من به الرحمن ١٥/١ .

[٣١٣] التحرير والتنوير ٢٥٤/١، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي ٣٧، والفتوحات الإلهية ١٥/١ .

[٣١٤] الجاثية ٧، ٨ .

[٣١٥] التعبير القرآني، للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان الأردن ط٢٠٧/٥م، ٦٤ .

[٣١٦] الكشاف للزمخشري ١٢٥/١ .

[٣١٧] التحرير والتنوير ٢٥٥/١ .

[٣١٨] إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٦٢ .

مفعلة من فاز يفوز إذا نجا، أي ليسوا بفائزين"[٣١٩]، وفي البيضاوي " بمفازة بمنجاة من العذاب أي فائزين بالنجاة منه " [٣٢٠]، وفي الطبري، " فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظنهم بمنجاة من عذاب الله" [٣٢١]، وفي عمدة الحفاظ: " ولا تسحبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة، وقيل ببُعدٍ وهذا من طريق اللازم لأنهم إذا نجوا منه بعدوا عنه " [٣٢٢]، وفي الإرشاد: " بمفازة من العذاب أي ملتبسين بنجاة منه علي أن المفازة مصدر ؟ ..... ولا سبيل إلي جعلها اسم مكان علي أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها ليست من العذاب، وتقدير فعل خاص ليصح به المعني أي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الأصل تعسف مستغني عنه " [٣٢٣]، وفي التحرير والتنوير: " والمفازة مكان الفوز ... وحرف (من) معناه البدلية ... أو بمعني (عن) بتضمين مفازة معني منجاة " [٣٢٤] وعلي تقدير (مفازة) بمعني (فائزين) يكون المصدر في الآية الكريمة بمعني اسم الفاعل، ولكن كيف يستقيم اسم الفاعل (فائزين) مع قوله تعالي (من العذاب) ؟ والفعل (فاز) لازم يتعدي بحرف الباء، يقال فاز فلان، وفاز بالشيء، ولا يُقال فاز من الشيء، إلا علي التضمين بمعني (نجا) وتأويل مفازة بفائزين، وتضمين كلمة (فائزين) معني (ناجين) فيه بُعْد وتكلف، وتفسير مفازة أنه موضع فوز ونجاة أولي بالأخذ في الاعتبار، أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، وتعلق الجار والمجرور هنا وهما جزء من السياق المقالي أثر في تحديد معني مفازة بمعني موضع فوز ونجاة، وهذا التفسير يتناسب مع قوله تعالي: " **ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شيء قدير** " (آل عمران ١٨٩) . أي فلا تحسبنهم بموضع فوز ونجاة من العذاب، كيف يجدون هذا الموضع ولله ملك السموات والأرض ؟ والسياق في الآيتين بليغ متماسك، وقد أثر بنوعيه في تحديد دلالة كلمة (مفازة)، فالآية الثانية تفصيل للأولي وبينهما علاقة مناسبة، والمناسبة بين الألفاظ هي إحدى قرائن السبك والحبك في السياق المقالي، وتعدي الفعل بالحرف وعدمه أثر مقالياً في تحديد دلالة الكلمة، بالإضافة إلي التجاور بين المفردات، وهذا المقام مقام تعذيب يُحتاج فيه إلي موضع فوز ونجاة، والقبضة محكمة علي المعذبين فلا يستطيعون الفوز أو الفرار من العذاب، وهذا يقوي مرجوحية الفاعلية .

قال تعالي: " **وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** " (يونس ١٠١)

---

[٣١٩] تفسير القرطبي ٣٠٨/٤ .

[٣٢٠] تفسير البيضاوي ١٩٥/١ .

[٣٢١] تفسير الطبري ١٣٩/٤ .

[٣٢٢] عمدة الحفاظ [ف . و . ز] ٢٤٠١/٣ .

[٣٢٣] تفسير أبى السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم) ٤٦٢/١ .

[٣٢٤] التحرير والتنوير ١٩٤/٤ .

يقول أبو حبان: " النذر جمع نذير، إما مصدر فمعناه الإنذارات وإما بمعني منذر فمعناه المنذرون " [٣٢٥] وفي القرطبي: " والنذر أي الرسل، جمع نذير، وهو الرسول صلي الله عليه وسلم " [٣٢٦]، وفي أبى السعود: " والنذر جمع نذير علي أنه فاعل بمعني منذر أو علي أنه مصدر، أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات عن قوم لا يؤمنون " [٣٢٧]، وفي عمدة الحفاظ: " النذر جمع نذير، نحو رغيف ورغف، والمراد به المصدر وجمع لاختلاف أنواعه، قال الراغب والنذير المنذر، ويقع علي كل شيء فيه إنذار إنسانا كان أو غيره وجمعه النذر " [٣٢٨]، وفي الطبري: " وما تغني الحجج والعبر والرسل المنذرة عباد الله عقابه عن قوم سبق لهم من الله الشقاء وقضي لهم في أم الكتاب أنهم من أهل النار " [٣٢٩]، والنذير في اللغة هو المنذر والإنذار أيضاً [٣٣٠]، وقد جعل الدكتور أحمد مختار عمر كلمة نذير من المشترك اللفظي في القرآن الكريم بمعني اسم الفاعل أي منذر وبمعني المصدر أي الإنذار [٣٣١]، مستنداً إلي قول ربنا: " **وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً** " (الإسراء ١٠٥)، أي منذرا ومحذرا، وقوله تعالي: " **إنها لإحدي الكبر * نذيراً للبشر** " (المدثر ٣٥، ٣٦) أي إنذاراً للبشر وعندي أن الصيغة تحتمل المصدرية والوصف معاً، ويكون المعني: وما تغني الآيات ولا المنذرون مع إنذاراتهم عن قوم صمموا علي عدم الإيمان، والنذير هو المنذر الذي جاء بالإنذارات، يقول تعالي في سورة الملك: " كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير " (الملك ٩)، يتضح معني النذير من إجابة أهل النار (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) أي من الإنذارات، وفي قولهم (إن أنتم إلا في ضلال كبير) الضمير للعاقل أي: إن أنتم أيها المنذرون – إلا في ضلال كبير، وفي ذلك يقول القرطبي: " قالوا بلي قد جاءنا نذير، أنذرنا وخوفنا، فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء أي علي ألسنتكم إن أنتم يا معشر الرسل " [٣٣٢] إلا في ضلال كبير، وفي تفسير قول ربنا " **فستعلمون كيف نذير** " (الملك ١٧) يقول القرطبي " أي إنذاري، وقيل النذير بمعني المنذر يعني محمداً صلي الله عليه وسلم " [٣٣٣]،

---

[٣٢٥] البحر المحيط ١٩٤/٥ .

[٣٢٦] تفسير القرطبي ٣٨٦/٨ .

[٣٢٧] تفسير أبي السعود ٥٣٠/٢ .

[٣٢٨] عمدة الحفاظ [ن . ذ . ر] ٢٦٠٢/٤ .

[٣٢٩] تفسير الطبري ١٢٠/١١ .

[٣٣٠] انظر القاموس المحيط ٦٦٨/١ ومختار الصحاح [ن . ذ . ر] ٢٩٦ .

[٣٣١] انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ٦٨ .

[٣٣٢] تفسير القرطبي ٢١٢/١٨ .

[٣٣٣] تفسير القرطبي ٢١٧/١٨ .

والتناص بين هذه الآية وآيات سورة الملك أثر في الوصول إلي دلالة كلمة (نذر)، والتناص من قرائن السياق المقالي .

المبحث الثاني: المصدر الدال علي المفعولية [٣٣٤]:

قال تعالي: " **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** " (البقرة ٢٥) يقول أبو حيان الأندلسي: " رزقا هنا هو المرزوق والمصدر فيه بعيد جداً لقوله (هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) فإن المصدر لا يؤتى به متشابهاً " [٣٣٥] ويقول العكبري: "كلما رزقوا منها من ثمرة إلي قوله من قبل في موضع نصب علي الحال من الذين آمنوا تقديره مرزوقين علي الدوام، ويجوز أن تكون حالاً من الجنات في قوله تعالي (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) [٣٣٦] (البقرة ٢٥)، وفي القرطبي: " الرزق مصدر رزق يرزق رَزقا ورِزقا، فالرزق بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم وجمعه أرزاق، والرزق العطاء " [٣٣٧]، وفي أبي السعود : " كأنه قيل كل وقت رزقوا مرزوقاً " [٣٣٨]، وفيه أيضاً: " ورزقا مفعول بمعني المرزوق " [٣٣٩] وجاء في عمدة الحفاظ أن الرزق يطلق تارة علي العطاء، وتارة علي ما يصل إلي الجوف ويتغذي به، ويطلق علي كل خبر وصل إلي صاحبه، والرزق في الأصل مصدر، ويطلق أيضاً علي المرزوق [٣٤٠]، والرزق في اللغة معناه العطاء [٣٤١]، ومن كل ما تقدم يمكن القول إن الرزق في الآية الكريمة مصدر بمعني اسم المفعول، أي أن الصيغة تحتمل المصدرية والمفعولية، واستصحاب الأصل في الآية أولي بالأخذ في الاعتبار، وهو أن الرزق مصدر بمعني العطاء، بالإضافة إلي احتماله معني المفعولية، وإذا كان المصدر (رزقا) في الآية بمعني المرزوق هل يستقيم ذلك مع قول ربنا (من ثمرة) ؟ أليس المرزوق في الآية هو الثمر، والرزق في الآية مصدرًا بمعني العطاء؟ يقول القرطبي: " ورزقاً مصدره " [٣٤٢]، أي أنهم في الجنة يعطون الثمار عطاء دون جهد أو نصب أو تدخل منهم أما قول أبي حيان " والمصدر فيه بعيد جداً لقوله هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها فإن المصدر لا يؤتي به متشابهاً " [٣٤٣] فيحتاج إلي إنعام نظر لأن قول ربنا (هذا الذي رزقنا من قبل) يحتمل أن يعود علي الثمرة، يقول

---

[٣٣٤] انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٧١/٦ .

[٣٣٥] البحر المحيط ١١٤/١، وانظر: الفتوحات الإلهية ٣٠/١ .

[٣٣٦] إملاء ما من به الرحمن ٢٥/١ .

[٣٣٧] تفسير القرطبي ١٧٨/١ .

[٣٣٨] تفسير أبي السعود ٨٥/١ .

[٣٣٩] تفسير أبي السعود ٧٥/١ .

[٣٤٠] انظر: عمدة الحفاظ [ر . ز . ق] ١٠١٩/٢، ١٠٢٠ .

[٣٤١] انظر لسان العرب [ر. ز. ق] ٢٠٣/٥ .

[٣٤٢] تفسير القرطبي ٢٤٠/١ .

[٣٤٣] البحر المحيط ١١٤/١ .

القرطبي: " هذا الذي رزقنا في الدنيا لأن لونها يشبه لون ثمار الدنيا"[٣٤٤]، ويقول الطبري: " وإنما معناه هذا من النوع الذي رزقناه من قبل هذا من الثمار والرزق"[٣٤٥]، وفي البيضاوي " ويحتمل أن يكون من ثمرة بيانا تقدم ... وهذا إشارة إلي نوع ما رزقوا " [٣٤٦]، فإن قال قائل لو كان الكلام يعود علي الثمرة لما قال الله تعالي (هذا الذي) وقال (هذه التي)، والجواب أن (هذا الذي) يقصد به النوع، ويكون المعني: كلما رزقوا منها من نوع من الثمار رزقا قالوا هذا النوع الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها أي النوع، حيث يشتبه مع سابقه، وما هذا بذاك، هذا وسياق الآية المقالي اشتمل علي الفعل (رزقوا) أو بالأحرى علي مادة المصدر، وقد جاء الفعل في التركيب الأفقي قبل المصدر، وهذا النمط التركيبي هو نمط المصدر، وهو مؤكد لفعله، وهو معني مقصود في الآية، وهو أن الله سبحانه يعطي في الجنة عطاء غير منبنٍ علي عمل، بخلاف قول ربنا " **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً** " (آل عمران ٣٧)، فالمفعولية هنا أجلي وأوضح، والسياق في كلتا الآيتين هو الضابط، وليس بالضروري أن تسهم القرائن مجتمعة في التوصل إلي المعني فقرينة الإعراب وهي قرينة لفظية من قرائن السياق المقالي باتت عاجزة أمام تبيين المعني المقصود من كلمة (رزقا)، فالكلمة منصوبة بالفتحة الظاهرة، وقد أعربها القرطبي مصدراً [٣٤٧]، في حين أعربها البيضاوي مفعولاً به [٣٤٨] (ثانياً) وهي تصلح سياقياً لكليهما، في حين يتضح أثر هذه القرينة في الوصول إلي المعني المقصود من كلمة (رزقا) في آية (آل عمران) وهو المفعولية بمعني المرزوق حيث تعرب الكلمة مفعولا به للفعل وجد، كما أن انتحاء طرائق العرب في التركيب له أكبر الأثر في وضوح السياقات الكلامية، فبغموض قرينة من قرائن السياق يكون السياق غامضاً، ويأتي الغموض لا من السياق – خلافاً لأحد الباحثين المعاصرين [٣٤٩] – وإنما من مخالفة الأعراف التركيبية، وهيئات الجمل المكونة لهذا السياق، إلا أن هذا الغموض قد يكون مفيداً أحياناً، فغموض إعراب كلمة (رزقاً) في الآية السابقة جعل المعني الدلالي لها متعدداً، وهو غموض إعراب لا غموض تركيب فتجاور المفردات سليم من الناحية التركيبية وكلا الإعرابين جائز، وبجواز كليهما تعدد الإعراب، ثم تعدد

---

[٣٤٤] تفسير القرطبي ٢٤٠/١ .

[٣٤٥] تفسير الطبري ١٣٤/١ .

[٣٤٦] تفسير البيضاوي ٤٢/١ .

[٣٤٧] انظر تفسير القرطبي ٢٤٠/١ .

[٣٤٨] انظر تفسير البيضاوي ٤٢/١، والفتوحات الإلهية ٣٠/١، وروح المعاني ٢٣٠/١ .

[٣٤٩] هو الدكتور محمد أبو بكر لياس (كلية الآداب جامعة قاريونس)، يقول: " لا أحد ينكر ما للسياق من أهمية عظيمة في فك طلاسم الدلالة وانبهامها، وفتح مغاليق المعني وغموضه، ولكن ينبغي ألا نبالغ في الاحتفال بهذا السياق وفي التعويل عليه دائماً، إذ قد تفاجأ بأن السياق قد يكون في كثير من الأحيان السبب الأساسي في انغلاق المعني وغموضه، ويتجلي ذلك في الأحاجي والألغاز اللغوية، التي تقوم علي الغموض وانبهام المعني" (البنية اللغوية للمشترك اللفظي) بحث منشور في مجلة الباحث التي تصدر عن كلية إعداد المعلمين بوَدّان – جامعة التحدي (سرت) العدد الخامس والسادس ٢٠٠٦، ٢٠٠٧ & ٢٠٠٧، ٢٠٠٨ ص ٣٢١ .

المعني الدلالي للكلمة بين المصدرية والمفعولية، وهذا التعدد واضح من أقوال المفسرين وإعرابهم للكلمة، ولم يقو السياق علي التوجه باللفظة نحو وجهة محددة، ولو كان المرزوق هو المقصود تحديداً في الآية لما قال الله تعالي (رزقا) .

قال تعالي: **" ففدية من صيام أو صدقة أو نسك " (البقرة ١٩٦)**

يقول العكبري: " النسك في الأصل مصدر بمعني المفعول لأنه من نسك ينسك، والمراد به ها هنا المنسوك، ويجوز أن يكون اسما لا مصدراً " [٣٥٠]، وفي القرطبي: " النسك جمع نسيكة وهي الذبيحة ينسكها العبد لله تعالي، وجمع أيضاً علي نسائك، والنسك العبادة في الأصل ... وقيل أن أصل النسك في اللغة الغسل، ومنه نسك ثوبه إذا غسله، فكأن العابد غسل نفسه من أدران الذنوب بالعبادة " [٣٥١] . وفي الطبري: " نسك الرجل ينسك نسكا ونسيكة ومنسكا إذا ذبح نسكه، والمنسك اسم مثل المشرق والمغرب " [٣٥٢]، وفي عمدة الحفاظ: " النسيكة الذبيحة، وجمعها نسك، ... (وقيل): النسك الطاعة، وقال آخرون: النسك ما أمرت الشريعة به " [٣٥٣]، وفي البيضاوي: " من صيام أو صدقة أو نسك بيان لجنس الفدية " [٣٥٤]، وفي التحرير والتنوير: " النّسُك بضمتين وبسكون السين مع تثليث النون العبادة ويطلق علي الذبيحة المقصود منها التعبد وهو المراد هنا ... وأغلب إطلاقه علي الذبيحة المتقرب بها إلي معبود " [٣٥٥]، وباستقراء ما تقدم نجد أن كلمة نسك في الآية الكريمة تحتمل المصدرية (الحدث)، وتحتمل المفعولية بمعني المنسوك أو المذبوح وتحتمل الاسمية بمعني العبادة، وتحتمل أن تكون جمعا لنسيكة يقول الرازي: " والنسيكة الذبيحة والجمع نُسُك بضمتين " [٣٥٦]، وهذه الدلالات مقصودة في الآية الكريمة وهذا من إعجاز القرآن العظيم، وأري أن دلالة الكلمة علي الاسمية (العبادة) أرجح في هذا المقام، فالمقام مقام شعائر وعبادات ذلك أن الحاج إذا كان مريضاً أو به أذي من رأسه فلا يستطيع أن يؤجل الحلق حتى يبلغ الهدي محله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك (ذبح الشاة) أي أن الصيغة جاءت في الآية بلفظ الاسمية لأن الذبح هنا شكل من أشكال العبادة، ويحتمل في غير هذا المقام ألا يكون عبادة، وبجوار الاسمية تحتمل الكلمة المفعولية والمصدرية، وأن تكون جمعا لكلمة (نسيكة)، وهذا من إعجاز القرآن أيضاً، هذا ولا يقوي السياق هنا أن يحدد قيمة واحدة بعينها، خلافا لرأي فندريس في أن " السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها علي

---

[٣٥٠] إملاء ما من به الرحمن ٨٥/١ .

[٣٥١] تفسير القرطبي ٣٨٦/٢ .

[٣٥٢] تفسير الطبري ١٧٢/٢ .

[٣٥٣] عمدة الحفاظ [ن . س . ك] ٢٦١٨/٤ و ٢٦١٩ .

[٣٥٤] تفسير البيضاوي ١١٠/١ .

[٣٥٥] التحرير والتنوير ٢٢٥/٢ .

[٣٥٦] مختار الصحاح [ن . س . ك] ٢٩٨ .

الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها " [٣٥٧]، ورأي الدكتور نصيف الجنابي الذي يري أن السياق يقوم ووضع الكلمة في التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديداً دقيقاً مهما تعددت معانيها [٣٥٨]، وأري أن تعدد دلالة الكلمة يؤدي إلي تعدد الأهداف المقصودة، والمرجوة من وجودها في التركيب، وقد يكون هذا التعدد هدفا في حد ذاته إذا كانت كل دلالة من هذه الدلالات المتعددة مطلوبة في السياق، ولها قيمتها الخاصّة، بالشكل الذي لا يحدث غموضاً أو تعارضاً في المعني العام للتركيب، وهذا من ضروب الاتساع في اللغة، فثمة فرق بين تعدد الدلالة، وغموض الدلالة وانبهامها، أما تعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني فهو عنصر إيجاب تفيد منه اللغة أحياناً لتعدد احتمالات القصد من الكلام، وأما غموض الدلالة وانبهامها فهو عنصر سلب يُحسب علي التركيب، وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض، كما يُلحظ هنا أن كثيراً من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية خاصة بلغة بعينها، ربما لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم، ويتضح ذلك بالمقارنة بين كلامي فندريس والجنابي السابقين، فهنالك ظواهر لغوية في لغتنا العربية لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون موجودة في غيرها من اللغات، فلغتنا أكثر اللغات اتساعاً، وأعظمها قدراً، وكونها لغة القرآن كاف في ذلك، إلا أن ذلك ينبغي أن يقابل بدراسات بحثية موسعة، فليس من المعقول أن تنسب النظريات اللغوية المسماة بالحديثة إلي الغرب وهي في كتبنا منذ مئات السنين، هذا وقد أقر المفسرون بإمكانية تحمل السياق لأكثر من دلالة للمفردة الواحدة علي حد سواء، ومنهم الزمخشري والآلوسي وأبو حيان [٣٥٩] في معرض حديثهم عن دلالة (أمين) وأنها تحتمل المبالغة بمعني فاعل أي الآمن أو المفعولية بمعني مأمون أو من الأمانة، ثم أقر الدكتور فاضل السامرائي [٣٦٠] في تفسير سورة التين بأن هذه المعاني كلها مجتمعة مرادة ومطلوبة . وبالنظر إلي سياق الآية المقالي نجد كلمة (نسك) عطفت علي كلمتي (صيام) و (صدقة) وفي ذلك مناسبة، فكلمة (صيام) مصدر، وكلمة (صدقة) تطلق علي المتصدق به بمعني المفعولية، وعطف (نسك) علي هاتين الكلمتين يجعلها تحتمل هذين

---

[٣٥٧] اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م، ٢٣١ .

[٣٥٨] انظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، للدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م، ٣٦١ و ٣٩٨ و ٤٠٠ و ٤٠١ .

[٣٥٩] انظر الكشاف ٣٤٨/٣ وروح المعاني ١٧٣/٣ والبحر المحيط ٤٩٠/٨ والتعبير القرآني للسامرائي ٣٤٠ .

[٣٦٠] انظر: التعبير القرآني ٣٤١ .

المعنيين، " فالكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معاً " [٣٦١] (سياق المقال) .

قال تعالي: " **وإذا تولي سعي في الأرض ليفسد فيها وُيهلك الحرث والنسل** " (البقرة ٢٠٥)

يقول أبو حيان الأندلسي: " والإطلاق علي الولد نسلاً من إطلاق المصدر علي المفعول يسمي بذلك لخروجه من ظهر الأب، وسقوطه من بطن الأم بسرعة " [٣٦٢]، وفي القرطبي: " الحرث في اللغة الشق ومنه المحراث لما يشق به الأرض، والحرث كسب المال وجمعه ... والحرث الزرع، والحراث الزراع ... والنسل ما خرج من كل أنثي من ولد، وأصله الخروج والسقوط [٣٦٣]، وفي عمدة الحفاظ: " ويهلك الحرث والنسل، قيل أراد الزرع وقيل النساء سماهن حرثا كما في قوله تعالي (نساؤكم حرث لكم) (البقرة ٢٢٣)، ويرشحه قوله (والنسل) قيل نزلت في الأخنس بن شَريق مر بزرع فأحرقه وعقر دوابه"[٣٦٤]، وفي التحرير والتنوير، " والحرث هنا مرادَ منه الزرع، والنسل أطفال الحيوان مشتق من نسل الصوف نسولا إذا سقط وانفصل " [٣٦٥]، وفي أسباب النزول للسيوطي، " نزلت في الأخنس بن شَريق الثقفي جاء إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وأظهر الإسلام، وفي باطنه خلاف ذلك " [٣٦٦]، وبإطلاق النسل علي المنسول، والحرث علي المحروث، في رأي العلماء، يكون المصدر في الآية بمعني اسم المفعول، وقبل الخوض في تبيين معنى الحرث والنسل ينبغي أن أشير هنا إلي أن السمين الحلبي طبق نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي في تفسير هاتين المفردتين، وإن كان كتابه معجما لتفسير الألفاظ القرآنية لكنه لم يعزل هذه المفردات عن سياقاتها التي جاءت فيها تماماً كما فعل الراغب الأصبهاني في مفرداته الأمر الذي حد بالزركشي أن يثني علي طريقته في التفسير حيث قال: " وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات فيذكر قيدا زائداً علي أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق " [٣٦٧] فقد استعان الحلبي بالسياق المقالي (بالتناص تحديداً) عندما أتي بقول ربنا (نساؤكم حرث لكم)، واستعان بالسياق المقامي عندما تعرض لسبب نزول الآية وأسباب النزول سياق مقامي، والمصدرية أنسب لمعني الحرث والنسل، لأن الآية نزلت في الأخنس بن شَرِيق الذي أظهر الإسلام وفي باطنه خلاف ذلك، والقرآن يبين أن الذي يظهر

---

[٣٦١] (دروس في الألسنية العامة) فردينان دي سوسير، تعريب صالح الفرماوي ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة الدار العربية للكتاب ١٨٦ .

[٣٦٢] البحر المحيط ١٠٨/٢ .

[٣٦٣] تفسير القرطبي ١٨/٣ .

[٣٦٤] عمدة الحفاظ [ح . ر .ث] ٦٢٩/١ .

[٣٦٥] التحرير والتنوير ٢٧٠/٢ .

[٣٦٦] أسباب النزول للسيوطي ٦٠ .

[٣٦٧] البرهان في علوم القرآن للزركشي بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم) ١٧٢/٢ .

الإسلام ويبطن خلافه أكثر ضرراً علي الإسلام، لذا قال ربنا في الآية السابقة علي هذه الآية: " ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله علي ما في قلبه وهو ألد الخصام " (البقرة ٢٠٤)، فالذي يفعل ذلك إنما يهلك أصل الشيء وهو الحدث المنبثق عنه هذا الشيء وليس الشيء نفسه، فإذا هلك الأصل هلك المنبثق عنه وفي هذا مبالغة في الهلاك، ولذا بالغ ربنا في الوصف فقال (وهو ألد الخصام)، وهلاك النسل المنبني علي إبطال حدث التناسل أقوي من المنبني علي هلاك المنسولين، حيث لا يكون نسل بلا تناسل، وإهلاك حدث الحرث أقوي من إهلاك المحروث له، وثمة مناسبة بين سبب النزول وتعدد المعني الدلالي للكلمة، فالآية نزلت في الأخنس، والأخنس يظهر ما لا يبطن فهو ذو وجهين وكذلك المصدر فهو أصل الحدث وهو بمعني المفعولية أي أن المفردة في الآية بوجهين المصدرية والمفعولية، فناسب التعددُ التعددَ، هذا وقد ناسبت المصدريةُ مصدرَ إهلاك الحرث والنسل وهو عداء الأخنس للإسلام، " فالفهم عن طريق الوقوف علي تلك الظروف والملابسات عملية تتم قبل الفهم للنص اللغوي أو العبارة المنطوق بها " [٣٦٨] (سياق المقام)

قال تعالي: " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** " (البقرة ٢١٦)

في البحر المحيط " أي مكروه، فهو من باب النقض بمعني المنقوض، أو ذو كره إذا أريد به المصدر فهو علي حذف مضاف أو جُعل نفس الكراهة " [٣٦٩]، وفي القرطبي: " قوله تعالي (وهو كره لكم) ابتداء وخبر وهو كره في الطباع، قال ابن عرفة: الكره المشقة، والكَره بالفتح ما أكرهت عليه، وهذا هو الاختيار ويجوز الضم في معني الفتح فيكونان لغتين، يقال: كرهت الشيء كَرها وكرُها وكراهة وكراهية " [٣٧٠]، وفي البيضاوي: " شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة أو فعل بمعني مفعول كالخبز، أو بمعني الإكراه علي المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته " [٣٧١] وفي عمدة الحفاظ: " قرئ في المتواتر والفتح والضم فقيل هما بمعني الضعف والضعف، وقيل المفتوح ما ينال الإنسان من المشقة من خارج ما يحُلُّ عليه بإكراه، والكره ما ينال من ذاته وهو ما تعافه، وذلك علي نوعين: أحدهما ما يعافه من حيث الطبع، والثاني ما يعافه من حيث العقل والشرع ... وعلي الأول قوله تعالي (كتب عليكم القتال) ... أي من حيث الطبع " [٣٧٢] وفي لسان العرب الكره المشقة [٣٧٣]، وبذلك تكون كلمة (كُره)

---

[٣٦٨] دلالة الألفاظ، لإبراهيم أنيس، الأنجلو ١٩٨٠، ٤٥ .

[٣٦٩] البحر المحيط ١٤٣/٢ .

[٣٧٠] تفسير القرطبي ٣٨/٣ و ٣٩ .

[٣٧١] تفسير البيضاوي ١١٧/١، وانظر: التسهيل لعلوم التنزيل ٧٨ .

[٣٧٢] عمدة الحفاظ [ك . ر . ه] ٢٢٥٦/٣ و ٢٢٥٧ .

[٣٧٣] انظر: لسان العرب ٨٠/١٢ .

محتملة المصدرية واسم المفعول فهي مصدر بمعني اسم المفعول، وجاء اللفظ بصيغة المصدرية لأن الكره في اللغة معناه المشقة والكراهة في القتال نابعة في الأصل من المشقة التي فيه، وأن الإنسان يعافه من حيث الطبع كما جاء في عمدة الحفاظ، والمصدرية هنا أبلغ من المفعولية فقد يكون الشيء مكروها ويقدم الإنسان عليه لحاجة، فإن كان مصدر الكراهة فالأمر يحتاج إلي تدبر، كما أن مكروهية القتال معروفة، وعليه فالمعني: كتب عليكم القتال وهو رأس المشقة والكراهة أو مصدرها ليبتليكم في ذلك، ولو قال ربنا (كتب عليكم القتال وهو مكروه لكم) لم يكن الكلام معجزا لأن القتال مكروه ولا يخفي ذلك علي أحد، هذا واشتمل سياق الآية المقالي علي اللفظ (كُتِبَ) وهو هنا بمعني (فرض) والفروض ارتبطت في القرآن الكريم بالأشياء الشاقة، مما يرجح المصدرية، وقول ربنا (وهو كره) أبلغ من القول (وهو مكروه) لأن معناه أنه هو الكره نفسه، فلكثرة المشقة التي فيه صار مصدراً للكراهة، وعليه أصبح ثواب الجهاد عظيماً، وهو ما اشتمل عليه سياق الآيات فيما بعد .

قال تعالي: **" من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً " (البقرة ٢٤)**

يقول العكبري: "يجوز أن يكون القرض هنا بمعني المقروض كالخلق بمعني المخلوق فيكون مفعولاً به " [٣٧٤]، ويقول أبو حيان: " وانتصب قرضاً علي المصدر الجاري علي غير الصدر فكأنه قيل إقراضاً، أو علي أنه مفعول به، فيكون بمعني مقروض ... كالخلق بمعني المخلوق " [٣٧٥]، وفي القرطبي: " القرض: اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء ... وقال الكسائي: القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ وأصل الكلمة القطع ... والقرض ههنا اسم ولولاه لقال إقراضاً"[٣٧٦] وفي البيضاوي: " قرضا حسنا إقراضا حسنا مقرونا بالإخلاص وطيب النفس " [٣٧٧]، وفي عمدة الحفاظ: " مراد به الصدقة (واجبها ومندوبها) وسماه قرضا تكرما منه، وتطيبا للمتصدقين، وأن ما يعطونه من الصدقة علي الوجه المطلوب . وهو المراد بقوله حسنا – لابد أن يرجع إليهم بدله، وأنه لا يضيع علي ما يتعارفونه فيما بينهم .. وقرضا في الآية مصدر علي حذف الزوائد (اسم المصدر) [٣٧٨]، وبدلالة القرض علي المقروض يقال هنا (المصدر بمعني اسم المفعول)، ودلالة الكلمة علي المصدرية أبلغ لأن المقصود من الإقراض كل شيء يقدمه العبد ابتغاء مرضاة الله معنوياً كان أو مادياً، وللاهتمام بالإقراض لا بالشيء المقروض، كما أن كلمة (قرضا) في سياق الآية الكريمة وصفت بـ (حسنا) لتكون (حسنا) صفة للمصدر بمعني

---

[٣٧٤] إملاء ما من به الرحمن ١٩٤/١ .

[٣٧٥] البحر المحيط ٢٥٢/٢ .

[٣٧٦] تفسير القرطبي ٣/ ٢٣٩ و ٢٤٠ .

[٣٧٧] تفسير البيضاوي ١٢٩/١، وانظر: التحرير والتنوير ٢٧٧/١ .

[٣٧٨] عمدة الحفاظ [ق . ر . ض] ٢٠١١/٣ & ٢١١١ .

الإقراض بإخلاص وعن طيب نفس، ولتكون أيضاً صفة للمقروض، بمعني أن يكون قد أتي به العبد من طرقه الشرعية، فقد يكون المقروض حسنا والإقراض غير حسن، وقد يكون العكس، والأصل في القرض أن يجتمع فيه حسن الإقراض والمقروض، ودلالة (قرضا) علي المصدر واسم المفعول ثم وصفها بـ (حسنا) معجز في ذلك ليجتمع حسن الإقراض والمقروض معاً، ولو قال ربنا (مقروضا حسنا) لانتفى هذا الجمع، كما أن (حسنا) أكدت احتمال كلمة (قرضا) للمصدرية والمفعولية معاً، وبذلك تضافر كل من السياق المقالي ممثلاً في قرينة الوصف، والسياق المقامي ممثلاً في الاهتمام بالإقراض وملابساته لتبيين دلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية .

قال تعالي: " **ويتفكرون في خلق السموات والأرض** " (آل عمران ١٩١)

يقول أبو حيان: " يحتمل خلق أن يراد به المصدر، فإن الفكرة في الخلق لهذه المصنوعات الغريبة الشكل، والقدرة علي إنشاء هذه من العدم الصرف يدل علي القدرة التامة والعلم ... ويحتمل أن يراد به المخلوق ويكون أضَافَه من حيث المعني إلي الظرفين لا إلي المفعول به " [٣٧٩]، ويقول العكبري: " الإشارة في قول ربنا (ما خلقت هذا باطلاً) إلي الخلق المذكور في قوله (خَلْق السموات) وعلي هذا يجوز أن يكون الخلق مصدراً، وأن يكون بمعني المخلوق، ويكون من إضافة الشيء إلى ما هو هو في المعني " [٣٨٠]، وفي عمدة الحفاظ: " والخلق مصدر أراد به المخلوق كقول (هذا خلق الله) (لقمان ١) والخَلق والخُلق بمعني إلا أن الخَلق اختص بالهيئات والصور والأشكال المدركة بالبصر " [٣٨١]، وفي عمدة الحفاظ أيضاً: " أصل الخلق التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء، كقوله (خلق السموات والأرض) (الأنعام ١)، (ومثله بديع السموات والأرض) (البقرة ١١٧) . وإذا كان بمعني الإيداع فهو يختص بالباري ... ويستعمل في إيجاد شيء من شيء قال تعالى (خلقكم من نفس واحدة) (النساء ١) [٣٨٢]، وفي البيضاوي " وهذا إشارة إلي المتفكر فيه أي الخلق علي أنه أريد به المخلوق من السموات والأرض أو إليهما لأنهما فى معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثاً ضائعاً من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة"[٣٨٣]، وفي التحرير والتنوير: " والمراد بخلق السموات والأرض هنا إما آثار خلقها وهو النظام الذي جعل فيها، وإما أن يراد بالخلق المخلوقات

---

[٣٧٩] البحر المحيط ١٣٩/٣ .

[٣٨٠] إملاء ما من به الرحمن ١٦٢/١ و ١٦٣ .

[٣٨١] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] ٨٤٤/٢ .

[٣٨٢] عمدة الحفاظ [خ . ل . ق] ٨٤١/٢ و ٨٤٢ .

[٣٨٣] تفسير البيضاوي ١٩٥/١ .

" [٣٨٤] ويري القرطبي أن في (خلق): " دليل التوحيد وأن هذا العالم والبناء العجيب لابد له من بان وصانع، وجمع السموات لأنها أجناس مختلفة ... ووحد الأرض لأنها كلها تراب " [٣٨٥]، وفي الطبري: " خلق الشيء صفة له لا هي هو ولا غيره ... وقال آخرون: خلق السموات والأرض وخلق كل مخلوق هو ذلك الشيء بعينه لا غيره فمعني قوله (إن في خلق السموات والأرض) إن في السموات والأرض " [٣٨٦]، وباستقراء كل ما تقدم نلحظ أن (خلق) في الآية تحتمل المصدرية بمعني الإنشاء والإبداع، وتحتمل المفعولية بمعني المخلوق، وأن من العلماء من يسوي بين الخلق والمخلوق فهما كالشيء الواحد، وأري أن هذه الكلمة أينما حلت في كتاب الله تقتضي التفكر في: الشيء المخلوق لأنه دليل قدرة، ثم عملية الإنشاء أو الإبداع أو القدرة بعينها، ومن ثم التفكر في الخالق سبحانه، فكل مخلوق لابد له من خالق، وخالق المخلوقات جميعا هو الله، وهو التوحيد الذي تحدث عنه القرطبي، فالتفكير في المخلوق وكيفية الخلق معا يؤدي إلي التفكير في الخالق ومن ثم توحيده وإفراده بالعبادة، والإتيان بالمصدر في سياق الآية بليغ في ذلك للتفكر في الخلق والمخلوق معاً، فالتفكير في المخلوق فقط أو إفراط التفكر فيه دون الإيمان بالخلق والخالق هو العلمانية المادية التي تسيطر علي العالم الغربي حالياً، ومن القواعد النحوية المقررة أنه " لا يضاف اسم لما به اتحد في المعني " [٣٨٧] . فإذا كانت (خلق) بمعني المخلوق فكيف تضاف إلي السموات والأرض ؟ إلا علي اعتبار الإضافة بمعني الظرفية أي ويتفكرون في المخلوقات التي في السموات والأرض، وهو ما فكر فيه أبو حيان، ولكن هذا التفكير يُخرج السموات والأرض من بين الأشياء المطلوب التفكير فيها، وهذا لا يناسب سياق الآيات، فقد أثبت العلم الحديث العلاقة الرائعة بين القدرة في خلق السموات والأرض من حيث دوران الأرض في السموات حول الشمس وعَلاقة ذلك باختلاف الليل والنهار الأمر الذي يرجح المصدرية علي المفعولية في هذا السياق، وبذلك تضافر السياق المقالي المتمثل في المناسبة بين المفردات والجمل والتجاور بين المضاف والمضاف إليه ومعني الإضافة، والسياق المقامي المتمثل في الدراسات العلمية الحديثة لتبيين أرجحية المصدرية علي المفعولية في دلالة كلمة (خلق)، فلا السماء وحدها ولا الأرض وحدها (وهما مخلوقان من المخلوقات) تقدر أن تؤثر في اختلاف الليل والنهار، والاختلاف نابع من حدث خلقهما معا ومن دوران الأرض حول الشمس وهو القدرة التامة التي تحدث عنها أبو حيان في تفسيره لدلالة هذه الكلمة .

قال تعالي: " **وشروه بثمن بخس دراهم معدودة** " (يوسف ٢٠)

---

[٣٨٤] التحرير والتنوير ١٩٦/٤ .

[٣٨٥] تفسير القرطبي ١٩٢/٢ .

[٣٨٦] تفسير الطبري ٣٨/٢ .

[٣٨٧] شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك ٢٤/٣ .

يقول العكبري: " بخس مصدر في موضع المفعول أي مبخوس أو ذي بخس " [٣٨٨] .
ويقول أبو حيان: " بخس مصدر وصف به معني مبخوس ... وقال قتادة بخس ظلم لأنهم ظلموه في بيعه، وقال ابن عباس وقتادة أيضاً في آخرين بخس حرام، وقال ابن عطاء إنما جعله بخسا لأنه عِوض نفس شريفة لا تقابل بعوض " [٣٨٩]، وفي القرطبي: " بثمن بخس أن نقص، وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم، أي باعوه بثمن مبخوس أي منقوص، ولم يكن قصد إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدونه من خلو وجه أبيهم عنه ... وقال قتادة بخس ظلم وقال الضحاك ومقاتل والسُدي وابن عطاء: بخس حرام " [٣٩٠]، وفي معاني القرآن: " وإنما قيل معدودة ليستدل به علي القلة " [٣٩١]، وفي عمدة الحفاظ: " وشروه بثمن بخس قال الهروي أي بثمن ظلم، لأنه حر بيع ظلماً، وقال الراغب باخس أي ناقص، وقيل مبخوس أي منقوص " [٣٩٢]، وفي التحرير والتنوير: " والبخس أصله مصدر بخسه إذا نقصه عن قيمة شيئه، وهو هنا بمعني المبخوس، كالخلق بمعني المخلوق " [٣٩٣]، أي أن (بخس) في الآية الكريمة بمعني المبخوس أو المنقوص، ولو قال ربنا سبحانه وتعالي (وشروه بثمن مبخوس) لما كانت هذه المعاني المجتمعة، وهي مرادة مطلوبة في الآية، فكلمة (بخس) تحتمل المصدرية بمعني ظلم، وبمعني حرام، وتحتمل اسم المفعول بمعنى مبخوس، أي منقوص من قدره، ويمكن القول إن المصدرية تخص إخوة يوسف الذين ظلموه وارتكبوا حراما فهي تبين الظلم الذي وقع علي يوسف من إخوته عندما أجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، واسم المفعول يخص السيارة الذين جعلوا الثمن مبخوسا وكانوا فيه من الزاهدين ولم يتعمدوا ظلمه لأنهم لا يعرفونه (وهم له منقذون)، وهو من إعجاز القرآن العظيم، كما يمكن أن تكون (بخس) محتملة للمصدرية من جهتين الأولي من جهة إخوته الذين ظلموه بإلقائه في الجب، والثانية من جهة السيارة الذين ظلموه بإنقاص ثمنه، وفي احتمال اللفظة لمعني (الحرام) ووصف كلمة (ثمن) بها دلالة علي أن الدراهم المذكورة في الآية حرام لانبنائها علي حرام، لأن إلقاء إخوة يوسف له في الجب حرام، وبيع السيارة له أو تعويض نفس شريفة لا تقابل بعوض بدراهم قليلة معدودة حرام، وفي كل هذه المعاني مجتمعة مزيات فريدة ومقاصد جليلة .
قال تعالي: " **ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض** " (النمل ٢٥)

---

[٣٨٨] إملاء ما من به الرحمن ٥١/٢ .
[٣٨٩] البحر المحيط ٢٩١/٥، وانظر: الفتوحات الإلهية ٤٤٢/٢ و ٤٤٣ .
[٣٩٠] تفسير القرطبي ١٥٥/٩، وانظر: تفسير الطبري ١٠٢/١٢ .
[٣٩١] معاني القرآن للفراء ٤٠/٢ .
[٣٩٢] عمدة الحفاظ [ب . خ . س] ٢٥٧/١ .
[٣٩٣] التحرير والتنوير ٢٤٤/١٢ .

يقول أبو حيان: " الخبء مصدر أطلق علي المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالي في غيوبه " [٣٩٤] . وفي الطبري: " ويعني بقوله يخرج الخبء يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء ونبات في الأرض " [٣٩٥]، وفي الطبري: " خبء السماء قطرها وخبء الأرض كنوزها ونباتها، وقال قتادة الخبء السر، النحاس: وهذا أولي أي ما غاب في السموات والأرض " [٣٩٦]، وفي عمدة الحفاظ: " الخبء كل غائب وقيل مدخر مستور وقيل المراد السر وقيل خبء السماء المطر، وخبء الأرض النبات"[٣٩٧]، وفي البيضاوي: " والخبء ما خفي في غيره وإخراجه وإظهاره، وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار، وإنبات النبات، بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلي الفعل والإبداع " [٣٩٨]، أي أن الخبء تحتمل المصدرية وتحتمل اسم المفعول، وجاءت في الآية بلفظ المصدر ليعتبر كل إنسان بقدرة الله في صنع وتقدير الأشياء كيف صنعت ؟ ثم يعتبر بعد ذلك بالشيء المصنوع، ولا شك أن الصناعة أهم من المصنوع، والخلق أعظم من المخلوق، فعمال المناجم مثلاً يستخرجون خبء الأرض من الفحم وما شابهه وهو مخبوء، ولكن هل يستطيعون خلقه أو تكوينه أو خلق ما شابهه من الذهب وخلافه ؟ كما أن الله سبحانه وتعالي تحدي البشر بآيتين من آيات قدرته فلا يقوي أحد أن ينزل خبء السماء وهو المطر، أو يخرج خبء الأرض وهو النبات، وفي ذلك يقول ربنا: " أفرءيتم ما تحرثون * ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون " (الواقعة ٦٣ و ٦٤)، ويقول تعالي: " أفرءيتم الماء الذي تشربون * ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون " (الواقعة ٦٨ و٦٩)، وسياق آيات الواقعة يتحدث عن القدرة في الخلق والبعث والحساب، وإخراج المخبوء من السماء والأرض، والتناص بين آيات الواقعة، وآية النمل أثر في احتمال الكلمة للمصدرية والمفعولية والتناص من قرائن سياق المقال، فالقرآن وَحدة واحدة متماسكة كما يقول الرازي في تفسيره الكبير: " القرآن كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض، بل هو كالآية الواحدة " [٣٩٩]، ومن إعجاز القرآن الكريم المعاقبة بين (في) و (من) في الآية الكريمة، وفي ذلك يقول الطبري: " وقيل يخرج الخبء في السموات والأرض، لأن العرب تضع (من) مكان (في) و (في) مكان (من) في الاستخراج " [٤٠٠]، ذلك أن المطر ينزل من السماء فيناسبه الحرف (من) والنبات يخرج في الأرض، فيناسبه

---

[٣٩٤] البحر المحيط ٦٩/٧ .

[٣٩٥] تفسير الطبري ٩٣/١٩ .

[٣٩٦] تفسير القرطبي ١٨٧/١٣ .

[٣٩٧] عمدة الحفاظ [خ . ب . أ] ٧٧١/٢ .

[٣٩٨] تفسير البيضاوي ١٧٥/٢ .

[٣٩٩] التفسير الكبير لفخر الدين الرازي المطبعة البهية مصر ٢١٤/٣٠ وانظر ٣١٩/٣٠ و ٣٢ / ١٠٤ .

[٤٠٠] تفسير الطبري ٩٤/١٩ .

الحرف (في)، والمعاقبة بين (من) و (في) معجزة في الآية، كما أن تضافرا من نوع خاص في الآية يحدث بين المخبوءين فعندما يسقط المطر تبدأ الأرض في الإنبات، وقد عبر الهدهد عن معرفته لقدرة الله في الخلق من خلال الشيء الذي يعرفه وهو الحب والنبات والمطر، وهذه دعوة للتفكر في الخلق والإنشاء ثم التفكر في المخلوق، ودلالة المصدر علي المفعولية أنسب لذلك .

قال تعالي: " **فالقُ الإصباح وجعلَ الليلَ سكنا والشمسَ والقمرَ حسبانا** " (الأنعام ٩٦)

في البحر المحيط: " والسكن فَعَل بمعني مفعول، أي مسكون إليه " [٤٠١]، وفي عمدة الحفاظ: " والسكن ما يسكن إليه " [٤٠٢]، وفي القرطبي: " والسكن كل ما سكن إليه ... وهو محل السكون، وسكن إليه يسكن سكونا " [٤٠٣]، وفي البيضاوي: " يسكن إليه التَّعِبُ بالنهار لاستراحته فيه مَن سَكَن إليه إذا اطمأن إليه، استئناسا به، أو يسكن فيه الخلق " [٤٠٤]، وفي التحرير والتنوير: " السكن بالتحريك علي زنة مرادف اسم المفعول مثل الفلق علي اعتباره مفعولا بالتوسع بحذف حرف الجر، وهو ما يسكن إليه، أي تسكن إليه النفس، ويطمئن إليه القلب، والسكون فيه مجاز ... فمعني جعل الليل سكنا أنه جعل لتحصل فيه راحة النفس من تعب العمل " [٤٠٥]، أي أن المصدر (سكن) في الآية بمعني (اسم المفعول)، وجاءت (سكنا) بلفظ المصدرية لئلا يتوهم القارئ أو السامع أن المقصود هو الزمان المسكون إليه فقط دون الحدث، فقد يكون زمان ولا سكن فيه، وليكون الليل هو مصدر السكن أو هو السكن نفسه، وكل مشتقات هذه المادة جاءت في القرآن الكريم تحمل معني الطمأنينة والراحة والاستكانة والسكون وجميعها من الممكن أن تحتمله (سكنا) في الآية، بجوار المفعولية وهي أن الليل مسكون إليه، وقد تكون (سكنا) بمعني الفاعلية أي (ساكنا) فيُستراح فيه لما فيه من السكون أو لكونه ساكنا في ذاته .

قال تعالي: " **وجني الجنتين دان** " (الرحمن ٥٤)

في البحر المحيط: " الجني ما يقطف من الثمرة، وهو فَعَل بمعني مفعول " [٤٠٦]، وفي عمدة الحفاظ: " والمجتني من ثمرها قريب، فالجني مصدر واقع موقع المفعول، وقيل هو فَعْل بمعني مفعول كالقبض والنقص والجَنِيُّ المجتني وهو الثمر أو العسل، وأكثر ما يقال ذلك في الثمر إذا كان غضا " [٤٠٧]، وفي البيضاوي: " وجني الجنتين دان قريب يناله القاعد

---

[٤٠١] البحر المحيط ١٨٦/٤ .

[٤٠٢] عمدة الحفاظ [س . ك . ن[١٢٣٠/٢ .

[٤٠٣] تفسير القرطبي ٢٩٨/١ .

[٤٠٤] تفسير البيضاوي ٣١٣/١ .

[٤٠٥] التحرير والتنوير ٣٩١/٧ ؟

[٤٠٦] البحر المحيط ١٨٥/٨ .

[٤٠٧] عمدة الحفاظ [ج . ن . ي] ٥٦٧/١ .

والمضطجع، وجني اسم بمعني مجني وقُرئ بكسر الجيم " [٤٠٨]، وفي التحرير والتنوير: " جني الجنتين ما يجني من ثمارها، وهو بفتح الجيم ما يقطف من الثمر، والمعني أن ثمر الجنة دان منهم وهم علي فرشهم، فمتي شاءوا اقتطفوا منه " [٤٠٩]، وبذلك تكون (جني) في الآية مصدراً بمعني اسم المفعول ولم ترد مادة هذا المصدر إلا في موضعين في القرآن الكريم، هذا أحدهما، والثاني في سورة مريم، فى قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " (مريم ٢٥)، وفي كليهما الصيغة بمعني اسم المفعول، والمصدرية أنسب لآية الرحمن، لتحتمل الكلمة المصدرية والمفعولية معا، وقد أخبر رب العزة سبحانه عن كلمة (جني) في الآية بكلمة (دان) أي قريب، ليكون الجني قريبا قبل جنيه وبعد جنيه، فهو قريب في أغصانه فمتي شاءوا اقتطفوا كما يقول صاحب التحرير، وهو قريب أيضا بعد جنيه يأكلون منه وهم متكئون علي فرشهم دون عناء، وللدلالة علي أن الحدث غير بعيد عنهم فهو في استطاعتهم متى شاءوا ذلك، وهذا معني المصدرية، وقد جاءت اللفظة في مريم بصيغة (فعيل) وهي من أمثلة المبالغة، للمبالغة في سقوط الجني المنبني علي هز مريم للجذع، وفي كلتا الصيغتين احتمال للمفعولية بمعني المجني وهو المعني الأقرب إلي الأذهان، إلا أن المفعولية في آية مريم أوضح وأبين، لأنها حديث عن الرطب المنبني علي الهز، وما تساقط بعد الهز فهو مجني فعلا .

قال تعالي: " **قل هو الله أحد * الله الصمد** " (الإخلاص ١ & ٢)

في البحر: " الصمد فعل بمعنى مفعول، من صمد إليه إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج ويستقل به " [٤١٠]، وفي القرطبي: " الله الصمد أي الذي يصمد إليه في الحاجات، كذا روي الضحاك عن ابن عباس، قال الذي يصمد إليه في الحاجات ... قال أهل اللغة: الصمد السيد الذي يصمد إليه في النوازل والحوائج .... وقال قوم الصمد: الدائم الباقي"[٤١١]، وفي البيضاوي: " الله الصمد السيد المصمود إليه في الحوائج من صمد إليه إذا قصد، وهو الموصوف به علي الإطلاق، فإنه يستغني عن غيره مطلقا، وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته " [٤١٢] ، وفي عمدة الحفاظ: " هو السند الذي يصمد إليه في الأمور أي يقصد ... وقيل الصمد الدائم الباقي ... وقيل الصمد المرتفع الرتبة ومنه بناء مُصَمَّد أي مرتفع عال، والصَّمْد بسكون العين ما شرف من الأرض وعلا " [٤١٣]، وفي التحرير والتنوير: " الصمد السيد

---

[٤٠٨] تفسير البيضاوي ٤٥٥/٢ .

[٤٠٩] التحرير والتنوير ٢٦٩/٢٧ .

[٤١٠] البحر المحيط ٥٢٧/٨ .

[٤١١] تفسير القرطبي ٢٤٥/٢٠ .

[٤١٢] تفسير البيضاوي ٦٣١/٢ .

[٤١٣] عمدة الحفاظ [ص . م . د] ١٤٦٨/٢ .

الذي لا يستغني عنه في المهمات وهو سيد القوم المطاع فيهم، قال في الكشاف، وهو فعل بمعني مفعول من صمد إليه إذا قصده، فالصمد المصمود إليه في الحوائج " [٤١٤]، وكلمة الصمد من ألفاظ المشترك اللفظي فهو من صفاته تعالي وتقدس لأنه أصمدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره، وقيل الصمد الذي لا يَطْعَم، وقيل الصمد الدائم بعد بناء خلقه، وقيل هو الذي يصمد إليه الأمر فلا يقضي دونه، وقيل الذي صمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء وكلها دال علي وحدانيته [٤١٥]، ولما كانت (الصمد) تحتمل كل هذه المعاني التى تدل علي وحدانيته سبحانه وتعالي كانت صيغتها أنسب لهذا السياق، لأنها سبقت بقوله تعالي (قل هو الله أحد) وتلاها قوله تعالي (لم يلد ولم يولد) (الإخلاص ٣)، فالسياق سياق وحدانية، وبين هذه الآيات وكل الآيات التي تدل علي وحدانية الله في القرآن الكريم علاقات تفصيلية وتفسيرية وتناص، فالقرآن سياق مقالي واحد متماسك يفسر بعضه بعضا، وقد قال المفسرون ذلك منذ مئات السنين، وهو ما عناه (أولمان) بقوله: " إن السياق علي هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب بل والقطعة كلها والكتاب كله " [٤١٦]، (سياق النص)، هذا بالإضافة إلي اتساق كلمة الصمد من ناحية اللفظ مع باقي فواصل السورة الكريمة، هذا ولم يأت أي اسم من أسماء الله الحسني بلفظ اسم المفعول، والصمد أحد هذه الأسماء المقدسة، هذا عن سياق المقال أو النص أما عن سياق المقام فكل الآيات الكونية التي تدل علي وحدانية الله تمثل سياقا مقاميا لهذه الآيات الكريمات .

قال تعالي: " **قل أعوذ برب الفلق** " (الفلق ١)

يقول أبو حيان: " الفلق فَعَل بمعني مفعول" [٤١٧] وقيل الفلق كل ما يفلقه الله تعالي كالأرض والنبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل الفلق حب في جهنم أو واد في جهنم أو بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره [٤١٨]، " والفلق بفتحتين الصبح بعينه، يقال فلق الصبح فالقه، وقوله تعالي (قل أعوذ برب الفلق) قيل هو الصبح، وقيل هو الخلق كله " [٤١٩] وفي عمدة الحفاظ: " الفلق الصبح ... وقيل الفلق الأنهار لأنها مفلوقة في الأرض " [٤٢٠]، وفي البيضاوي: " (قل أعوذ برب الفلق)

---

[٤١٤] التحرير والتنوير ٣٠ /٦١٧ .

[٤١٥] انظر: لسان العرب ٤٠٤/٧ .

[٤١٦] دور الكلمة في اللغة (ستيفن أولمان) ترجمة الدكتور كمال بشر مكتبة الشباب الطبعة العاشرة ١٩٨٦م، ٦٢ .

[٤١٧] البحر المحيط ٥٢٩/٨ .

[٤١٨] انظر: البحر المحيط ٥٣٠/٨ .

[٤١٩] مختار الصحاح [ف . ل . ق] ٢٣٨ .

[٤٢٠] عمدة الحفاظ [ف . ل . ق] ٢٠٣٣/٣ .

ما يفلق عنه أي يفرق كالفرق فَعَل بمعني مفعول " [٤٢١]، وفي التحرير والتنوير: " والفلق الصبح وهو فَعَل بمعني مفعول مثل الصمد، لأن الليل شبه بشيء مغلق ينفلق عن الصبح، وحقيقة الفلق الانشقاق عن باطن الشيء، واستعير لظهور الصبح بعد ظلمة الليل " [٤٢٢]، وقد سرد القرطبي معاني عدة للفلق منها أنه سجن في جهنم أو واد أو بيت فيها وقيل شجرة في النار، ويقال لما اطمأن في الأرض فلق، وقال جمهور منهم سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: الفلق الصبح، وقيل هو الجبال والصخور تنفلق بالمياه أي تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور تنفلق بالمياه أن تتشقق وقيل هو التفليق بين الجبال والصخور، لأنها تتشقق من خوف الله عز وجل [٤٢٣]، فالفلق في الآية (فَعَل بمعني مفعول) لتوجيه الاهتمام إلي الحدث وإلي الشيء المفلوق معا لا إلي المفلوق فقط دون مراعاة حدث الفلق نفسه وقدرة الله في ذلك، وسياق الآية المقالي سياق استعاذة بالله من شرور الخلق، ومن شر نوائب الليل إذا غطي ظلامه، ومن النساء السواحر، ومن الحاسدين، وكأن الله يخبرنا أنه إذا أصابنا شيء من هذه الشرور فلنستعذ بالله الأكبر رب الفلق، فإذا كانت السواحر تنفث في العقد بعد توكيدها فالله وحده قادر علي تفليق هذه العقد، ولا مقارنة بين قدرة الله وفعل هؤلاء السحرة والحاسدين، وإذا خفنا من شر غاسق الليل إذا وقب فإن الله هو " فالق الإصباح " (الأنعام ٩٦) وقد نزلت الآية في النبي صلي الله عليه وسلم – الذي مرض مرضاً شديداً فأتاه ملكان، وقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال أحدهما للآخر، سحر، وذكر الساحر، ومكان السحر في بئر آل فلان تحت الصخرة، فلما أصبح النبي بعث عمار بن ياسر في نفر فأتوا البئر ذا الصخرة، وقد كان ماؤها مثل ماء الحناء فنزحوا الماء ثم رفعوا الصخرة فإذا بشيء فيه وتر فيه إحدى عشرة عقدة، فنزلت السورتان (الفلق والناس) كلما قرأ آية انحلت عقدة [٤٢٤]، فالمقام مقام سحر وإحكام عُقَد وقد ناسبه الإتيان بلفظ المصدر (الفَلَق) بمعني التفليق والشق والإبطال مع احتماله للمفعولية لتكون العظة في قدرة الله التامة المنبثقة عنها هذه المفلوقات الدالة علي قدرته أيضاً .

قال تعالي: " **إن هذا لهو القصص الحق** " (آل عمران ٦٢)

يقول أبو حيان: " القصص مصدر أو فعل بمعني مفعول أي المقصوص " [٤٢٥] وفي القرطبي: " سميت قصصا لأن المعاني تتابع فيها، فهو من قولهم: فلان يقص أثر فلان أي

---

[٤٢١] تفسير البيضاوي ٦٣٢/٢ .

[٤٢٢] التحرير والتنوير ٦٢٦/٣٠ .

[٤٢٣] انظر: تفسير القرطبي ٢٥٤/٢٠ .

[٤٢٤] انظر: أسباب النزول للسيوطي ٤٧٩ .

[٤٢٥] البحر المحيط ٤٨٢/٢ .

يتبعه " [٤٢٦]، وفي البيضاوي: " أي مما قص من نبأ عيسي ومريم " [٤٢٧]، وفي عمدة الحفاظ: " (القصص) البيان من قولهم قص فلان الخبر أي أتي بقصته من قصها وأصله من قص الأثر أي تتبعه حتى عرف صاحبه أين سلك والقصص الأثر نفسه " [٤٢٨] وفي التحرير والتنوير: " القصص بفتح القاف والصاد – اسم لما يقص . يقال قص الخبر قصا إذا أخبر به، والقص أخص من الإخبار، فإن القص إخبار بخبر فيه طول وتفصيل ... فالقصص اسم لما يقص ... وقيل هو اسم مصدر وليس مصدرا .... فالقص بالإدغام مصدر، والقصص بالفك اسم للمصدر، واسم للخبر المقصوص " [٤٢٩]، واحتمال الصيغة للمصدرية أو المفعولية وأن تكون اسما للمصدر معجز في الآية، حيث وُصِفت كلمة القصص بالحق ليكون حدث القص حقا، والمقصوص عنهم حق، وليعتبر الإنسان بالقص ذاته لِم يُقص في المكان بعينه أو في المقصوص عنهم وما فيهم من العبر والعظات ودلائل القدرة، وتوكيد الجملة بـ (إنَّ) واللام المزحلقة توكيد لكل هذه الدلالات وكذا التوكيد بضمير الفصل لتأكيد أن القص والمقصوص عنهم حق، وأن هذا هو القصص بعينه، وقد اشتملت السورة علي كثير من هذا القصص الحق وبخاصة ما قص من نبأ عيسي ومريم، وقد اشتمل السياق علي المجادلة في أمر عيسي بغير الحق فذكر سبحانه أن هذا هو القصص الحق ولا جدال في ذلك أي أن الأحداث التي تعرض لها عيسي من التوفي والرفع إلي الله والتطهير وأنه كمثل آدم مخلوق من تراب كل ذلك حق فلا تجادلوا فيه، ودلالة الكلمة علي المصدرية والمفعولية أنسب لهذه السياقات ليعتبر الناس بالأحداث وبالمقصوص عنهم أصحاب هذه الأحداث .

قال تعالي: " **وبئس الورد المورود** " (هود ٩٨)

في البحر: " الورد قال ابن السكيت هو ورود القوم الماء، والورود الإبل الواردة، فيكون مصدرا بمعني الورود واسم مفعول في المعني " [٤٣٠]، وفي المفردات للراغب الأصفهاني " الورد الماء المرشح للورود ... والورد يوم الحمي إذا وردت واستعمل في النار علي سبيل الفظاعة ... ويعبر عن إتيان الحمي بالورد " [٤٣١] وفي عمدة الحفاظ: " الورد هو الماء الذي يورد ويكون للإبل الواردة، ويكون لحمي تجيء كل وقت، والجزء من القرآن يجعله القارئ له ولعبادة موظفة له ... (والورد) القوم يردون الماء فسمي العطاش وردا لطلبهم ورود الماء، كقولهم قوم صَوْمٌ "

---

[٤٢٦] تفسير القرطبي ١٠٥/٤ .

[٤٢٧] تفسير البيضاوي ١٦٣/١ .

[٤٢٨] عمدة الحفاظ [ق . ص . ص] ٢١٣١/٣ .

[٤٢٩] التحرير والتنوير ٢٦٧/٣ .

[٤٣٠] البحر المحيط ٢٥١/٥ .

[٤٣١] المفردات في غريب القرآن ٥٢٠ – ٥٢١ .

[٤٣٢] وفي القرطبي: " وبئس الورد المورود أي بئس المدخل المدخول، ولم يقل بئست لأن الكلام يرجع إلي المورود، وهو كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك، والمورود الماء الذي يورد، والموضع الذي يورد وهو بمعني المفعول " [٤٣٣]، وفي البيضاوي: " أي بئس المورود الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطاش والنار بالضد " [٤٣٤]، وفي التحرير والتنوير: " والورد بكسر الواو أصله السير إلي الماء، وتسمي الأنعام الواردة وردا تسمية علي حذف المضاف، أي ذات ورد، كما يسمي الماء الذي يرده القوم وردا " [٤٣٥]، وفي القاموس المحيط: " (الورد) من أسماء الحمى، أو هو يومها والإشراف علي الماء وغيره دخله أو لم يدخله ... والجزء من القرآن، والقطيع من الطير، والجيش، والنصيب من الماء، والقوم يردون الماء " [٤٣٦]، والورد أيضاً هو الجماعة العِطاش [٤٣٧]، يقول ربنا: " ونسوق المجرمين إلي جهنم وردا" (مريم ١٨٦)، ولكن لو كانت (الورد) اسم مفعول في المعني بمعني المورود لما وصفت بكلمة المورود، والمعني المقصود هو الماء المرشح للورود أو يوم الحمي وإتيانه، والقوم يردون الماء، ولا يصح أن يكون الورد هنا بمعني الجزء من القرآن لأن السياق سياق ذم، والمعني بئس الوارد وبئس الورود وبئس المورود، لأن الحديث في الآيات عن فرعون يقدم قومه الذين اتبعوه وخالفوا موسي وآياته فأوردهم الله النار، فبئس الواردون (فرعون وقومه) وبئس الورود الذي يساقون فيه سوقا لأنهم مجرمون كما جاء في آية مريم، وبئس المورود وهو النار.

قال تعالي: " **قال قد أوتيت سؤلك يا موسي** " (طه ٣٦)

يقول أبو حيان: " السؤل فعل بمعنى المسئول ... والمعني أعطيت طِلبتك وما سألته من شرح الصدر، وتيسير الأمر، وحل العقدة، وجعل أخيك وزيراً " [٤٣٨]، وفي القرطبي: " والسؤل الطّلبة، فُعل بمعني مفعول كقولك خبز بمعني مخبوز، وأكل بمعني مأكول " [٤٣٩]، وفي البيضاوي: (قال قد أوتيت سؤلك يا موسي) أي مسئولك، فعل بمعني مفعول كالخبز والأكل بمعني المخبوز والمأكول " [٤٤٠]، وفي التحرير والتنوير: " السؤل بمعني المسئول، وهو وزن فعل بمعني مفعول كالخبز بمعني المخبوز والأكل بمعني المأكول، وهذا يدل علي أن العقدة زالت

---

[٤٣٢] عمدة الحفاظ ٢٨٣٣/٤ .

[٤٣٣] تفسير القرطبي ٩٣/٩ .

[٤٣٤] تفسير البيضاوي ١/ ٤٦٩ .

[٤٣٥] التحرير والتنوير ١٦٨/١٦ .

[٤٣٦] القاموس المحيط ٤٦٩/١ .

[٤٣٧] انظر الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر ٤٦٩/١ .

[٤٣٨] البحر المحيط ٢٤٠/٦ .

[٤٣٩] تفسير القرطبي ١٩٥/١١ .

[٤٤٠] تفسير البيضاوي ٤٦/٢ .

علي لسانه، ولذلك لم يحك فيما بعد أنه أقام هارون بمجادلة فرعون " [٤٤١]، فالسؤل في الآية ما يسأله الإنسان أو ما يطلبه، وبمعني اسم المفعول أي المسئول، وقيل سؤلك، ولم يقل طلبك لأن السؤال لا يكون إلا كلاما، ويكون الطلب بالسعي وغيره [٤٤٢]، وسؤال موسي كان كلاما.

قال تعالي: " **لهم شراب من حميم** " (الأنعام ٧٠)

في البحر المحيط: " شراب فعال بمعني مفعول كطعام بمعني مطعوم " [٤٤٣]، وفي المفردات الشراب فيه معني التناول [٤٤٤]، وفي عمدة الحفاظ: " والشراب ما يشرب " [٤٤٥]، وفي التحرير والتنوير: " وخص الشراب من الحميم من بقية أنواع العذاب المذكور من بعد للإشارة إلي أنهم يعطشون فلا يشربون إلا ماء يزيدهم حرارة علي حرارة العطش " [٤٤٦]، وفي البيضاوي: " والمعني هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم " [٤٤٧]، أي أن أهل النار يذوقون العذاب في تناولهم الحميم المشروب قبل شربه لما فيه من الحرارة الشديدة [٤٤٨]، وشراب لذلك أنسب من مشروب لسياق الآية فلو قيل (لهم مشروب) لكان العذاب في المشروب فقط وإن لم يشربوا لم يُعذبوا، وإنما العذاب بشيئين بالشرب ذاته وشدة الحرارة المنبعثة من المشروب قبل شربه، وبالمشروب نفسه عندما يشربونه، وقوله تعالي لهم شراب دلالة علي أن هذا الشراب قد أعد لهم، وهو خاص بهم لا بغيرهم، وقوله تعالي من حميم دلالة علي شدة العذاب وأن هذا الماء لا يزيدهم إلا عطشا علي عطشهم، وحرارة علي حرارتهم، والإتيان بلفظ المصدر في الآية للمبالغة في شدة العذاب وليكون العذاب حاصلا في حدث الشرب ذاته وفي المشروب ونوعه .

قال تعالي: " **إلا من اغترف غرفة بيده** " (البقرة ٢٤٩)

في البحر المحيط: " هما بمعني المصدر (أي غُرفة بالفتح والضم) وقيل هما بمعني المغروف، وقيل الغَرفة بالفتح المرة، وبالضم ما تحمله اليد " [٤٤٩]، والغرفة واحدة الغرفات وهي منازل الجنة [٤٥٠]، قال تعالي: " أولئك يجزون الغرفة بما صبروا " (الفرقان ٧٥)، وقال تعالي: "

---

[٤٤١] التحرير والتنوير ٢١٤/١٦ .

[٤٤٢] انظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ٣٠٨ .

[٤٤٣] البحر المحيط ١٥٦/٤ .

[٤٤٤] انظر: المفردات في غريب القرآن ٢٥٧ .

[٤٤٥] انظر: عمدة الحفاظ [ش . ر . ب] ١٣١٤/٢ .

[٤٤٦] التحرير والتنوير ٢٩٩/٧ .

[٤٤٧] تفسير البيضاوي ٣٠٧/١ .

[٤٤٨] انظر: فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ١٩٠ .

[٤٤٩] البحر المحيط ٢٦٥/٢ .

[٤٥٠] انظر المفردات في غريب القرآن ٣٦٠ .

وهم في الغرفات آمنون " (سبأ ٣٧) وفي القرطبي: " الاغتراف الأخذ من الشيء باليد أو بآلة، ومنه الغرفة والغرف مثل الاغتراف، وقرئ غَرفة بفتح الغين وهي مصدر، ولم يقل اغترافة لأن معني الغرف والاغتراف واحد، والغرفة المرة الواحدة، وقرئ غُرفة بضم الغين وهي الشيء المغترف " [٤٥١]، وفي عمدة الحفاظ: " قرئ بفتح الفاء علي أنها المرة، وبالضم علي أنها اسم لما يغترف كالمضغة والمضغة " [٤٥٢]، وفي التحرير والتنوير: " والغَرفة بفتح الغين في قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وأبي جعفر المرة من الغرف وهو أخذ الماء باليد، وقرأ حمزة وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بضم الغين، وهو مقدار المغروف من الماء ... والغرف لا يكون إلا باليد، [٤٥٣] والمعني الرخصة في القليل دون الكثير " [٤٥٤]، فكلمة غرفة تحتمل المصدرية بمعني الاغتراف، وتحتمل اسم المفعول بمعني المغروف، وتحتمل الاسمية بمعني منازل الجنة، والمعاني الثلاثة أولي بإنعام النظر، ففي السياق المقالي للآيات بَيَّنَ طالوت لأصحابه أن الله مبتليهم بنهر فمن شرب منه فليس منه ومن لم يطعمه فإنه منه إلا من اغترف غرفة بيده، أي إلا من اغترف اغترافا بيده، أو إلا من اغترف من هذا المغروف، ومن يطع المصطفين الأخيار فهذه طريقه إلي غرفات الجنة، وكأن من يطع هؤلاء يدخل الجنة وغرفاتها بيديه، أي بسعيه وعمله الذي هو مخير فيه من بعد مشيئة الله تعالي .

قال تعالي: " **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** " (الأعراف ١٤٣)

في البحر: "الدك مصدر دككت الشيء، فتته وسحقته، مصدر في معني المفعول"[٤٥٥]، والدك الأرض اللينة السهلة [٤٥٦]، وفي البيضاوي: " جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق، وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لا سنام لها " [٤٥٧] وفي التحرير والتنوير: " قرأ الجمهور دكا – بالتنوين – والدك مصدر وهو والدق مترادفان، وهو الهد وتفرق الأجزاء كقوله وتخر الجبال هدا (مريم ٩٠) وقد أخبر عن الجبل بأنه جعله دكا للمبالغة والمراد أنه مدكوك، أي مدقوق مهدوم " [٤٥٨]، فكلمة (دكا) في الآية تحتمل المعاني الثلاثة الحدث واسم المفعول والاسمية، وجاء اللفظ في الآية بصيغة المصدرية للتركيز علي الحدث لا علي الشيء الواقع عليه الحدث، ويتبين ذلك من قول ربنا: (وخر موسي صعقا)، فلو لم يكن موسي قد رأي حدثا عظيما لما خر من أجله ولما صُعق، فالتركيز علي حدث الدك أهم

---

[٤٥١] تفسير القرطبي ٢٥٣/٣ .

[٤٥٢] عمدة الحفاظ [غ . ر . ف] ١٨٧٨/٣ .

[٤٥٣] التحرير والتنوير ٤٩٨/٢ .

[٤٥٤] تفسير البيضاوي ١٣١/١ .

[٤٥٥] البحر المحيط ٣٨٤/٤ .

[٤٥٦] انظر المفردات في غريب القرآن ١٧١، والقاموس المحيط ١٢٤٤/٢ .

[٤٥٧] تفسير البيضاوي ٣٥٩/١ وانظر: تفسير القرطبي ٢٧٨/٧، وعمدة الحفاظ [د . ك . ك] ٨٩٧/٢ .

[٤٥٨] التحرير والتنوير ٩٣/٩ .

من التركيز علي الشيء المدكوك، والدك بمعني المدكوك وبمعني الأرض اللينة السهلة الناتئة معنيان فرعيان علي المعني الأصلي في الآية وهو المصدرية أو الحدث، فعندما يتجلي الله بنوره علي الأشياء فهذا حدث عظيم يستدعي الانتباه، فناسبت المصدرية في كلمة (دكا) المعني المقصود في الآية .

المبحث الثالث: المصدر الدال علي الفاعلية أو المفعولية [٤٥٩]:

قال تعالي: " **الذين يؤمنون بالغيب** " (البقرة ٣)

في العكبري: " الغيب هنا مصدر بمعني الفاعل، أي يؤمنون بالغائب عنهم، ويجوز أن يكون بمعني المفعول أي المغيب " [٤٦٠]، وفي البحر: " الغيب مصدر غاب إذا توارى وسمي المطمئن من الأرض غيباً لذلك، أو فعيل من غاب " [٤٦١]، وفي عمدة الحفاظ: " الغيب مصدر غاب يغيب ضد حضر ... وقيل الغيب مصدر واقع موقع اسم الفاعل، أي يؤمنون بالغائب ... وقيل الغيب القرآن " [٤٦٢]، وفي القرطبي: " واختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا . فقالت فرقة الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعفه ابن العربي، وقال آخرون القضاء والقدر، وقال آخرون القرآن، وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول " [٤٦٣]، وفي البيضاوي: " الغيب مصدر، وصف به للمبالغة ... والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس، ولا تقتضيه بديهة العقل ... وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور " [٤٦٤]، فمعني يؤمنون بالغيب أي يؤمنون بالأخبار التي جاءتنا عن الأشياء الغائبة عنا التي غيبها الله سبحانه من جنة ونار وقيامة، فهي غائبة مغيبة أي متصفة بالغيب، وواقع عليها من قبل المولى سبحانه، فالسياق حديث عن المتقين المؤمنين وصفاتهم، وأن أول صفة يجب أن يتحلي بها المتقي هي الإيمان بالغيب بجميع معانيه ومن حيث هو غائب مغيب، و (أل) في الغيب للجنس أي يؤمنون بكل ما يغيب عنهم، وجاءت الكلمة بلفظ المصدرية للاختبار في حدث التغييب نفسه، وفي أنه من قدرة الله عز وجل وفي الأشياء الغائبة عنا، أي أن الذي يؤمن بالغيب يؤمن بقدرة الله في التغييب وبالاختبار في ذلك، وبالأشياء الغائبة التي وقع عليها التغييب، فكما أنه لابد من موجد لكل شيء موجود، كذلك لابد من مغيب لكل شيء غائب عنا وإذا غاب الشيء بهذا المعني فهو فاعل ومفعول، وهذا من باب احتمال الكلمة للضدين، وهو من إعجاز القرآن العظيم .

قال تعالي: " **يسألونك عن الخمر والميسر** " (البقرة ٢١٩)

---

[٤٥٩] انظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٧٥/٦ .

[٤٦٠] إملاء ما من به الرحمن ١٢/١ .

[٤٦١] البحر المحيط ٣٨/١، وانظر القاموس المحيط ٢٠٩/١، وتفسير القرطبي ١٦٣/١ .

[٤٦٢] عمدة الحفاظ [غ . ى . ب] ١٩٢٥/٣ .

[٤٦٣] تفسير القرطبي ١٦٣/١ .

[٤٦٤] تفسير البيضاوي ١/ ١٨ .

في البحر: " الخمر هي المعتصر من العنب إذا غلي واشتد وقذف بالزبد سمي بذلك من خُمِر إذا سُتِر ... وقال ابن الأنباري سميت بذلك لأنها تخامر العقل أي تخالطه .... وقيل سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك، يقال اختمر العجين بلغ إدراكه، وخمر الرأي تركه حتى يبين فيه الوجه، فعلي هذه الاشتقاقات تكون مصدرا في الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول " [٤٦٥]، " وقال ابن الأعرابي: سميت الخمر خمرا لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها، وقيل سميت بذلك لمخامرتها العقل " [٤٦٦]، وفي عمدة الحفاظ: " الخمر ما خامر العقل أي خالطه ... وسميت الخمرة بذلك لكونها مخمورة من قبل " [٤٦٧]، وفي البيضاوي: " الخمر في الأصل مصدر خمره إذا ستره سمي بها عصير العنب والثمر إذا اشتد وغلي كأنه يخمر العقر " [٤٦٨]، وفي التحرير والتنوير: " والخمر اسم مشتق من مصدر خمر الشيء يخمره من باب نصر إذا ستره ... وهي إما تسمية بالمصدر أو هو اسم جاء علي زنة المصدر وقيل هو اسم لكل مشروب مسكر ... ترك حتى يختمر"[٤٦٩]، فالخمر في الآية اسم للمعتصر من العنب وهي مصدر أريد به اسم الفاعل أو اسم المفعول، وأري أن تحقق المعاني الأربعة في الكلمة له مقاصده في الآية، فالمقصد في الاسمية أن يؤمن المسلم بأن الخمر حرام دون معرفة ماهيتها لأننا مأمورون بذلك، ودلالة المصدرية هي تبيين الضرر الواقع علي البشرية من الحدث أو من تصنيع هذه الخمور، فالصناعة كما هو معلوم أهم من المصنوع ولذا جاءت الكلمة في الآية بلفظ المصدرية أو الاسمية، وفي دلالة المصدر علي الفاعلية والمفعولية تبيين الضرر المنبني علي الخمر من ماهيتها فهي تختمر فتفسد في ذاتها بفعل البشر (المفعولية) فتخامر العقل فتفسده (الفاعلية)، وهذا من سياق المقام .

قال تعالي: " **وأنزل الفرقان** " (آل عمران ٤)

يقول أبو حيان: " والفرقان مصدر في الأصل ... أريد به اسم الفاعل أي الفارق ويجوز أن يراد به المفعول، قال تعالي: وقرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث (الإسراء ١٠٦) [٤٧٠] ويقول الفيروزآبادي: " الفرقان بالضم القرآن كالفرق بالضم، وهو كل ما فرق به بين الحق والباطل " [٤٧١]، فكل ما فرق به بين الحق والباطل فارق ومفروق به، وفي القرطبي: " وأصل

---

[٤٦٥] البحر المحيط ١٥٤/٢، وانظر القاموس المحيط ٥٤٧/١ .

[٤٦٦] مختار الصحاح ١٠٣ .

[٤٦٧] عمدة الحفاظ [خ . م . ر] ٨٥٢/٢، ٨٥٣ .

[٤٦٨] تفسير البيضاوي ١١٨/١ .

[٤٦٩] التحرير والتنوير ٣٤١/٢ .

[٤٧٠] البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

[٤٧١] القاموس المحيط ١٢١٦/٢ .

الفرق الفصل ومنه فرق الشعر ومنه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل، ومنه يوم الفرقان يعني يوم بدر كان فيه فرق بين الحق والباطل " [٤٧٢] وفي الطبري: " الفرقان يعني الفصل بين الحق والباطل " [٤٧٣]، وفي التحرير والتنوير: " والفرقان مصدر فرق، وقد شاع في الفرق بين الحق والباطل، أي إعلان التفرقة بين الحق الذي جاءهم من الله وبين الباطل الذي كانوا عليه قبل الإسلام " [٤٧٤]، وقول ربنا (وقرآنا فرقناه) أي فصلناه وأحكمناه، " والفارقات فرقا " (المرسلات ٤) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل [٤٧٥]، فالفرقان بهذه التفاسير تحتمل المصدرية – واللفظ لها – واسم الفاعل واسم المفعول، والاسمية، ومعني المصدرية أن الله أنزل التفريق بين الحق والباطل بكتب سماوية فارقة فرقها الله سبحانه فانفرقت ووقع بها التفريق، فالفرقان جنس الكتب السماوية لأنها كلمة يفرق بها بين الحق والباطل، أو هو المعجزات المصاحبة لهذه الكتب أو ما اشتملت عليه من أحكام بينها الله ليفرق بها بين الحق والباطل [٤٧٦]، وقد جاء في سياق الآيات ذكر التوارة والإنجيل وأن الله قد أنزلهما من قبل هدي للناس . وفي كل ذلك آيات لأولي الألباب، و (أل) في (الفرقان) للجنس أي أنزل الله كل الكتب السماوية وكل المعجزات المصاحبة لها، وكل ما اشتملت عليه من أحكام، وكل هذه الأشياء تعين في التفريق بين الحق والباطل .

قال تعالي: "**يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور**"(يونس ٥٧)

في العكبري: " قوله تعالي (وشفاء) هو مصدر في معني الفاعل أي وشافٍ، وقيل هو في معني المفعول أي المشفي به " [٤٧٧]، وفي الطبري " وشفاء لما في الصدور ودواء لما في الصدور من الجهل يشفي به الله الجهال فيبرئ به داءهم ويهدي به من خلقه من أراد هدايته " [٤٧٨]، وفي القرطبي: " أي وعظ من ربكم يعني القرآن فيه مواعظ وحكم وشفاء لما في الصدور أي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق " [٤٧٩]، وفي التحرير والتنوير: " الشفاء زوال المرض والألم، ومجازه زوال النقائص والضلالات وما فيه من حرج علي النفس وهذا هو المراد هنا " [٤٨٠]، فالقرآن الكريم هو الشفاء الشافي المشفي به، وجاءت كلمة (شفاء) في الآية بلفظ المصدرية لتوكيد الحدث ولتبيين أن القرآن مصدر الشفاء، فلو قيل (وشافٍ لما في الصدور)

---

[٤٧٢] تفسير القرطبي ٣٨٣/١ وانظر عمدة الحفاظ [ف . ر . ق] ١٩٨٥/٣ .

[٤٧٣] تفسير الطبري ٨٥/٢ .

[٤٧٤] التحرير والتنوير ١٧٣/٢ .

[٤٧٥] انظر القاموس المحيط ١٢١٥/٢ .

[٤٧٦] انظر البحر المحيط ٣٧٩/٢ .

[٤٧٧] إملاء ما من به الرحمن ٣٠/٢ .

[٤٧٨] تفسير الطبري ٨٦/١١ .

[٤٧٩] تفسير القرطبي ٣٥٣/٨ .

[٤٨٠] التحرير والتنوير ٢٠١/١١ .

يحتمل ألا يحدث الشفاء، فالطبيب معالج بإذن الله إلا أنه قد يجتهد ولا يحدث شفاء، كذا لو قيل (ومشفي به) فشفاء معناه أن القرآن مصدر الشفاء لما في الصدور، ولا جدال في ذلك، والإتيان بلفظ المصدر مناسب لحدث التداوي الذي يكون بقراءة القرآن أو تلاوته علي موضع المرض ليبرأ الإنسان منه، وليس بتعليق القرآن أو المصحف المكتوب علي الصدر أو وضعه في أماكن بعينها، فالشفاء نابع من الحكم والمواعظ التي فيه لا من كونه أوراقا وكتابات وهو مجازي المقصود منه الشفاء من النواقص والضلالات قبل الآلام والأمراض، والله أعلي وأعلم .

خاتمة:

هذا البحث محاولة لفهم دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم، أقف فيه علي المصادر التي تعددت دلالاتها بين الفاعلية والمفعولية ذاكراً آراء العلماء في ذلك موضحا أثر السياق بنوعيه المقالي والمقامي في دلالة هذه المصادر، معتمدا علي المنهج الوصفي التحليلي الذي يعمد أصحابه إلي الجملة فيفهمون معناها بوصف سياقاتها الموجودة فعلا، ولا شك أن آيات القرآن العظيم لا يعتريها شيء من الخلل، ومفرداته كذلك نظمت نظما دقيقا داخل الآية الواحدة، وكل لفظة بل كل حرف قد وضع في موضعه بإحكام بالغ وعلي المتصدي لفهم آيات القرآن وتفسيرها عليه فهم الصيغ والمفردات بمعانيها المعجمية والوظيفية ومن ثم الدلالية للوصول إلي المعاني الكبري والمقاصد الجليلة لهذه الآيات ومن ثم للسور القرآنية، وعليه أيضاً ألا يعزل هذه المفردات عن سياقاتها المقالية والمقامية، قانعا بأن القرآن وحدة مقالية متماسكة، وأن كل صيغة أو لفظة وضعت ومعناها الأصلي بإحكام بالغ في موقعها وقد تحتمل معني آخر بجوار معناها الأصلي وهو من إعجاز وبلاغة القرآن العظيم، **وقد خلصت في ختام هذا البحث إلي الآتي:**

- السياق لا يوجب دلالة واحدة فقط للمصدر في كل الأحوال، فقد يكون لهذا المصدر أكثر من معني علي حد سواء، وقد يكون له أكثر من معني أو دلالة مع ترجيح إحدي الدلالات علي غيرها .
- قد يكون المصدر بمعني الفاعل وقد يكون بمعني المفعول، وقد يكون بمعناهما معا وهذا معجز .
- السياق لا يكون سببا في الغموض، إلا أنه قد يكون غامضا بغموض بعض قرائنه أو بمخالفة الأعراف التركيبية، وهيئات الجمل المكونة لهذا السياق، فقرائن السياق ثابتة مستقرة وتطبيقاته متغيرة زائلة .
- ثمة فرق بين تعدد الدلالة وغموض الدلالة، فتعدد الدلالة أو تعدد المعني للمبني عنصر إيجاب تفيد منه اللغة لتعدد المقاصد، وغموض الدلالة عنصر سلب يحسب علي السياق وينبغي أن يُتخلص منه بالبحث عن مسببات هذا الغموض .
- كثير من علمائنا العرب مولعون بالفكر الحداثي الغربي الأمر الذي يجعلهم ينساقون وراء أحكام لغوية قد لا تنسحب علي لغتنا وفقهها العظيم .
- طبق كثير من علمائنا العرب وأخص المفسرين منهم – نظرية السياق بشقيها المقالي والمقامي أيما تطبيق وإن لم يضعوا هيكلا تنظيريا لها، أي أن الغرب يبني علي أصولنا اللغوية ولا نبني نحن علي أصول أنفسنا .

- كلما كثرت الدراسات البحثية حول آي القرآن العظيم تبينت وجوه إعجازه، وتجلت أسرار عظمته، وفهم وتفسير الآيات ليس حكرا علي أحد ولا علي طائفة بعينها إذا اتبعت طرائق التفسير السليمة واجتنب الشطط . والله من وراء القصد .

ثبت المراجع:

١- أثر السياق في مبني التركيب ودلالته (دراسة نصية من القرآن)، فتحي ثابت علم الدين، رسالة دكتوراة بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالمنيا ١٩٩٤م .

٢- أسباب النزول للسيوطي، بتحقيق حامد الطاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م .

٣- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم، للدكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب(القاهرة) الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .

٤- إملاء ما من به الرحمن (التبيان في إعراب القرآن) للعكبري، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.

٥- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي، بتحقيق (محمد أبو الفضل إبراهيم)، الطبعة الحادية والعشرون (بيروت – دار المعرفة) ١٣٩١هـ .

٧- البنية اللغوية للمشترك اللفظي، بحث منشور في مجلة الباحث، كلية إعداد المعلمين بودَّان – ليبيا) العدد الخامس والسادس ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ و ٢٠٠٧ – ٢٠٠٨ .

٨- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .

٩- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم الغرناطي (المتوفي ٧٤١هـ)، الدار العربية للكتاب.

١٠- التعبير القرآني . للدكتور فاضل السامرائي، دار عمان (الأردن) الطبعة الخامسة ٢٠٠٧م .

١١- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر .

١٢- تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان) الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٣- التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، المطبعة البهية بمصر .

١٤- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة (بيروت – لبنان) ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث (بيروت – لبنان) ١٩٨٥م .

١٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للدكتور عبد الخالق عضيمة، دار الحديث بالقاهرة.

١٧- دروس في الألسنية العامة، فردينان دي سوسير، تعريب صالح الفرماوي، ومحمد الشاوش، ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب .

١٨- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو ١٩٨٠م .
١٩- دلالة السياق وأثرها في الأساليب العربية، دردير محمد أبو السعود، مجلة كلية اللغة العربية بأسيوط، العدد السابع ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
٢٠- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة الدكتور كمال بشر، مكتبة الشباب، الطبعة العاشرة ١٩٨٦م .
٢١- روح المعاني، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث، ودار الفكر – بيروت، ١٤٠٣هـ و١٩٨٣م .
٢٢- سياق الحال في الدرس الدلالي للدكتور فريد عوض حيدر، مكتبة النهضة المصرية .
٢٣- شرح ابن عقيل علي ألفية ابن مالك، دار الطلائع – القاهرة ٢٠٠٤م .
٢٤- شرح المفصل، لابن يعيش، عالم الكتب (بيروت – لبنان)
٢٥- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، الدكتور أحمد نصيف الجنابي، بحث منشور بمجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد الخامس والثلاثون، تشرين الأول ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م .
٢٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي المعروف بالسمين (المتوفي ٧٥٦هـ) بتحقيق عبد السلام التونجي، مكتبة الإعلام والبحوث بجمعية الدعوة الإسلامية / الطبعة الأولي ١٩٩٥م .
٢٧- الفتوحات الإلهية، لسليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (١٢٠٤هـ)، المكتبة التجارية الكبري بمصر .
٢٨- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري بتحقيق البارون، المكتبة التوفيقية .
٢٩- فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن .
٣٠- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، لبنان) الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
٣١- قرينة السياق، للدكتور تمام حسان، بحث منشور في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد المئوي لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتاب ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
٣٢- الكشاف للزمخشري، دار الفكر – بيروت .
٣٣- لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي (بيروت – لبنان) الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
٣٤- اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو ١٩٥٠م .
٣٥- مختار الصحاح، للرازي بتحقيق الدكتور عبد الفتاح البركاوي، دار المنار .
٣٦- معاني القرآن للفراء، (عالم الكتب – بيروت) الطبعة الأولى ١٩٥٥م والثانية ١٩٨٠م.
٣٧- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار الخلود للتراث .

٣٨- النحو والدلالة، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣م.

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول **النظم وتضافر القرائن ونحو النص** **جذور النظرية وعناصر مكوناتها**	
الفصل الثانى إعجام الصرف وتصريف المعجم	
الفصل الثالث الغلبة والتغليب فى البنية والتركيب	
الفصل الرابع تراكيب الفاتحة بين البناء والفهم	
الفصل الخامس ظلال المعاني في سورة القصص **(دراسة على مستوى النص)**	
الفصل السادس أثر السياق في دلالة المصدر علي الفاعلية أو المفعولية في القرآن الكريم	